

فيما حسن منهن وساء

أول كتاب من نوعه وأجمع سفر فى موضوعه يبحث فى النساء وما يحب فيهن وما يكره منهن وفى صفاتهن الفاضلة ونقائصهن الباطلة وما يجب لهن وعليهن مؤيدا ذلك بالآيات القرآنيـة ، والأحاديث النبوية ، وحكم وأمثال العرب وروائع الخطب ، ولآلىء النـثر ، ودرارى الشعر

تأليف

الاستاذ العلامة الفاضل الأديب الشيخ محمد كمال الدين الادهمى

الطبعة الأولى

سنة ١٣٥٣ هـ — ١٩٣٤ م :

تطلب من المكتبة المحمودية التجارية بميدان الجامع الازهر الشريف بمصر

لصاحبها : «محمود على صبيح

58421

المطبعة المحمودية التجارية بمصر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله خالق النساء ، وفاطرهن على ماحسن وساء ، بما اشتملن عليه من عفة وأهواء وهداية وإغواء ، فهن محل تباين الاشياء ، ومجمع اختلاف الأزياء ، فى الاموات والاحياء . والصلاة والسلام على سيدنا محمد أفضل الأنبياء ، الصادق الانباء الطيب البنات والأبناء ، ابن عبد الله الاغر وآمنة الغراء ، وأبى البضعة البتول فاطمة الزهراء . وبعل الحصائف ، الكرام العفائف ، خديجة الكبرى ، وعائشة الصديقة الطهرى ، وغيرهما من الأزواج الطاهرات ، أمهات المؤمنين والمؤمنات صغارا وكبارا . (أزواجا مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات صائمات ثيبات وأبكارا) ورضى الله تبارك وتعالى عن جميع آل بيته الطاهرين ، وكافة أصحابه الطيبين ، إنهم (التائبون العابدون الحامدون السائحون - الصائمون - الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين (الذين يسمعون القول فيتبعون أحسنه) ولايعروهم عن العمل به ذهول ولا غفلة ولا سنه (أولئك هم المفلحون) الناجحون الرابحون

أما بعد : فهذا كتاب جمعت فيه بعض ما جاء فى النساء من ثناء ونثاء ، ومدح وهجاء ، وأخذ ورد ، وحل وعقد ، وفصل ووصل ، وبخل وبذل ، وكل ماله علاقة بهن ، من تعليم لواجبهن ، وتبيين لحالتهن ، مما لم يجمع مثله فى كتاب ، ولا طرق له باب ، على كثرة ما ألف بهذا الخصوص ، من أصداف وفصوص ، وأفكار ونصوص . وإنى أقسم بالله وآياته ، ومشعر الحج وميقاته إنه خير كتاب أخرجته يد العلم الى منفعة النساء وهدايتهن ، لما فيه سعادتهن وسلامتهن فى دنياهن وأخرتهن . ماقرأته امرأة أوقرىء لها ، إلا انتفعت به أونفعها ولا عملت بما فيه إلا كانت من المرضيات المقبولات ، عند الله تعالى وعند العاقلين

والعاقلات . لأن كل مافيه مؤيد بالآيات الكريمة ، والأحاديث الشريفة ، وعلم العلماء ، وحكم الحكماء ، وأقوال الادباء ، وأفكار الشعراء ، وفلسفة الفلاسفة وثمرات تجاريب أهل المعرفة ، لا ترى فيه عوجا ولا أمتا ، ولا افتراء ولا بهتا كما أنه ليس بحاجة إلى تقريظ مقرظ ومدح مادح ، وإن كان لايخلو من تشنيع مشنع وقدح قادح . سنة الله فى خلقه ، بحقه و بغير حقه . وما على فان ماذكرت فيه ، يغنيه عن المدح والاطراء و يكفيه . ومع هذا فانى أعوذ بالله من الافتتان باطراء المادح وإغضاء المسامح . كما أعوذ به من ازراء القادح ، وهتك الفاضح . ولست أدعى فى هذا المجال ، العصمة والكمال . كلا فانهما لله وحده ، ولرسله عليهم الصلاة والسلام بعده . ولا تزكية النفس فيما ألفت وصنفت ، ففوق كل ذى علم عليم أكثر مما عرفت . وإنما أقول ذلك تحدثا بنعمة الله ، جل جلاله وعم نواله ونداه ، والقصد من تأليفه ، وتبويبه وتصنيفه ، تبصير أخواتنا النساء بأمرهن ، وتعريفهن بقدرهن ، وإعلامهن بأن لهن من الحقوق مثل ما عليهن ، فلا يتعدين حدودهن ، ولا يفرطن فى معرفة مالهن ، ولا يكن مسلطات على الرجال ، ولا أسيرات لهن بغير اعتدال . ولايغتررن بمن يزخرف لهن القول تغريرا ، ليوقعهن بما يقبح عاجلا ويفضح مصيرا . فانهن رقيقات القلوب ، دقيقات الجيوب ، يصدقن كل ما يقال ، ويحسبن كل شجرة فى ظلها يقال . فتخرج دررهن من أصداف الصيانة والعفاف ، ويزاحمن الرجال من كل الجهات والاطراف والغوانى أفئدتهن هواء ، ومن التبصر فى العواقب خلاء ، يغرهن الثناء ، ويخدع الواحدة منهن قول أنت حسناء . وقد لاتكون من ذوات الحسن ، أو إنها لايقام لحسنها وزن ، وإنما زينها الشيطان فى عين من يراها ، ووراء الأكمة ما وراها ولذلك كان من واجب كل ذى مروءة ودين ، أن يتلافى الشر القاطع للوتين ، باجتناب كل ما يعد قوله عيبا وفعله عارا ، عملا بقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا) وبنصيحة يسديها كل فرد من أفراد عقلاء الجنس الشريف ـ الرجال ـ إلى كل واحدة من آحاد النوع اللطيف ـ النساء ـ كل بحسب استطاعته ، وبسط علمه وسعته ، بادئا أولا بأهله وذوى رحمه ، ومن ينفذ عليهم محكم كلمه . ضمن دائرة

الشرع الذى هو بالحكمة موصوف ، عملا بحديث « من أمر بالمعروف فليكن أمره بمعروف » * رواه البيهقى - عن عبد الله بن عمر - مبتغيا بذلك وجه الله تعالى ، وخدمة الامة الاسلامية نساء ورجالا . ليكون له من الحق جل وعلا عظيم الأجر ، ومن الخلق جميل الذكر . وهذا ما يقتضيه شرع الله الذى أنزله على نبيه ، من حيث اتباع أمره واجتناب نهيه ، فلا يقال طارت الغيرة من الرؤس ، أو أن فلانا قلبه منكوس . وقد نرى ذكور العجماوات على إناسها تغار ، إلا الخنازير ومن هو من هذا العيار . وأى عيب فى الناس هو أقبح من عيب إعراضهم ، عن حفظ شرفهم وصون أعراضهم . وهما من الستة التى حفظها على كل مسلم وجب ، الدين والنفس والعرض والعقل والمال والنسب . وقد جعلت كتابى هذا تبصرة وذكرى ، وإنذارا وبشرى ، أولا لزوجتى وابنتى ، وأهل بيتى وعترتى ، ثم لكل فرد وفئة ، من كل رجل وامرأة . لاسيما أرباب الأزواج ، وأهل النسل والنتاج . كى لا يظن ظان أن القصد من التزوج أن تكون الزوجة غلاف بضعه ، وفريسة شهوته وطبعه كما قال قائل فى امرأة له ماتت ، وأمنيته منها فاتت :

وكنت فريستى وغلاف بضعى فأضحى البضع ليس له غلاف

فلا ينظر فى عاجل أمرها ، ولا آجل عمرها ، إلا بما تحكم عليه شهوته ، وتسوقه اليه غلمته فهى عنده غادية رائحة ، مثل البهيمة السارحة . أو كمن يتزوج بها لمطمع ، فلا يبالى بما تصنع ، وقد تذهب محمولة وتعود حامله ، وهو غافل أو متغافل وهى غير غافله . وما المرأة إلا مثل قطعة الشمع فى يد الرجل ، قابلة للانطباع بكل شكل وفيها الاستعداد التام للخير والشر ، والقابلية الزائدة للنفع والضر ، قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم - وكفى بقوله إيمانا وتصديقا - « فجور المرأة الفاجرة كفجور ألف فاجر ، وبر المرأة الصالحة كعمل سبعين صديقا » - رواه أبو الشيخ بن حبان عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنهما - فليتنبه الرجل لحسن القيام على من يعول ، وليضرب بعرض الحائط كل سفسطة وفضول ، وليعلم أنه راع وكل راع عن رعيته مسئول ، وكل مايري فى النساء من قصور أو اعوجاج

أو نقص أو خداج ، فاللوم والتبعة فيـه على ولاة أمورهن ، من آباء أو أبناء أو إخوة أو أزواج :

وما الزوج إلا حيث يجعل عرسـه كما هو أيضا حيث يجعل نفسـه

ومن أراد أن ينعم حاله ، ويرتاح باله ، ويلتذ بما به يتمتع، فلتكن أطوار أهله بمرأى منه ومسـمع ، فيقرهن على ماحسن وطاب ، ويصدهن عما فيه اللوم والعتاب ، ولا يكن ملقى الآذان ، مستسلم الجنان . لشاعر يقول ، مالا تقبله العقول :

كل الليالى ليلة القدر اعتبر وكل من تلقاه ظنه الخضر

كلا فان هذا من الترهات ، وسيدنا الخضر عليه السلام مات من زمن طويل وفات . وخيل الرهان فى حلبة الاختبار أسبق ، ولسان التجربة من كل قول بعد قول الله ورسوله أصدق . ومن أطيب حالا ، وأنعم بالا ، ممن تكون زوجته معه صادقه ، ولطبعه موافقه ، ولقوله سميعه ، ولأمره مطيعه ، لاتبغيه خيانة فى نفسها ولا تكتمه شيئا من غمها وأنسها ، وهو لحسن مسراها معه مقدر ، وعليها وحدها مقتصر . وجميع مافى هـذا الكتاب من الأحاديث مأخوذ من تفسير الدر المنثور ومن الجامع الصغير وكلاهما للحافظ جلال الدين السيوطى المتوفى سنة ٩١١ ومن كتاب كنز العمال لعلى علاء الدين البرهانفورى الهندى المتوفى قتلا سنة ٩٧٥ وهو فى الأصل الجامع الكبير للجلال السيوطى إلا ماعزوته إلى مأخذه من الكتب وفيه الصحيح والحسن والضعيف . وأرجو أن لايكون فيه حديث موضوع إن شاء الله تعالى ، وعلى فرض أنه وجد فانى أبرأ إلى الله تعالى منه حيث لم أتعمد نقله وإنما العهدة والتبعة على من ذكره وهو يعلم أنه موضوع . وسميت كتابي هذا (مرآة النساء) وليس للمرأة عن المرآة استغناء ، والله يلهمنا رشدنا ، وينعم بوسائل الاخلاص قصدنا ، فما كان لله فهو المتصل ، وما كان لغيره فهو المنفصل .

اللهم اصرفنا عن مذاهب الشهوات ، وارشدنا فى غياهب الشبهات ، وأطلق سراحنا من قيد الاهواء ، وحررنا واعتقنا من رق الاغواء ، وبنور وجهك اهدنا ، كما ربيتنا فى مهدنا ، وابعثنا من فراش الغفلة منتبهين ، واجعلنا من

الصالحين أو بهم متشبهين ، وهب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين ، واجعلنا للمتقين إماما ، ومتعنا بما أنعمت به علينا من نعمك الظاهرة والباطنة تماما ودواما ، ولقنا فى هذه الحياة نضرة وفى الممات سلاما ، واصرف عنا عذاب جهنم (إن عذابها كان غراما إنها ساءت مستقرا ومقاما) وحسبنا الله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى .

— ١ — باب

(فى ذكر بعض ماورد فى مدح النساء ، والامر بالرفق بهن والاعتناء)

لم يذكر الله تعالى نساء الدنيا بصفة مدح لهن لجمالهن وحسن صورتهن ، بل ذكرهن بما هو أرفع وأعلى من ذلك وهو الصلاح والعفة والامانة وغير ذلك من الصفات الشريفة التى هى المطلوبة من المرأة فقال تعالى (فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله) وإنما ذكر نساء الجنة بأوصاف خلقية وخلقية لأنها دار تشريف لادار تكليف ، وليكون ماوصفهن به وسيلة لاقتداء نساء الدنيا بهن مما يمكن الاقتداء به فقال تعالى (إنا أنشأناهن إنشاء فجعلناهن أبكارا عربا أترابا) أى أن الله سبحانه وتعالى أوجدهن مرة واحدة من غير ولادة من آباء وأمهات وجعلهن أبكارا دائما كلما دنا منهن أزواجهن وجدوهن أبكارا من غير أن يجدن ألم البكارة عند التماس لأن الجنة منزهة عن الآلام والأقذار وقوله تعالى عربا أي متحببات لازواجهن وأترابا أى بسن واحدة لاتفاوت بينهن . وفى هذه الآية دليل على أن المطلوب من الزوجة أن تكون بكرا وان تكون متحببة لزوجها متناسبة فى السن معه وفى هذا حصول الألفة ودوام العشرة وقال تعالى (وعندهم قاصرات الطرف أتراب) أى إن نساء أهل الجنة لايتطلعن لغير أزواجهن بل هن مقتصرات عليهم لايردن بهم بديلا . وهكذا ينبغى أن تكون المرأة فى الدنيا لاتطمح نفسها لغير زوجها كيفما كان وقال تعالى (حور مقصورات فى الخيام لم يطمسهن إنس قبلهم ولا جان) وصف الله تعالى نساء الجنة بملازمتهن لمساكنهن لا يخرجن منها وإنهن ليس لهن قبل

أزواجهن أزواج غيرهم، وفيه الاشارة الى لزوم النساء بيوتهن والاكتفاء بأزواجهن لا أن يخرجن من بيوتهن تابعات لاهوائهن، ولا أن يرغبن عن أزواجهن لغيرهن بأن يخاصمنهم حتى يحملنهم على تطليقهن ليتزوجن بغيرهم، فالمرأة ليست كفوطة الحمام تنقل من وسط مغتسل الى وسط آخر، ولذلك كان بين البكر والثيب فرق فى المعاملة فى ابتداء الزواج بحكم الشرع ، وهذا الفرق ناشيء عن التفاوت بين البكر والثيب . فعلى المرأة أن تحرص على أن تكون زوجة لزوج واحد لا لأكثر فهو أكمل لها وأجمل بها وقال تعالى (ولهم فيها أزواج مطهرة) أى إن أزواج أهل الجنة ليس فيهن ما يؤنف منهن من حيض واستحاضة ونفاس ومرض رحم ونتن عرق وقذر بدن ووساخة ثوب أو مكان وغير ذلك ، بل هن طاهرات نظيفات وفيه الاشارة الى أنه يلزم النساء أن يكن كذلك فلا تتأخر الحائض عن التطهر عند ماينقطع حيضها ، وكذلك عند نفاسها ، وفى جميع الأحوال التى تقتضى فيها النظافة وكل هذا ممكن لهن والذى ذكره الله تعالى عن النساء فى القرآن إنما هو أمر لهن ونهي وإخبار عما سلف من أحوال النساء الحسنة والسيئة ليعتبرن ويتنصحن ، لان المطلوب من المرأة الدين والاخلاق الحسنة وحسن الإدارة والاطاعة للزوج وحسن القيام على رؤية أمور المنزل وغير ذلك من الواجب عليها ، وأما الجمال والمال والحسب والاصالة فهى فى الدرجة الثانية بعد الدين ، فاذا اجتمعت لها هذه الاربعة مع الدين كانت نورا على نور كما قال الشاعر :

ما أحسن الدين والدنيا اذا اجتمعا وأقبح الكفر والافلاس بالناس

وأما ماورد من الأحاديث الشريفة فى مدح النساء والأمر بالرفق بهن والعناية بشأنهن فمنها حديث : « حبب الى من دنياكم الطيب والنساء وجعلت قرة عينى فى الصلاة » - رواه الامام احمد والنسائى والحاكم والبيهقى عن أنس بن مالك - وحديث : « كلما ازداد المرء إيمانا ازداد حبا فى النساء » وحديث : « ما أكرم النساء إلا كريم ولا أهانهن إلا لئيم » - رواه ابن عساكر عن على بن أبى طالب - وحديث : « إنما النساء شقائق الرجال » - رواه الامام احمد بن حنبل وابو داود

والترمذى عن عائشة والبزار عن أنس - وحديث : « الدنيا كلها متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة » - رواه الامام احمد ومسلم والنسائي عن عبد الله بن عمرو ابن العاص - وحديث : « هن أغلب » - رواه الطبرانى عن أم سلمة - وحديث : « أمركن مما يهمنى بعدى وليس يصبر عليكن إلا الصابرون » - رواه الحاكم عن عائشة - وحديث : « الحياء عشرة أجزاء فتسعة فى النساء وواحد فى الرجال ولولا ذلك ما قوى الرجال على النساء » - رواه الديلمي عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنهما - وحديث : « النساء خلقن من ضعف وعورة فاستروا عوراتهن بالبيوت واعلنوا على ضعفهن بالسكوت » وحديث : « حاملات مرضعات رحيمات بأولادهن لولا ما يأتين لازواجهن دخل مصلياتهن الجنة » - رواه الامام احمد وابن ماجه والطبرانى والحاكم عن أبى أمامة - وحديث : « آمروا النساء فى بناتهن » - رواه ابو داود والبيهقى عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما - وحديث : « اتقوا الله فى الضعيفين المملوك والمرأة » - رواه ابن عساكر عن عبد الله بن عمر - وحديث : « احملوا النساء على أهوائهن » - رواه ابن عدى عن عبد الله بن عمر - وحديث : « إنى أحرج عليكم حق الضعيفين المرأة واليتيم » - رواه الحاكم والبيهقى عن أبى هريرة - وحديث : « استوصوا بالنساء خيرا فان المرأة خلقت من ضلع أعوج وإن أعوج ما فى الضلع أعلاه فان ذهبت تقيمه كسرته وإن تركته لم يزل أعوج فاستوصوا بالنساء خيرا فانهن عوان (أسيرات) عندكم لستم تملكون منهن غير ذلك إلا أن يأتين بفاحشة مبينة فان فعلن فاهجروهن فى المضاجع واضربوهن غير مبرح فان أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا » - رواه البخارى ومسلم عن أبى هريرة - وحديث : « رفقا بالقوارير » - رواه البخارى - وحديث : « عليكم باللطف والرفق بنسائكم لا تظلموهن ولا تضيقوا عليهن فان الله يغضب للمرأة اذا ظلمت كما يغضب لليتيم » وحديث : أطعموهن مما تأكلون واكسوهن مما تكسون ولا تضربوهن ولا تقبحوهن » - رواه أبو داود عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده -

وعن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنهما أنه وجدت امرأة مقتولة في بعض المغازى فبلغ رسول الله ﷺ قتلها فنهى عن قتل النساء والصبيان .

وآخر ما وصى به رسول الله ﷺ وهو فى مرض موته أن قال : « الله الله فى النساء فانهن عوان عندكم لا يملكن لانفسهن شيئا أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله فاتقوا الله واستوصوا بهن خيرا »

معنى أحاديث الرفق بالنساء

قال الكمال أحسن الله تعالى اليه : وبعض الفسقة يحفظون من الاحاديث الشريفة احاديث يؤولونها حسب أهوائهم، ويجعلونها حجة لهم ووسيلة الى اقتناص أوابد النساء كحديث « حبب الى من دنيا كم الطيب والنساء » مقتصرين على هذين الشيئين من غير حفظ بقية الحديث وهى « وجعلت قرة عينى فى الصلاة » وحديث « كلما ازداد المرء إيمانا ازداد حبا فى النساء » وحديث « ما أكرم النساء إلا كريم ولا أهانهن إلا لئيم » وحديث « إنما النساء شقائق الرجال » وحديث « رفقا بالقوارير » ويتوسلون بها إلى اغواء النساء وإفسادهن تحت ستار الدين ، والاستشهاد بقول رسول رب العالمين ، وليس مورد الاحاديث المذكورة هو كما يؤولونه ويريدونه كلا وإنما حب النساء وإكرامهن والرفق بهن إنما يكون بتعليمهن أمور دينهن وحفظهن وصيانتهن من كل مايلوث عفتهن ويدنس شرفهن لا بترك حبلهن على غاربهن وابتذالهن وهتك سترهن باطلاق السراح لهن يغشين مسارح اللهو وبؤر الفسق والفجور ، ويخالطن الرجال ويخاصرنهن ويرقصن معهم ويشربن الخمور. وهل يقال لمن عنده درة ثمينة ألقاها فى المزابل إنه احترمها وصانها أم إنه هو ابتذلها وامتهنها ؟ فاعلم ذلك ولا تصرف قول الرسول المعصوم ﷺ الذى جاء بالهدى والنور إلى ما يوافق الهوى والشهوة . وعلى المرأة أن تعلم وتفهم أن كل معاملة لها يوافق الشرع عليها فهى إكرام لها وصيانة لعرضها وحفظ لشرفها سواء أكانت تلك المعاملة قاسية أو لينة، وأن كل معاملة لها لا يوافق الشرع عليها فهى إهانة لها وانتهاك لحرمتها وابتذال لشرفها سواء أوافقتها أم لم توافقها ، والنفس أمارة بالسوء ميالة الى اللهو إلا من رحم الله قال رسول الله ﷺ « حفت الجنة

بالمكاره وحفت النار بالشهوات » — رواه الامام احمدبن حنبل ومسلم والترمذى عن أنس ومسلم عن أبى هريرة أيضا وأحمد عن ابن مسعود أيضا —

وأما ما ورد من مدحهن والعناية بهن من غير الآيات والاحاديث فكثير أيضا فى القديم والحديث قال قونفوشيوس كبير البراهمة المتوفى قبل سيدنا عيسى عليه السلام بنيف أربعة قرون : المرأة أكمل المخلوقات . وقال بعض الحكماء : ما آنس الانسان ولا عمر المكان ولاسلى الاحزان ولا أعان على نوب الزمان مثل البيض العوان (النساء) وقال آخر: المرأة مرآة الأمم . وقال آخر: المرأة ريحانة لا قهرمانة وقال آخر : فاقت المرأة الرجل بحسن خلقها ولطف خلقها فاذا فاقته فى العلم والفضيلة لم يبق للرجل عليها سوى قوة ضئيلة . وقال بعض الشعراء :

إن النساء رياحين خلقن لنا وكلنا يشتهى شم الرياحين

وقال الكمال أحسن الله تعالى اليه : الدنيا دار سكنى بالاجارة رجالها قاعة الزيارة والنساء فيها ضياء ، وليس لأحد عن النور استغناء :

ونحن بنو الدنيا وهن بناتها وعيش بنيها فى لقاء بناتها

وقد أكثر الشعراء فى القديم والحديث من ذكر النساء والتشبيب بهن فلا تخلو قصيدة من أن تفتتح بذكرهن ، والناس يتلقون ذلك بالقبول والاستحسان حتى إن كعب بن زهير مدح رسول الله ﷺ بقصيدته المشهورة ببانت سعاد وتغزل فيها بذكر سعاد وسمعها رسول الله ﷺ منه فلم ينكر عليه شيئا منها . وهذا من مطلعها :

بانت سعاد فقلبى اليوم متبول متيم إثرها لم يفد مكبول

وما سعاد غداة البين إذ رحلوا إلا أغن غضيض الطرف مكحول

تجلو عوارض ذى ظلم اذا ابتسمت كأنه منهل بالراح معلول

هيفاء مقبلة عجزاء مدبرة لا يشتكى قصر منها ولا طول

ومن احترام النساء وتكريمهن أن أبا الفضل ابن العميد المتوفى سنة ٣٦٠ والصاحب بن عباد المتوفى سنة ٣٨٥ وغيرهما وهما من الأدب فى المكانة العليا

كانوا يكنون عن البنت الكبيرة بالكريمة ، وعن البنت الصغيرة بالريحانة، وعن الأم بالحرة ، وعن الأخت بالشقيقة وعن الزوجة بكبيرة البيت ، أو بمن وراء الستار وعن الزفاف بتألف الشمل، واتصال الحبل. والترك يعبرون عن الزوجة بالرفيقة، والعرب يكنون عنها بالحليلة والظعينة والقرينة والقعيدة ، وقعيدة البيت والربض والحنة والطلة والكنة -بفتح الطاء والكاف- والعرس والسكن واللباس والازار وقد جاء القرآن الكريم بوصف الزوجين باللباس فقال تعالى (هن لباس لكم وأنتم لباس لهن) وأهل مصر يخاطبون الزوجة ويعبرون عنها بالست فيقول الزوج لزوجته : ياستى ويخبر عنها فيقول ستى قالت وستى فعلت . قال الشاعر الأديب بهاء الدين زهير المصرى المتوفى سنة ٦٥٦ هـ :

بروحى من أسميها بستى ... فتنظر لى النحاة بعين مقت
يرون بأننى قد قلت لحنا ... وكيف وإننى لزهير وقتى
ولكن غادة ملكت جهاتي ... فلا لحن إذا ماقلت ستى

وكل هذه الكنايات من حرص الرجال على أن لاتذكر النساء بالأفواه ، وتبتذل بالأسماع ، فضلا عن أن يطلع على مسمياتهن ، أو يتعرض لهن بذاتهن . وإنما يضن بالضنين وينافس بالثمين

باب — ٢ —

(في مدح النساء من حيث أنهن إناث وللحياة من أنفس الأثاث)

ليس فى هذا الباب أفضل ولا أصدق من قول الرسول الاعظم ﷺ «البنات هن المشفقات المجهزات المباركات، من كانت له ابنة واحدة جعلها الله له سترا من النار ، ومن كانت عنده ابنتان أدخله الله الجنة بهما ، ومن كانت عنده ثلاث بنات أو مثلهن من الأخوات وضع عنه الجهاد والصدقة» وقوله : « مامن مسلم له ابنتان فيحسن اليهما ماصحبتاه أو صحبهما إلا أدخلتاه الجنة» - رواه ابن ماجه والحاكم وابن حبان عن ابن عباس - وقوله : من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو، وضم أصابعه أى معا » - رواه مسلم عن أنس - وفى حديث آخر «إذا ولدت

الجارية بعث الله عز وجل اليها ملكا يزف البركة زفا يقول ضعيفة خرجت من ضعيفة ، القيم عليها معان إلى يوم القيامة ، وإذا ولد الغلام بعث الله اليه ملكا من السماء فقبل بين عينيه وقال الله يقرؤك السلام » وفى حديث آخر « من عال ثلاث بنات فأدبهن وزوجهن وأحسن اليهن فله الجنة » — رواه ابو داود عن أبى سعيد الخدرى — « وفى حديث آخر « من ابتلى من هذه البنات بشىء فأحسن اليهن كن له سترا من النار » — رواه البخارى ومسلم والترمذى عن عائشة —

ودخل عمرو بن العاص المتوفى سنة ٦٣ على معاوية بن أبى سفيان المتوفى سنة ٦٠ رضى الله تعالى عنهم وعنده ابنته عائشة فقال : من هذه يامعاوية ؟ فقال هذه تفاحة القلب وريحانة العين وشمامة الانف فقال له أمطها عنك قال معاوية ولم ؟ قال عمرو لأنهن يلدن الاعداء ويقربن البعداء ويورثن الشحناء ويثرن البغضاء ، قال معاوية لا تقل ذلك ياعمرو فوالله مامرض المرضى ولاندب الموتى ولاأعان على الزمان ولا أذهب جيش الاحزان مثلهن ، وإنك لواجد خالا قد نفعه بنو أخته ، وأبا قد رفعه نسل بنته ، فقال عمرو دخلت عليك يا معاوية وما على الأرض شىء أبغض الى منهن وإنى لأخرج من عندك وما عليها شىء أحب الى منهن . وقال معن بن أوس المتوفى سنة ٦٣ :

رأيت رجالا يكرهون بناتهم ... وفيهن لانكذب نساء صوالح

وفيهن والايام يفتكن بالفتى ... خوادم لايمللنه ونوائح

وقال عمران بن حطان الدوسى المتوفى سنة ٨٩ :

لقد زاد الحياة الى حبا ... بناتى إنهن من الضعاف

مخافة أن يذقن البؤس بعدى ... وأن يشربن رنقا بعد صافي

ولولاهن قد سومت مهرى ... وفى الرحمن للضعفاء كافى

وقال حطان بن معلى الاسدى :

لولا بنيات كزغب القطا ... رددن من بعض الى بعض

لكان لى مضطرب واسع فى الأرض ذات الطول والعرض
وإنما أولادنا بيننا أكبادنا تمشى على الأرض
إن هبت الريح على بعضهم امتنعت عينى من الغمض

وقال الكمال (مؤلف الكتاب) أحسن الله تعالى اليه فى ابنته أمة الرحيم وهى بنته الوحيدة العجبة وقتئذ أي اليتيمة من الام وقد ولدت سنة ١٣٤٠ هـ - ١٩٢١ م:

يارب بنتى من الضعاف والحال ليس عليك خافى
يارب حطها وقم عليها بالصون والستر والعفاف

وقال فيها أيضا وقد ترعرعت :

يارب بنتى فى حماك وديعة من كل شىء فى الحياة يشينها
يارب أنبتها نباتا طيبا بجمال حال فى الانام يزينها
وأتح لها بعلا إذا أبقيتها بعفافه وتقاه رب يصونها

ثم جاءته هبة الكريم درية من زوجة أخرى سنة ١٣٥٢ هـ ابتلاها الله بيتمها من أمها وهى بنت سبعة أشهر جبر الله يتمها ورحم أمها . وقال رجل من العرب لامرأته وقد ولدت له بنتا : ولدتها تمان ولا تمون ، وتصان ولا تصون ، وتزدريها العيون فقالت بل ولدتها تكثر مال أهلها ، وتعمر بيت بعلها ، وتسره بدلها * وغاضب رجل من العرب زوجته واعتزلها لأنها ولدت له بنتا فقالت :

مالأبى حمزة لا يأتينا يظل فى البيت الذى يلينا
يغضب أن لا نلد البنينا وإنما نأخذ ما أعطينا

وباختيار الله قد رضينا

فأعجبه قولها واتعظ به فرضى عنها ورجع اليها . وعيرت إعرابية ببنت ولدتها فقالت :

ماذا على إن ولدت جاريه تمشط رأسى وتكون فاليه
خير من ابن عاره علانيه يجر فى كل أوان داهيه

وقالت امرأة أخرى من العرب بهذا الخصوص:

وما على أن تكون جاريه تحفظ بيتى وتضىء ناريه

وترفع الساقط من خماريه حتى إذا تمت لها ثمانيه
أو تسعة من السنين الوافيه زوجتها مروان أومعاويه
أزواج صدق ومهور غاليه

وقال بعض الشعراء :

أحب البنات وحب البنا ت فرض على كل نفس كريمه
فان شعيبا من أجل ابنتيه ه أخدمه الله موسى كليمه

يشير إلى قوله تعالى (قال إنى أريد أن أنكحك إحدى ابنتى هاتين على أن تأجرني ثمانى حجج فان أتممت عشرا فمن عندك) الآية . وليس سيدنا موسى عليه السلام بأول من آجر نفسه للخدمة فى سبيل التزوج بدلا عن المهر، بل سيدنا يعقوب عليه السلام قبله تزوج ببنت خاله واسمها راحيل بخدمته لخاله سبع سنوات كما ذكره ابن قتيبة الدينورى المتوفى سنة ٢٢٦ فى كتابه المعارف .

وقال الثعالبى المتوفى سنة ٤٢٩ فى كتابه سحر البلاغة : الدنيا مونثة والناس يخدمونها ، والذكور يعبدونها. والأرض مؤنثة ومنها خلقت البرية ، وفيها كثرت الذرية. والسماء مؤنثة وقد حليت بالكواكب، وزينت بالنجوم الثواقب، والنفس مؤنثة وهى قوام الأبدان ، وملاك الحيوان. والحياة مؤنثة ولولاها لم تتصرف الأجسام، ولا تحرك الأنام. والجنة مؤنثة وبها وعد المتقون، وفيها ينعم المرسلون اه

وكتب الصاحب ابن عباد المتوفى سنة ٣٨٥ مهنئا ببنت : أهلا وسهلا بعقيلة النساء، وأم الأبناء، وجالبة الأصهار، والأولاد الأطهار، وتمثل بقول المتبني المتوفى سنة ٣٥٤

ولو كان النساء كمثل هذى لفضلت النساء على الرجال
فما التأنيث لاسم الشمس عيبا ولا التذكير فخرا للهلال

وكتب أبو الفرج الببغاء عبدالله بن نصر المتوفى سـنة ٣٩٨ مهنئا بأنثى : اتصل بى خبر المولودة المسعودة كرم الله غرتها وأنبتها نباتا حسنا ، وما كان من تغيرك عند اتصال الخبر، وإنكارك ما اختاره الله تعالى لك فى سابق القدر ، وقـد

علمت أنهن أقرب من القلوب ، وأن الله عزوجل بدأ بهن فى الترتيب ، فقال عزمن قائل (يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور) وما سماه الله تعالى هبة فهو فبالشكر أولى، وبحسن التقبل أحرى اه والعرب يقولون لمن تولدله الجارية : هنيئا لك بالنافجة (النافجة وعاء المسك)

— ٣ — باب

(فى مدح المرأة من حيث أنها زوجة عاقلة ، وربة بيت فاضلة)

فى الحديث الشريف: « خير النساء التى تسره إذا نظر وتطيعه اذا أمر ولا تخالفه فى نفسها ولا مالها بما يكره » ـ رواه الامام احمد والنسائي والحاكم عن أبي هريرة ـ وفى حديث آخر « خير نسائكم العفيفة الغلمة ، عفيفة فى فرجها ، غلمة على زوجها ـ رواه الديلمى عن أنس ـ وفى حديث آخر « من رزق حسن صورة وحسن خلق وزوجة صالحة وسخاء فقد أعطى حظه من خيرى الدنيا والآخرة » وفى حديث آخر « أربع من أعطيهن فقد أعطى خيري الدنيا والآخرة ، لسان ذاكر وقلب شاكر وبدن على البلاء صابر وزوجة صالحة لا تبغيه خوفا فى نفسها ولا ماله صالحة تعين أحدكم على دينه » ـ رواه الطبرانى والبيهقى عن عبد الله بن عباس ـ وفى حديث آخر « أربع خصال من سعادة المرء ، أن تكون زوجته صالحة وأولاده أبرارا وخلطاؤه صالحين ومعيشته فى بلده » ـ رواه بن عساكر والديلمي عن عبد الله بن الحكم عن أبيه عن جده ـ وفى حديث آخر « أربع من السعادة ، المرأة الصالحة والمسكن الواسع والجار الصالح والمركب الهنىء » ـ وفى حديث آخر « خير ما يكنز الرجل المرأة الصالحة اذا نظر اليها زوجها سرته واذا أمرها أطاعته ، واذا غاب عنها حفظته » وفى حديث آخر « الدنيا متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة » ـ رواه الامام احمد بن حنبل ومسلم والنسائى عن عبد الله بن عمرو بن العاص ـ وفى حديث آخر « من رزقه الله امرأة صالحة فقد أعانه على شطر دينه فليتق الله في الشطر الباقى » ـ رواه الحاكم عن أنس ـ

وفى حديث آخر « ما استفاد المؤمن بعد تقوي الله خيرا له من زوجة صالحة إن أمرها أطاعته وإن نظر اليها سرته و إن أقسم عليها أبرته وإن غاب عنها نصحته فى نفسها وماله » ـ رواه بن ماجه عن أبي أمامة الباهلى ـ وفى حديث آخر « اذا صلت المرأة خمسها وصامت شهرها وحفظت فرجها وأطاعت زوجها قيل لها ادخلى من أى أبواب الجنة شئت » ـ رواه ابن حبان عن أبى هريرة ـ

وفى حكمة سليمان بن داود عليهما السلام : المرأة العاقلة تبنى بيتها والمرأة السفيهه تهدمه . وقال حكيم : الجمال كاذب والحسن مخلف وإنما تستحق المدح المرأة الموافقة . وقال آخر : الهناء كله موكل بالحليلة الصالحة ، والبلاء كله موكل بالقرينة السوء . وقال الاصمعي المتوفى سنة ٢١٣ : حدثنى ابن أبى الزناد عن عروة بن الزبير قال مارفع أحد نفسه بعد الايمان بالله تعالى بمثل منكح صدق، ولا وضع نفسه بعد الكفر بالله بمثل منكح سوء . وقال الامام الاعظم أبو حنيفة المتوفى سنة ١٥٠ رضى الله تعالى عنه : المرأة الصالحة تشبه الوالدة والاخت والصديق ، والمرأة السوء تشبه الرابة (زوجة أبي الولد) والعدو والسارق . وقال الحريرى المتوفى سنة ٥١٦ فى إحدى مقاماته : القرينة الصالحة ترب بيتك، وتلبى صوتك ، وتغض طرفك، وتطيب عرفك ، وبها ترى قرة عينك، وريحانة أنفك، وفرحة قلبك، وخلد ذكرك. وقال الحجاج بن يوسف الثقفى المتوفى سنة ٩٥ لايوب بن القرية البليغ المتوفى سنة ٨٤ ما تقول فى التزويج ؟ فقال : وجدت أسعد الناس فى الدنيا وأقرهم عينا وأطيبهم عيشا وأبقاهم سرورا وأرخاهم بالا وأثبتهم شبابا من رزقه الله زوجة مسلمة أمينة عفيفة حسنة لطيفة نظيفة مطيعة إن ائتمنها زوجها وجدها أمينة وإن قتر عليها وجدها قانعة وإن غاب عنها كانت له حافظة وقد ستر حلمها جهلها وزين دينها عقلها فزوجها ناعم وجارها سالم ومملوكها آمن وصبيها طاهر فتلك كالريحانة والنخلة لمن يجتنيها وكاللؤلؤة التى لم تثقب والمسكة التى لم تفتق قوامة صوامة ضاحكة بسامة إن أيسرت شكرت وإن أعسرت صبرت فأفلح وأنجح من رزقه الله مثل هذه وإنما مثل المرأة السوء كالحمل الثقيل على الشيخ الضعيف يجره فى الارض

جرا فبعلها مشغول ، وجارها متبول ، وصبيها مرذول ، وقطها مهذول . وفى لسان العرب لابن منظور الافريقى المتوفى سنة ٧١١ خير النساء الخفرة فى قومها المتبذلة لزوجها . يعنى التى لاتتصنع له فى قول ولا عمل . وقال مسلمة بن عبد الله المرأة الصالحة خير للمرء من عينيه ويديه . وقال بعض السلف : المرأة الصالحة إحدى الحسنيين. وقال حكيم: سعادة الأسرة تتوقف على المرأة أكثر من توقفها على الرجل . وقال آخر: المرأة الجميلة تملك القلوب والمرأة الفاضلة تسترق العقول وقال بعض العارفين : الزوجة قوت النفس ، وسبب طهارة القلوب . وسئل رسول الله ﷺ عن الرجل يقبل امرأته فى رمضان فقال « لابأس ريحانة يشمها » وقال شاعر:

سعادة المرء فى خمس لقد جمعت   صلاح جيرانه والبر فى ولده

وزوجة حسنت أخلاقها وكذا   خل وفى ورزق المرء فى بلده

وقال بعض العارفين : المرأة الصالحة أقر متاع الدنيا لعين المرء ولا يسكن لشىء كسكونه لزوجته . وقد صدق فقد قال الله تعالى (هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها) وقال عز وجل (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها) وللزوج من زوجته منزلة رفيعة لاسيما إذا كان موافقا لها فى هواها ، عاملا بما فيه رضاها ، مجاريا لها على ماتريد. ففى الحديث الشريف « إن للزوج من المرأة لشعبة ماهى لشىء » رواه الحاكم وابن ماجه عن محمد بن عبد الله ابن جحش - والمراد بما تقدم من ذكر الزوجة الصالحة ذات الدين والفكرة الطاهرة والشعور الشريف والخلق اللطيف والأخلاق الكريمة والصبر الجميل والعفة الحقيقية والنظافة الدائمة فى نفسها وملبسها ومسكنها ، وأولادها المواتية لزوجها الموافقة له المعينة فى المنشط والمكره لما يريده ، المؤدية ما يجب له عليها بعد تأدية واجبها لربها من طهارة وصلاة وصيام ، القائمة بلازم بيتها من عمل بالذات أو نظارة عليه إذا كان لها خدم يقمن به ، المحبة لزوجها محبة لا تبغي معها بدلا منه مهما يكن زوجها وضيعا وغيره رفيعا ، فهذه هى المرأة الصالحة التى تكون سبب السعادة لزوجها وأولادها ولا يشترط فيها أن تكون غنية أو شريفة فى قومها بل مجرد

دينها وأدبها كافيان لهـا يغنيانها عن غيرهما . وكم أعلم من امرأة فقيرة بل خادمة تزوجت بفقير فكانت سببا فى انعاشـه وإنقاذه من مخالب فقره حتى وصـل إلى درجـة الوجوه والأعيـان ، وصار منزله محطا لوفود الرجال من جميع الطبقات وأصـبحت زوجته تلك الخادمة الفقيرة سـتا كبيرة أو سـيدة جليلة وليس هـذا بالأساطير ولا الخرافات ولا الأقاصيص ، بل هو شيء حق شاهدته بعينى لم أسمع به بأذنى . وبالعكس منها كم أعلم من امرأة أصيلة غنية وزوجها على شاكلتها مازالت تعمل أعمال البذخ والسفه والسرف حتى أهلكت زوجها بسوء إدارتها مالا وحالا فأمسى فى حالة يرثى لها ، وكانت عاقبة أمرهما خسرا وهلاكا نعوذ بالله من الحور بعد الكور ، ومن سوء الادارة المؤدية للخسارة. والمرأة عنوان كل خير وشر ، ومجمع بحري النفع والضر ، إذا صلحت صلح كل ماتتعلق به ويتعلق بها ، وإذا فسدت فسد الجميع والله الحافظ الواقى .

باب — ٤ —

(فى مدح المرأة من حيث الحمل والولادة ، وماتجرى فيه بذلك العادة)

لما كان القصـد من الزواج حصول النسـل وبقاء أفراد العالم إلى آخر الوقت المقدر له ، ولا يحصل ذلك إلا بكلفة ومشقة على النساء من الحمـل والوحام والطلق والولادة والنفاس والارضاع وتربية الولد وفطامه ، تفضل الله تعالى على المرأة التى تبتلى بحمل هذه المشاق والشدائد بالفضل العظيم من نحو إيجاب الشكر على الولد لأمه أولا ثم لأبيه ثانيا كما قال الله تعالى (ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله فى عامين أن اشكر لى ولوالديك إلى المصير) وتقديم الأم على الأب بالبر والشكر مفهوم من الأحاديث الشريفة كحديث « أمك ثم أمك ثم أمك ثم أباك ثم الأقرب فالأقرب » ـ رواه الامام أحمد وأبو داود والترمذى والحاكم عن معاوية بن حيده وابن ماجـه عن أبى هريرة ـ ومن نحو ماورد فى الأحاديث الشريفة مما أعده الله للحاملات والوالدات كحديث «المرأة فى حملها إلى وضعها إلى

فصالها كالمرابط فى سبيل الله، فان ماتت فيما بين ذلك فلها أجر شهيد» - رواه الطبرانى عن عبد الله بن عمر - وحديث « المرأة إذا حملت كان لها أجر الصائم القائم المخبت المجاهد في سبيل الله ، فاذا ضربها الطلق فلا تدرى الخلائق مالها من الأجر ، فاذا أرضعت كان لها بكل مصة أو رضعة أجر نفس تحييها ، فاذا فطمت ضرب الملك على منكبيها وقال استأنفى العمل » وحديث « الشهادة سبع سوى القتل فى سبيل الله ، المقتول في سبيل الله شهيد ، والمطعون شهيد ، والغريق شهيد ، وصاحب ذات الجنب شهيد ، والمبطون شهيد ، وصاحب الحريق شهيد ، والذى يموت تحت الهدم شهيد ، والمرأة تموت بجمع (١) شهيد » - رواه الامام مالك وأحمد وأبو داود والنسائى وابن ماجه وابن حبان والحاكم عن جابر بن عبد الله - وحديث « أما ترضى إحداكن أنها إذا كانت حاملا من زوجها وهو عنها راض أن لها مثل أجر الصائم القائم فى سبيل الله ، فاذا أصابها الطلق لم يعلم أهل السماء والارض ماأخفي لها من قرة أعين ، فاذا وضعت لم يخرج من لبنها جرعة ولم يمص من ثديها مصة إلا كان لها بكل جرعة وبكل مصة حسنة ، فان أسهرها ليلة كان لها مثل أجر سبعين رقبة تعتقهم فى سبيل الله » - رواه الطبرانى وابن عساكر والحسن بن سفيان عن سلامة حاضنة ابراهيم ابن رسول الله ﷺ .

والحمل والولادة أمران صعبان ، والتهلكة فيهما ملحوظة قال سيدنا على رضى الله تعالى عنه : رسول الموت الولادة . وقد صدق فيما قال فكم من حامل ماتت وهى تلد أو فى أثناء نفاسها ، ولذلك كان فضل الله تعالى على النساء عظيما ، لو عرفن ذلك الفضل فقدرنه حق قدره وشكرنه حق شكره . وينبغي أن تطعم النفساء التمر فى أثناء نفاسها ، فان من كان طعامها فى نفاسها التمر كان ولدها حليما (وفى هذا حديث)

(١) جمع بضم الجيم وسكون الميم أى تموت وهى حامل

(فوائد لتسهيل الولادة)

العمدة فى هذا الباب على ما عند القابلة الطبيبة من العلم والمعرفة بحسب ما تعلمته وقد ترقى فن الطب ترقيا زائدا سهل على كل والدة ولادتها، فيجدر بالحامل أن تستحضر القابلة الطبيبة لأن تسترسل فى اتباع ما هو مألوف عندها وعند أهلها من أنها لا تبغى بالقابلة فلانة العجوز بدلا حيث أنها ولدتها وولدت من ولدتهم من أهلها فأن كونها ولدتهم ليس يقتضى التمسك بها مادام فى الامكان تسهيل أمر الوالدة باستخدام القابلات الطبيبات . وكم من تهلكة وقعت فيها الحامل بسبب تمسكها بقديمات الصنعة من غير علم ولا معرفة فقاست من الاهوال، وصرفت من الاموال ما كانت فى غني عنه ، ومع هذا فلا مانع من استعمال ماجاء فى كتب الطب المادى والروحانى من الفوائد المسهلة للولادة لاسيما فى الأماكن التي لا يوجد فيها قابلات طبيبات .وقد ذكرت فى كتابى (الفوائد الكمالية فى المنافع الدينية والدنيوية) قسما منه وهذا هو: ذكر الشريشى المتوفى سنة ٦١٩ فى شرح المقامة العمانية من المقامات الحريرية عن ابن قتيبة الدينورى المتوفى سنة ٢٧٦ بسند متصل بسيدنا عبدالله بن عباس المتوفى سنة ٦٨ رضى الله تعالى عنهما أنه قال : مر عيسى ابن مريم عليهما السلام على بقرة قد اعترض ولدها فى بطنها فقالت يا كلمة الله ادع الله أن يخلصنى ، فقال: ياخالق النفس من النفس، ويامخرج النفس من النفس ، خلصها . فألقت ما فى بطنها . فاذا تعسرت على امرأة ولادتها يكتب ذلك فى إناء ويمحى بماء وتسقاه وعن ابن عباس أيضا أنه يكتب لمتعسرة الولادة فى جام (قدح) وتسقاه ؛ بسم الله لا إله إلا الله الحليم الكريم، سبحان الله رب العرش العظيم، الحمد لله رب العالمين (كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا ساعة من نهار، بلاغ فهل يهلك إلا القوم الفاسقون) وأخرج البيهقي المتوفى سنة ٤٥٨ فى كتاب الدعوات عن ابن عباس موقوفا فى المرأة التى تتعسر عليها ولادتها أنه يكتب فى قرطاس ثم يمحى وتسقي ، بسم الله الذى لا إله إلا هو الحليم الحكيم ، سبحان الله وتعالى رب العرش العظيم ، الحمد لله رب العالمين (كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أوضحاها، كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة

من نهار بلاغ فهل يهلك إلا القوم الفاسقون) وعنه أيضا أن من عسر عليها النفاس أو الولادة يكتب لها فى إناء جديد ويمحى ويمسح به بطنها والموضع الطاهر من فرجها (إذا السماء انشقت وأذنت لربها وحقت و إذا الارض مدت وألقت ما فيها وتخلت ، كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أوضحاها، لم يلبثوا إلا ساعة من نهار بلاغ، لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الالباب، ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل كل شىء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون) ذكره الجلال السيوطى المتوفى سنة ٩١١ فى كتابه الرحمة فى الطب والحكمة وقال إنه صحيح مجرب وذكر فى الاتقان برواية ابن السنى المتوفى سنة ٣٦٢ عن فاطمة رضى الله تعالى عنهما أنها لما دنت ولادتها أمر رسول الله ﷺ زوجتيه أم سلمة وزينب بنت جحش أن تأتياها فتقرآ عندها آية الكرسى وقوله تعالى (إن ربكم الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الامر ما من شفيع إلا من بعد إذنه ذلكم الله ربكم فاعبدوه أفلا تذكرون) وأن تعوذاها بالمعوذتين * وفى كتاب نزهة المجالس للصفوري المتوفى آخر القرن التاسع أنه تسقى معوقة الولادة أربعة مثاقيل من قشر خيار الشنبر اليابس ، أو درهمين من الزعفران ، فانها تلد سريعا وأنه ينبغى لمن قربت ولادتها أن تستحم كل يوم . وفي كتاب تسهيل المنافع اذا عقدت مرجانة بخيط فى فخذ المرأة اليسرى يخرج الولد سريعا ، وإن شرب ثلاثة دراهم من القرفة يسهل الولادة فى الحال ، وان التبخر بشعر نفسها يسهل خروج الولد * وفى شرح المقامات الحريرية للشريشى أن الزبد البحري (وهو حجر رخو رقيق شديد البياض) إذا علق على المرأة التي أخذها الطلق سهل ولادتها . وشرب السعتر المنقوع بالماء يوما وليلة وشم الزعفران والتبخر بحافر حمار أو بذبله أي روثه وشرب درهمين من زهر الياسمين الابيض أو أربعة مثاقيل من قشر خيار الشنبر اليابس ، أو شرب درهمين من الزعفران كل ذلك يسهل الولادة

(فصل فى الحبل والعقر والعقم والاجهاض والحيض)

القصد من الزواج التناسل وتكاثر أفراد العالم ليبقى إلى آخر اليوم المعين لبقائه، فاذا أراد الله تعالى إنهاء العالم وإفناءه أوحى إلى الارض أن لا تنبت ، والى الارحام أن لاتحمل . فيأخذ الموجود فى النقصان الي أن يعتريه الفناء ، وما دامت الارض تنبت والارحام تحمل فان وقت نهاية العالم لم يحن بعد ولم يجىء . ومن فضل الله تعالى أن جعل النساء يحبلن ويلدن لبقاء العالم إلى نهاية وقته المراد وأقل القليل منهن التى لاتحبل إما لمانع طبيعى أوعرضى ، ولكن ليس فى الامكان الحكم على امرأة ما قبل النكاح والدخول بها أنها تحمل وتلد أولا ، وإنما يستأنس لذلك بالقياس على ذوات قرابتها فى الغالب. والحبل معلوم لايحتاج إلى تعريف، والصفة منه حابلة وحبلى وحبلانه ، ولم ترد هذه المادة فى القرآن ولافى الحديث على ما أعلم وإنما الذى ورد الحمل ومايشتق منه . والعقر أن لايكون فى المرأة قابلية الحمل والولادة ولا يعرف ذلك إلا بعد دخولها فى سن الاياس وهو سن انقطاع حيضها ، والصفة منه عاقر قال الله تعالى (وكانت امرأتى عاقرا) والعقم موت كل من الزوجين بلا ولد سواء أكان لهما ولد ومات فى حياتهما أولم يكن لهما أصلا ، والصفة منه عقيم . والاجهاض تعمد إسقاط الجنين لسبب ما وهو حرام وبمثابة قتل النفس لاسيما اذا تخلق ودبت فيه الروح ، وجناية تعاقب المحاكم عليها فاعلته ، ولايجوز بحال من الاحوال ولو كان الجنين من سفاح . وإثمه على أبويه ليس على الولد منه شىء ، والمعاونة على إسقاط الجنين والدلالة على كيفية الاسقاط فى الاثم والجرم كالاجهاض . وأماسقوط الجنين من غير تعمد إسقاطه فلا إثم فيه لانه من علة فى الرحم مانعة من بقاء الجنين ونموه فيه ، ويجب على المبتلاة بسقوط جنينها التداوى . والحيض هو دم يخرج من رحم امرأة بالغة سليمة من الاعذار فى أوقات معينة ،وتحرم معه الصلاة والصيام والطواف وقراءة القرآن ودخول المساجد وقربان الزوج ما تحت إزار زوجته حتى تطهر. ومدة الحيض ومدة الطهر معروفتان عند كل امرأة بحسب حالها ، ولا مانع من أن ينام الزوج مع زوجته فى فراش

واحد وهى حائض ما دام يملك شهوته ، وإن خاف غلبة شهوته عليه فعليه أن ينام منعزلا عنها حتى تطهر . ومن الغريب فى حالة الحائض ماذكره ابن قتيبة الدينورى المتوفى سنة ٢٧٦ فى كتابه (تأويل مختلف الحديث) أن المرأة ـ الطامث أى الحائض ـ تدنو من اللبن لتسوطه ـ أى تخلطه ـ وهى منظفة الكف والثوب فيفسد اللبن ! وقد تدخل البستان فتضر بكثير من الغروس فيه من غير أن تمسها اهـ

واليهود يأنفون من الحائض ويجتنبونها كل الاجتناب فى أثناء حيضها فلا يجالسونها ولا يضاجعونها ولا يؤاكلونها ولا تطهر عندهم إلا باغتسالها بالماء البارد ، ولو صادف حيضها أيام البرد القارص ، وليس فى الاسلام شىء من ذلك إلا اعتزال ملامستها فيما دون الازار حتى تطهر ، ويكفى فى الشرع الاسلامى انقطاع حيضها لقربها وإن لم تغتسل (ماجعل الله عليكم فى الدين من حرج)

(فوائد للحبل وحفظ الجنين من السقوط)

وهذه بعض فوائد تعين على الحبل وتحفظ الجنين من السقوط نقلا عن كتابي (الفوائد الكمالية فى المنافع الدينية والدنيوية) قال ابن عبد ربه المتوفى سنة ٣٢٨ فى كتابه العقد الفريد : كل امرأة أودابة تبطىء عن الحبل ؛ اذا واقعها الفحل أو الرجل فى الايام التى يجري فيها الماء فى العود فانها تحبل باذن الله تعالى اهـ وفى كتب الطب والخواص أن التحمل بالانفحة أيا كانت بعد الطهر من الحيض ، أوشرب المرأة لبن فرس وهى لا تعلم ثم وطؤها عقبه ، وأكل الرجل خصية الأوز ثم وطؤها عقبه وتحمل المرأة بالخزامى بعد الطهر من الحيض ثلاثة أيام متوالية ، وشربها مغلى القرنفل ثلاثة أيام متوالية كل يوم درهمين بعد الطهر ، كل ذلك يعين على الحبل اذا لم يكن فى أحد الزوجين مانع يمنع منه . وشرب مغلى الكمون يقى الجنين من السقوط . وفي الطب الحديث وسائل كثيرة للحبل ووقاية الجنين فعلى من هو مبتلى بشىء من ذلك أن يراجع الاطباء المختصين بذلك ويعمل بما يقولون .

— ٥ —

باب

(فى حسن المرأة وجمالها ، وأدبها وكمالها)

فى الحديث الشريف « النظر الى المرأة الحسناء والخضرة يزيدان فى البصر » - رواه أبو نعيم فى الحلية عن جابر بن عبد الله - وفى حديث آخر « ثلاثة فاتنات الشعر الحسن والوجه الحسن والصوت الحسن » وقال أصحاب الاختصاص فى تعيين الجمال والحسن :

صاحب الحسن والجمال بحق من تميل القلوب طرا اليه

كلما لاح حسنه فى مكان كثرت زحمة العيون عليه

وقال آخرون : بل الحسن والجمال فى أعضاء مخصوصة بكيفيات مخصوصة من كانت فيه كان حسنا جميلا . وقال قائل : الجمال هو عبارة عن ميل الذوق واستحسانه لشيء . ورد هذا القول بأن الاذواق تختلف والطباع تتباين ، فكم من محبوب عند قوم مكروه عند آخرين . وقال ابن أبى طالب الانصارى المتوفى سنة ٧٢٧ فى كتابه (السياسة فى علم الفراسة) قال صاحب البرجانى : إذا اجتمعت فى المرأة الرباعيات فهي الكاملة الجمال والحسن ، سواد أربعة : شعر الرأس ، وشعر الجفون ، وشعر الحاجبين ، وسواد الحدقة ، وبياض أربعة : بياض لحمها ، وبدنها ، وأسنانها ، وكفيها ، بياضا نقيا ، واحمرار أربعة : اللسان ، والشفتين ، والوجنة ، واللثة ، وتدوير أربعة : الرأس ، والكعبين ، والكفل ، والنهدين ، وطول أربعة : القامة ، والعنق ، والحاجب ، والشعر ، وطيب أربعة : رائحة الانف ، والفم ، والابط ، والفرج ، ودقة أربعة : الشعر ، والخصر ، والانف ، واللسان ، ورقة أربعة : الشفتين ، والبشرة ، وأصابع اليدين ، والرجلين ، وصغر أربعة : الفم ، والانف ، والكف ، والقدمين ، وحرارة أربعة : البدن ، والنفس ، والفرج ، والقدمين ، وقبقبة أربعة : الظفر ، والفرج ، والثدى . وظهر الكفين ،

ورخوصة أربعة : العنق، والكفين ، والبطن ، والقدمين ، وسبوطة (١) أربعة : العنق ، والساقين ، والساعدين ، والكفين ،

وهى مع هذا متناسبة مقادير الاعضاء والرأس والوجه ، معتدلة القد بين الهزال المفرط والعبالة الزائدة ، معتدلة اللحم بين الصلابة والرهولة ، دعجاء الطرف زجاء الحاجبين ، مفلجة الثغر ، مرتجة الكفل ، حلوة الكلام . دون الطويلة وفوق القصيرة ويقول صاحب كتاب (السياسة فى علم الفراسة) أيضا إن العيون فى الحجازيات ، والخصور فى اليمنيات ، والشعور فى الكرجيات اه وقال بعض الشعراء مشيرا الى نساء قبائل من العرب اختصصن بشيء من الجمال :

خزاعية الاطراف كندية الحشا فزارية العينين طائية الفم

وفى كتب اللغة تفصيل لجمال النساء ولكل نوع إسم وهو ، الوضيئة — هى التى فيها مسحة من جمال ، الحسانة — بوزن جمانه — هي التي يشبه جمال بعضها بعضا الغانية — هى المستغنية بجمالها عن الزينة ، الوسيمة — هى ذات الحسن الثابت القسيمة — هى ذات الحظ الوافر من الحسن ، الرائعة — هى التى تسر من ينظر اليها الباهرة — هى الفائقة على غيرها بحسنها ، الخود — هى الحسنة الخلقة الغادة — هى الناعمة وهي أيضا الاملود والرود والبرهرهة ، البضة — هى الرقيقة الجلد الرعبوبة — هى البيضاء الناعمة ، الهيفاء — هي الضامرة البطن ، الغيداء — هى المتثنية من اللين ، الممسودة — هى الممشوقة القد ، البهنانة — هى الطيبة الريح ، العطبولة — هى الطويلة العنق ، الخريدة — هى الحبيبة ، العروب — هى المتحببة لزوجها

قال كعب بن زهير رضى الله عنه فى قصيدته (بانت سعاد) المشهورة

هيفاء مقبلة عجزاء مدبرة لايشتكى قصر منها ولا طول

وذكر أبو الفرج الاصبهانى المتوفى سنة ٣٥٦ فى كتابه (الاغاني) فى أخبار

---

(١) السبوطة ضد التجعد والتعقد بأن يكون لينا مسترسلا

عمر بن أبى ربيعة المخزومى المتوفى غرقا سنة ٩٣ أن الثريا بنت على بن عبد الله ابن الحارث بن أمية الأصغر التي كان عمر يشبب بها كانت على جانب عظيم من الجمال وتمام حسن الخلقة، وذكر أنها كانت تصب عليها جرة ماء وهى قائمة فلا يصيب ظاهر فخذيها منه شىء لعظم عجيزتها اهـ وقال شاعر:

أبت الروادف والثدى لقمصها مس البطون وأن تمس ظهورا

ويقال فى تقسيم الحسن: إن الصباحة فى الوجه، والوضاءة فى البشرة، والجمال فى الأنف، والحسن فى الوجه، والحلاوة فى العينين، والملاحة فى الفم، والظرف فى اللسان، والرشاقة فى القد، واللباقة - بالباء الموحدة - فى الشمايل، والبراعة فى الجيد، والرقة فى الخصر. كما هو مذكور فى كتاب فقه اللغة للثعالبى المتوفى سنة ٤٢٩ وفى كتاب أسرار النساء (لسليمان أعوان) أن الشعور لنساء الغانج - فى أفريقية - والأنوف للروم، والافواه للانكليز، والقامات للشراكسة، والالوان للألمان والاسنان للمصريات والسواعد للبلجيكيات، والافخاذ للايطاليات، والعيون للاسبانيوليات، والأرجل للصينيات. واللطافة للفرنسويات، فمن كانت فيها هذه الأشياء فهى الجميلة اهـ

فصل فى ترتيب سن المرأة

مادامت صغيرة فهى طفلة، فاذا تحركت فهى وليدة، فاذا كعب ثدياها فهى كاعب فاذا زاد تكعبهما فهي ناهد، فاذا أدركت فهى معصر، فاذا ارتفعت عن حد الاعصار فهى عانس، فاذا توسطت الشباب فهى خود، فاذا جاوزت الأربعين فهى مسلف، فاذا كانت بين الشباب والتعجيز فهى نصف، فاذا وجدت مس الكبر فهى شهلة وكهلة، فاذا عجزت وفيها تماسك فهى شهربة، فاذا صارت عالية السن ناقصة القوة فهى حيزبون، فاذا انحنى قدها وسقطت أسنانها فهى قلعم، ولططط، بكسر اللامين

(مباراة الجمال بين الفتيات)

أحدثت بعض الدول الاوروبيـة بدعة المباراة فى الجمـال بين فتيات العالم ممن يحببن الاشتراك فيها ، وليس هذا الاحـداث من الامور الهامة، بل هو إلى السخف أقرب منـه إلى الجد. حيث أنه ليس في وسع أحـد أن يكون سابقا فى الجمال على غيره إذ هو من المواهب لامن المكاسب، ولا يمكن الاتفاق بين العالم كله على تخصيص فتاة بأنها هى الوحيدة فى الجمال فى العالم لاختلاف الاذواق فيه، إلا أنه لايخلو من فائدة اعتنائهن بصحتهن فهو من هذه الجهة حسن .

باب —٦—

(فى ذكر جوامع أعداد ، لها بمدح النساء اعتداد)

أنقل من كتابي (لوامع الاسعاد فى جوامع الاعداد) ماله علاقة بمدح النساء من أعداد جامعة ، لاشياء رافعة ، من أحاديث نبوية، وأقوال حكمية ،وأبيات شعرية، مشيرا إلى الحديث بحرف الحاء ، وتاركا ماهو غيره بلا إشارة على السواء .

(عدد الاثنين)

« حبب إلى من دنياكم الطيب والنساء وجعلت قرة عينى فى الصلاة » (ح) - رواه الامام أحمد والنسائى والحاكم والبيهقى عن أنس بن مالك - « انى أحرج عليكم حق الضعيفين المرأة واليتيم » (ح) - رواه الحاكم والبيهقى عن أبى هريرة -

(عدد الثلاثة)

« ثلاثة لا تمسهم النار ، المرأة المطيعة لزوجها، والولد البار بوالديه ، والمرأة الصبور على غيرة زوجها » (ح) ، « لهو المؤمن باطل إلا فى ثلاث ، تأديبه فرسه ، ورميه عن قوسه وملاعبته مع أهله » (ح) « ثلاثة تقر العين المرأة الموافقة ، والولد الاديب، والاخ الودود، «ثلاثة تنسى المصائب، مر الليالى ، والمرأة الحسناء ، ومحادثة الرجال «الانس فى ثلاثة . الولد البار، والزوجة الموافقة، والصديق المصافى» « العيش فى ثلاثة ، سعة المنزل ، وكثرة الخدم ، وموافقة الأهل » ، «لاسمر بعد العشاء إلا لثلاث ، مؤانسة ضيف ، أو محادثة أهل ، أو مدارسة علم » « ذهبت اللذات إلا من ثلاث ، شم الصبيان ، وملاقاة الاخوان ، والخلوة مع النسوان »

(عدد الاربعة)

« أربع من السعادة المرأة الصالحة ، والمسكن الواسع ، والجار الصالح ، والمركب الهنىء» (ح) «أربع من سعادة المرء ، أن تكون زوجته صالحة ،وأولاده أبرار ، وخلطاؤه صالحين ، وأن يكون رزقه فى بلده » (ح) - رواه ابن عساكر والديلمي عن على وابن أبى الدنيا عن عبد الله بن الحكم عن أبيه عن جده - « أربع من أعطيهن فقد أعطى خير الدنيا والآخرة ، لسان ذاكر، وقلب شاكر، وبدن على البلاء صابر، وزوجة لاتبغيه خوفا فى نفسها ولا ماله صالحة تعين أحدكم على دينه»(ح) - رواه الطبرانى والبيهقى عن ابن عباس عن أبى هريرة - « تنكح المرأة لاربع، لمالها ولحسبها ، ولجمالها ، ولدينها ، فاظفر بذات الدين تربت يداك » - رواه البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى وابن ماجه -

عدد الخمسة

« خمس لا تنال بخمس ، مودة النساء بالغلظة ، ومودة الاخوان بالجفاء ، والآخرة بالرياء ، والعلم بالدعة ، والفضل بالهزل » « كمال المرأة فى خمسة أحوال مرضاة ربها ، وإطاعة زوجها ، وحفظ لسانها ، وزهدها فى متاع الدنيا ، وصبرها على المصيبة ».

عناية الاسلام بشأن المرأة

كانت المرأة قبل الاسلام مضطهدة أسيرة ذليلة لا قيمة لها عند جميع الشعوب والامم من عرب وغير عرب ، قال الاستاذ الفاضل الشيخ رشيد افندى رضا وهو اليوم فى عشر الثمانين من سنى حياته الحافلة بجلائل الاعمال الدينية فى كتابه المسمى (نداء للجنس اللطيف) كانت المرأة تشترى وتباع كالبهيمة والمتاع ، وكانت تكره على الزواج وعلى البغاء ، وكانت تورث ولا ترث وتملك (بضم التاء) ولا تملك (بفتحها) وكان أكثر الذين يملكونها يحجرون عليها التصرف فيما تملكه بدون إذن الرجل وكانوا يرون للزوج الحق فى التصرف بمالها من دونها ، وقد اختلفت الرجال في بعض البلاد فى كونها إنسانا ذا نفس وروح خالدة كالرجل أم لا ، وفى كونها تلقن الدين وتصح منها العبادة أم لا ، وفى كونها تدخل الجنة أو الملكوت فى الآخرة أم لا؟ فقرر أحد المجامع فى روميه (فى إيطاليا) أنها حيوان نجس لا روح له ولا خلود ولكن يجب عليها العبادة والخدمة وأن يكم فمها كالبعير والكلب العقور لمنعها من الضحك والكلام لانها أحبولة الشيطان ، وكانت أعظم الشرائع تبيح للوالد بيع ابنته ، وكان بعض العرب يرون أن للأب الحق فى قتل بنته بل فى وأدها ـ دفنها حية ـ وكان فيهم من يرى أنه لا قصاص على الرجل فى قتل المرأة ولا دية ، وكان أهم إنصاف للمرأة منحها إياه الشعب الفرنسى فى أوروبا بعد ولادة النبى ﷺ بخمس عشرة سنة ولم يكن يدرى هو ولا غيره ما سيجيء به النبى ﷺ من الاصلاح

البشرى العام والنسوى الخاص اه قال الكمال أحسن الله تعالى اليه : وقد حصل ذلك كله بصور كافية وافية بالغرض المقصود، فالمرأة فى الشرع حرة مختارة ترث وتورث وتملك (بفتح التاء) ولا تملك ولا تكره على فعل أى شىء يراد منها من مقبول ومردود، ولا حجر عليها فيما تملكه إلا بسبب، وليس لزوجها الحق فى التصرف بمالها إلا باذنها. وهى إنسان عاقل مكلف بمثل ما يكلف به الرجال مما يصح اشتراك التكليف فيه بينهما تتعلم وتعلم وتثاب على كل عمل خير تعمله فى الدنيا والآخرة اذا أرادت به وجه الله تعالى، وتدخل الجنة فى الآخرة اذا ماتت مسلمة مؤمنة وإلا فلا نعم إن عليها واجبات لزوجها كما لها عليه كما قال تعالى: (ولهن مثل الذى عليهن) وفى النساء الصالحة ومن هى حبالة من حبائل الشيطان، ويقاص قاتلها ومريد السوء بها مادة أو معنى ويحرم دفنها وهى حية إلى غير ذلك من الأحكام والحقوق مما هو مفصل موضح فى الشرع الاسلامى، وفى هذا الكتاب شىء كثير منه وكل ما يرى بحسب الظاهر أن فيه شدة على المرأة هو بالحقيقة ونفس الامر تخفيف عليها ورحمة بها كالحجاب مثلا فان القصد منه صونها من أن تمتد اليها العيون أولا ثم الأيدى ثانيا بما لا يحل مد العين واليد فيه، فالمتحجبة المستترة مصونة من وصول شر الاشرار اليها قولا وعملا بخلاف المتبرجة المتكشفة فانها عرضة الى كل خطر يدنس العرض ويلوث الشرف، لاسيما أن حالتها هذه كناية عن تعرضها لمن يريدها، ولو أن فى المتبرجات من لا يقصد هذا ولكن العبرة للغالب. وقد قيل من سالف الأزمان: كاد المريب أن يقول خذونى.

وقال الأستاذ شمس الدين الغريانى الموظف بدار الكتب المصرية فى مقالة نشرها فى جريدة المقطم: لم تكن المرأة فى عهد القانون الرومانى شيئا يؤبه له، فهى قبل زواجها تحت سلطة والدها فاذا تزوجت دخلت تحت سلطة زوجها فلا تستطيع التصرف فيما تملكه فهى أشبه بالعبيد الأرقاء، ثم أخذت تستعيد حريتها شيئا فشيئا حتى نالت منها قسطا ولكنه غير كامل وسبب سوء معاملتها ضعفها عن حماية نفسها . وأما القانون الفرنسوى فانه ترك للفتاة العذراء والأرملة كل حقوقها وحريتها من غير ولاية لأحد عليها مادامتا بالغتين سن الرشد، وأما المتزوجة فهى تحت سلطة زوجها المطلقة لا لضعفها

بل لوجوب طاعتها لزوجها فأهليتها لما كانت فتاة غير متزوجة أو أرملة تزول بزواجها لا لكونها امرأة بل لكونها زوجة ، فالمتزوجة لا تستطيع أن تتناول شيئا من ممتلكاتها ببيع أو هبة أو غير ذلك إلا بترخيص من زوجها مالم يكن غائبا غيبة طويلة يتعذر معها أخذ الاذن منه ، ولا تستطيع مزاولة مهنة إلا بعد موافقة زوجها ، وللزوج السلطة الواسعة فى مراقبة شئون زوجته الشخصية فله أن يمنعها من الاجتماع بأي شخص لا يريد اجتماعه بها ولا اجتماعها به ، وله أن يطلع على ما تكتبه وتراسل به وأن يفتح مكاتيبها المرسلة منها والمكاتيب الواردة اليها ، وله أن يمنعها من قراءة أى كتاب لايليق بها أن تقرأه . وهو مع ذلك يخاطبها بلفظ سيدتى افعلى كذا أو سيدتى لا تفعلى كذا اه قال الكمال أحسن الله تعالى اليه : وأين هذا التذبذب والتفريق فى المعاملة بين الابكار والارامل والمتزوجات من نساء فرنسا من قانون العدل والاحسان قانون الشرع الاسلامي فى معاملة النساء من غير تفريق فى الصفة حيث قال تعالى (ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة) فالمرأة فى الشرع الاسلامى لابد لها من ولى وهى حرة فيما تملكه وتتصرف به مالم تكن سفيهة أومبذرة ، وليس لزوجها أن يطلع على أسرارها إلا إذا حدث منها مايوقعه فى الشبهة ، وليس له أن يسافر بها إذا شرط لها أن لايخرجها من بلدها ، وأما إذا لم يشترط لها ذلك فقد كان الحكم الشرعى أن لايسافر بها من بلدها قدر مدة السفر ، ثم أفتى شيخ الازهر السابق الشيخ محمد مصطفى المراغي بلزوم ذهاب الزوجة مع زوجها أينما ذهب عملا بقول بعض أئمة الفقه من غير أصحاب المذاهب الأربعة للحكمة المقتضية لذلك ، وهى لزوم أن تكون الزوجة مع زوجها والزوج مع زوجته ليحصل التعاون منهما على الحياة المعاشية لا سيما فى هذه الأوقات التى كثرت فيها وسائل المناقلات ، فلم يبق مجال لأن يقال بعد وقرب يخشى منه عليها ، فأبعد مكان يتوصل اليه بأقرب مدة وهذا أمر حق فانه لاينكر تغير الأحكام بتغير الأزمان مما فيه المصلحة للناس والرفق بهم والحمدلله على دين الاسلام فانه دين تسهيل ورفق ويسر كما قال تعالى (ماجعل عليكم فى الدين من حرج) اللهم أحينا مسلمين وأمتنا مسلمين وألحقنا بعبادك الصالحين

باب — ٧ —

﴿ فى ذكر ماجاء من ذم النساء والأمر بمعاملتهن بالشدة والجفاء ﴾

كل شيء بحد ذاته قابل لان يمدح ويذم ، ويقبل ويرد، باعتبار ماتركب منـــه من العناصر . فالنساء يمدحن ما كن متمسكات بالشرع الاسلامى من اتباع أمر واجتناب نهى ، كما أنهن يذممن اذا خالفن أمر الله تعالى إيجابا وسلبا بالرغم مما فيهن من طبائع وأخلاق وعادات كادت تكون جبلة فيهن، وإنما التعليم الدينى يزيل تلك المنكرات كلها أو يخفف وطأتها ، وما من داء إلا له دواء . وقد وصف الله تعالى النساء فى القرآن الكريم بأوصاف كثيرة مذمومة منها كونهن شهوة ، ونقص عقولهن، وعجزهن عن القيام بأمورهن، واحتياجهن لولى يقوم عليهن، ولمن يحصنهن ونسبته حصول كثير من المنكرات لهن، واذاعتهن الأسرار والخيانة لأزواجهن والكيد وقوة الشهوة والوقاحة والافتراء وغير ذلك مما هو مذكور فى القرآن الكريم وليس بالقليل . وتجد سورة يوسف عليه السلام فيها كثير من تلك الأوصاف المذمومة فيما حصل بينه وبين امرأة العزيز وهى واحدة من النساء :

وما أتى من مثله واحد فجائز إتيان أمثاله

ولا يقال إن ذلك خاص بامرأة فى واقعة حال مفردة، كلا فان القاعدة الأصولية أن العبرة لعموم اللفظ لا لخصوص السبب كالقوانين التى تضعها الحكومات فانها قد تكون بسبب واقعة حصلت وانما يطبق عليها كل ما كان من شكلها فلا يقال إن هذه المادة أو هذا القانون كان بسبب الحادثة الفلانية فلا يطبق على غيرها وهذا لا يختلف فيه اثنان

أما كون النساء شهوة فدليله قوله تعالى (زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين) الخ الآية . عدد الله تعالى جملة أشياء وصفها بانها شهوة بادئا منها بالنساء دليلا على أن الأهم المقدم ولذلك قالت السيدة عائشة رضى الله تعالى عنها من شقوتنا أن الله تعالى قدمنا حين ذكر الشهوات اهـ والشهوة حركة النفس لطلب ما يلائمها والنفس أمارة بالسوء فلا تطلب إلا ما فيه هواها ورداها فالشهوة إذن هى

اتباع هوى النفس من غير تقيد بشرع أو عرف ، وتطلق فى الغالب على الأمور البهيمية من الملاهى والاستمتاع وغير ذلك ، وعلى قدر قوتها فى النفوس تكون الخسة والضعة بنظر أهل العقول الصحيحة السليمة ولا يرد عليه أن ماذكره الله تعالى فى الآية بعد ذكر النساء من البنين وكثرة المال والخيل والأنعام والحرث شهوة أيضا لأنه ذكره فى آيات أخرى فى معرض المدح والامتنان به على خلقه ولا يمن بما هو مذموم قال الله تعالى (المال والبنون زينة الحياة الدنيا) ولا تكون الزينة مذمومة إلا إذا اشتملت على منكر وقال حكاية عن سيدنا نوح عليه السلام مع قومه (فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم بأموال وبنين) ولا تكون نتيجة الاستغفار الانعام بالشىء المذموم ، فالاموال والبنون تمدح وتذم بحسب مايترتب عليها ، أما الشهوة فانها مذمومة لذاتها لانها لاتكون موافقة للشرع ، ولا هى محل للثواب عليها . والشهوة ماتذكر إلا وهى مذمومة قال شاعر :

رب مستور سبته شهوة فعرى عن ستره وانهتكا

صاحب الشهوة عبد فاذا ملك الشهوة أضحى ملكا

وقد كانت زوجتى السيدة قدسية كريمة الشيخ جمال الدين القاوقجى رحمهما الله تعالى لاتحب أن تسمع منى كلمة شهوة وذلك إني إذا سألتها عما تريده قائلا لها الرجل يأكل بشهوة عياله؟ تقول لى : لاتقل بشهوة عياله فانه عيب بل قل باشتهاء عياله اه وفى قوله تعالى زين بالبناء لما لم يسم فاعله مايفيد أن المزين غير الله لما فى آيات أخرى تدل على أن المزين هو الشيطان كقوله تعالى (الشيطان زين لهم) وقوله تعالى (وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم) وقوله تعالى (وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم)

وأما نقص عقولهن وضعف ضبطهن فدليله قوله تعالى (واستشهدوا شهيدين من رجالكم فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الاخري) وقد ذكر الفقهاء : أنه لو شهدت ألف امرأة

ليس معهن رجل لم تصح شهادتهن ، نعم إنه تقبل شهادة اثنتين فما فوق فيما لا يعلم إلا من جهتهن كشهادة امرأتين أو أكثر على أن فلانة حبلى ، أو غير حبلى ، فانهما تقبل شهادتهما من دون أن يكون معهما رجل للضرورة وهى عدم جواز اطلاع الرجل على عورة المرأة ليعلم أنها حبلى أو غير حبلى مثلا والضرورة تقدر بقدرها كما هى القاعدة الأصولية

وأما عجزهن عن القيام بأمورهن بأنفسهن فدليله قوله تعالى (الرجال قوامون على النساء) وإنما يقام القيم على العاجز والقاصر والضعيف والمعتوه والسفيه والمبذر لما فى كل أولئك من معنى العجز عن حفظ كيانه وصيانة ماله وحماية نفسه والمرأة من هذا القبيل ، فلذلك كان قيام الرجل عليها لازما ولا تصح تصرفاتها إلا بموافقة وليها وولى المرأة أبوها أو ابنها أو أخوها أو زوجها والأقرب لولايتها زوجها ، فان لم يكن لها زوج فابنها ، فان لم يكن لها ابن فأبوها ، فان لم يكن لها أب فأخوها ، فان لم يكن لها أخ فعمها ، فان لم يكن لها عم فالأقرب اليها نسبا .

وأما كون إحصانهن من غيرهن لا من أنفسهن فدليله قوله تعالى (والمحصنات من النساء) ذكرهن الله بصيغة اسم المفعول إشارة إلى أن إحصانهن من غيرهن وهو الولى عليهن ، ولذلك لا يصح أن تزوج امرأة نفسها من غيرها بلا ولاية ولى عليها لعدم تمييزها بين معرفة ما ينفعها وما يضرها فى عاجل أمرها وآجله ، إذ ليس عندها من النظر والتفكير ما يسوغ لها زواجها نفسها ، وكم من امرأة استبدت بأفعال نفسها فكانت عاقبة أمرها خسرا . وبمقابلة ذكر الله تعالى المحصنات بصيغة اسم المفعول ذكر الرجال بصيغة اسم الفاعل فقال تعالى (محصنين غير مسافحين ولا متخذى أخدان) إشارة إلى أن إحصان الرجال من أنفسهم لا بسبب غيرهم

وأما نسبة حصول المنكرات لهن فدليله قوله تعالى (فان أتين بفاحشة) وقوله تعالى (الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مئة جلدة) حيث نسب إتيان الفاحشة اليهن وقدم الزانية على الزانى إشارة إلى أنه لا يزني رجل بامرأة إلا

بموافقتها ورضاها فى الغالب مهما ظهر منها أباء وامتناع ، قال بشار بن برد المتوفى سنة ١٦٨

لايؤيسنك من مخـــدرة قول تغلظـــه وإن قبحا

عسر النساء إلى مياسرة والصعب يركب بعدماجمحا

وقال الجاحظ المتوفى سنة ٢٥٥ فى كتابه المحاسن والأضداد : وقيل لوأن أقبح الناس وجها ،وأنتنهم رائحة ، وأظهرهم فقرا ، وأسقطهم نفسا، وأوضعهم حسبا ، قال لامرأة والله يا مولاتى لقد أسهرت ليلى ، وأرقت عيني ، وشغلتنى عن مهم أمرى فما أعقل أهلا ولا ولدا لمالت اليه وأحبته ولو كانت أبرع الناس جمـالا وأكملهم كمالا ، وأملحهم ملاحة . وكانت مثل أم الدرداء أو معاذة القيسية أو رابعة العدوية اه وفى تقديم الزانية على الزانى فى هذه الآية السالفة الذكر وتأخير السارقة عن السارق فى آية (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما) إشارة إلى مسارعة النساء فى شهواتهن أكثر من مسارعتهن لسد حاجاتهن ودفع ضرورتهن ، لأن السارق إنما يسرق عن احتياج لاعن شهوة ، وأما الزانية فانها تزنى عن شهوة لاعن احتياج ، لأن احتياجها يمكن تلافيه بعمل غير الزنا ، وليس لها مهما اشتدت بها الحاجة والضرورة أن تنتهك عرضها. وقد قيل من القديم تموت الحرة ولاتأكل بثدييها، فكيف بفرجها على أن أكلها بثدييها أى إرضاعها طفل غيرها بأجرة ليس محظورا شرعا ، ولا منفورا منه عرفا ، فلم يبق إلا أن زناها أمرأ قرب الى تسكين شهوتها من دفع حاجتها .

وأما إذاعتهن للأسرار وعدم كتمانهن لها فدليله قوله تعالى (واذ أسر النبي الى بعض أزواجه حديثافلما نبأت به وأظهره الله عليه عرف بعضه وأعرض عن بعض) نعم إن المرأة تقدر على كتم سر عمرها فانها تبلغ الخمسين أومافوقها ويظهر عليها آثار الكبر والانحطاط واذا سئلت عن عمرها قالت إنها دون الثلاثين ، أو أن فلانة التى هى فى عداد أولادها أكبرمنها، كأن مر السنين لايؤثر على سنى عمرها تأثيرا تزيد فيه . وأعرف امرأة كنت أرغب أن أتزوج بها سنة ١٣١٥ ه وهى

فى ذلك التاريخ لاتقل عن خمس عشر سنة تقول اليوم ونحن فى سنه ١٣٥٣ إن عمرها مابلغ الثلاثين بعد ، ولها ولد من الزوج الذى تزوجت به لايقل عمره عن اثنتين وعشرين سنة اليوم ، وقد تزوج وولد له ولدان . وهذا التشدد فى كتم سن أعمارهن مما لامزيد عليه عند المتشددين * وفيه نساء تعرف أن الكذب مذموم ولاتكذب

وأما خيانتهن لأزواجهن فدليلها قوله تعالى (ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبـــادنا صالحين فخانتاهما) والخيانة أنواع ؛ تكون فى العهد والمال والعرض ، وأشدها ضرراخيانة الزوج فى عرضه بأن يكون لها صاحب تستسلم اليه فيتمتع بها ، وربما حملت منه فكان الحمل لزوجها إذلايعلم بحقيقة الأمر ، فتحمل به وتلده على اعتبار أنه ابنه يشارك أهل أبيه فى النسب والمال ولاضرر أعظم من خيانة الزوجة لزوجها فى عرضه ، ولذلك ورد فى الحديث الشريف أن عليها نصف عذاب هذه الأمة . ولفظ الحديث « إن التي تورث المال غير أهله عليها نصف عذاب هذه الأمة » — رواه عبد الرزاق عن ثوبان — وفى حديث آخر « اشتد غضب الله على امرأة أدخلت على قوم ولدا ليس منهم يطلع على عوراتهم ويشركهم فى أموالهم » — رواه البزار عن عبد الله بن عمر بن الخطاب — وفى حديث آخر « أيما امرأة أدخلت على قوم من ليس منهم فليست من الله فى شىء ولن يدخلها الله جنته ، وأيما رجل جحد ولده وهو ينظر اليه احتجب الله عنه وفضحه على رؤس الأولين والآخرين يوم القيامة» — رواه أبوداود والنسائى وابن ماجه وابن حبان ورواه الحاكم أيضا عن أبى هريرة —

وحكايات خيانات الزوجات لأزواجهن كثيرة مستفيضة شائعة لا يخلو منها زمان ولامكان ، وقد كانت تسطر فى الكتب فصارت فى هـــذا العصر تنشر على صفحات الجرائد ويتناقلها الركبان فى جميع أقطار الأرض بسبب ما للجرائد من قوة الذيوع ووسائط الانتشار ، وماقصة خيانة لطفيه من آل اليافى لزوجها فوزى الغزى بمجهولة عند أحد من الناس وقد صدق من قال عنهن : عقولهن فى فروجهن .

وأما الكيد وهو المكر والخبث والحيلة والزيادة فى إظهار التظلم تهويلا

للأمر بالكذب فهو من صفات النساء اللازمة لهن، وقد وصفه الله تعالى بالعظم فقال (إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم) وهون كيد الشيطان أمام كيد النساء فقال تعالى (إن كيد الشيطان كان ضعيفا) فالنساء بكيدهن أشد من الشيطان بكيده على الرجال وقد استعاذ رسول الله ﷺ من كيد النساء فقال « اللهم إنى أعوذ بك من امرأة تشيبنى قبل المشيب » وقال فى حديث آخر « اللهم إنى أعوذ بك من فتنة النساء - رواه الخرائطى عن سعد - قال العلامة الآلوسى المتوفى سنة ١٢٧٠ ه فى تفسيره والخطاب عام للنساء مطلقا وكونه لها - أى لامرأة العزيز - ولجواريها كما قيل ليس بذاك، وتعميم الخطاب للتنبيه على أن الكيد خلق لهن عريق بهن ، كما قال أبو تمام الشاعر المتوفى سنة ٢٣١ه :

فلا تحسبا هندا لها الغدر وحدها سجية نفس كل غانية هند

ولربات القصور منهن القدح المعلى من ذلك لأنهن أكثر تفرغا من غيرهن ، ولعظم كيد النساء اتخذهن إبليس وسائل لاغواء من صعب عليه إغواؤه ، ففى الخبر ماأيس الشيطان من أحد إلا أتاه من جهة النساء . وحكى عن بعض العلماء أنه قال أنا أخاف من النساء مالا أخاف من الشيطان ، فان الله تعالى يقول (إن كيد الشيطان كان ضعيفا) وقال للنساء (إن كيدكن عظيم) ولان الشيطان يوسوس مسارقة وهن يواجهن به . وما قيل إن ماذكر من نسبة الكيد محكى عن قطفير (عزيز مصر) لا يصلح للاستدلال به ليس بشىء ، لان الله سبحانه وتعالى قصه من غير نكير فلا جناح فى الاستدلال به ، وكان بعض الرجال الأخيار المبتلين بالنساء الأشرار يقول :إني لأستعيذ بالله من شر زوجتى أكثر مما أستعيذ به من شر الشيطان الرجيم ، لأن الله تعالى يقول خطابا للشيطان (إن عبادى ليس لك عليهم سلطان) وأنا من عباده إنشاء الله تعالى ، وأما النساء فليس فى القرآن مايحفظنى منهن حتى لاأستعيذ بالله من شرهن اه

والمرأة الشريرة أشد على الرجل من الشيطان، وقدرتها على البكاء والشهيق والصراخ تعينها على أن تظهر بمظهر المظلومة وهى الظالمة فى كثير من الأحوال ، ومن ظلمها يلقى الرجال أنواع الأهوال .

وأما قوة الشهوة فظاهرة من مراودة امرأة عزيز مصر ليوسف عليه السلام عن نفسه وهى امرأة كبيرة سنا ومقاما فلم يمنعها كبر سنها ولا علو مقامها من أن تتغلب على شهوتها وتحفظ شرفها من أن تبتذله بعرض نفسها على من يعد بحسب الظاهر أنه خادم لها ولم تكتف بذلك بل أصرت عليه وهددته بالسجن والتعذيب إن لم يفعل ماطلبته منه ، وفى ذلك دليل بين على ماعندها من قوة الشهوة .

وأما الوقاحة والافتراء فى النساء فهو أيضا ظاهر من قصة امرأة العزيز مع يوسف عليه السلام ، فقد حصحص الحق وتبين أنه برىء معصوم وأنها هى المتعرضة له ومع ذلك ماخجلت ولا استحيت ولا واربت فى كلامها بل أصرت عليه وطلبت تنفيذه بالقوة والعنف ، وهذا منتهى الوقاحة . والشهوة فى النساء على الاطلاق أقوى منها فى الرجال ولاسيما نساء البلاد الحارة ، ومن أجل ذلك كان من امرأة العزيز ما كان باعتبار أنها امرأة فى بلاد لتربتها تلك الخاصة ، والمرأة لاتتبدل قوة شهوتها بكبر سنها ورقة جلدها ، بل هى فيها على حالة واحدة . وإنما يمنعها من الجهر بها عدم اعتقادها بمن يابي طلبها ، لان الناس لايألفون قرب العجائز مهما يكونوا ذوى شهوة قوية الا مانذر ، فالطعن فى السن لايؤثر عليها مادامت حية تسعى . وأما شهوة الرجل فانها محدودة بحد اذا بلغته لا تتعداه بل تأخذ بالتقهقر والانحطاط حتي يصل الى درجة لايشتهى معها النساء ، وليس لذلك سن معينة بل هو بحسب قوة البنية وضعفها وصحة الجسم ومرضه .

وأما المكر فهو ظاهر من قوله تعالى : (وقال نسوة فى المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حبا إنا لنراها فى ضلال مبين) حيث لم يكن هذا القول منهن غيرة عليها ولا لتألم من سوء حالها ، ولكن لتسمع به امرأة العزيز فتستدعيهن فينظرن يوسف حيث بلغهن من جماله ما شغل بالهن ، وقد ورد فى الأحاديث أنه أعطى نصف الحسن ، وعلى أمل أن يستخلصنه لأنفسهن ، فعلمت زليخاء وهى امرأة العزيز (وقيل اسمها راعيل) بما قصدنه وأردنه وعرفت أنه مكر منهن كما قال الله تعالى : (فلما سمعت بمكرهن أرسلت اليهن وأعتدت لهن متكئا وآتت كل واحدة منهن سكينا

وقالت اخرج عليهن فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن وقلن حاش لله ما هذا بشرا إن هذا إلا ملك كريم قالت فذلكن الذي لمتنني فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين) وقد روى أنهن قلن له أطع مولاتك واقض حاجتها لتأمن من عقوبتها فانها المظلومة وأنت الظالم . وروى أن كل واحدة منهن طلبت الخلوة به لتنصحه ، فلما خلت به دعته لنفسها فيالله من مكر النساء وعهرهن يقلن عن امرأة العزيز (إنا لنراها فى ضلال مبين) ثم ينصحنه بأن يطيعها ، ثم يطلبن الخلوة به لنصحه ، حتى إذا خلت كل واحدة به طلبت منه أن يقع عليها فهل بعد هذا مكر فوق هذا المكر اه قال الكمال أحسن الله تعالى اليه : ويستنبط من قصة زليخاء امرأة العزيز وما وقع ليوسف عليه السلام معها غير ما ذكرناه أن النساء ينصر بعضهن بعضا بحق وبلا حق حيث قلن له أطع مولاتك وأتهمنه بأنه ظالم لها لعدم إجابته وإنها مظلومة حيث منعها ما أرادت ، وهذا طبيعة فى النساء لاتتبدل . فانه مهما حصل من خلاف بين النساء والرجال وكان الحق ظاهرا مع الرجل ينقلبن عليه وينتصرن لمن هى منهن سواء أكن يعرفنها أم لم يعرفنها وأن عزيز مصر كان حليما سليما حيث لم ينبض له عرق ولا تهيج له دم ، وقد علم وتحقق ما فعلته امرأته بل اكتفى بقوله : (يوسف أعرض عن هذا واستغفرى لذنبك إنك كنت من الخاطئين) قال العلامة الآلوسى : كان قطفير عزيز مصر رجلا حليما كما روي عن الحسن ، ولذا اكتفى بهذا القدر من مؤاخذتها . وروى أنه كان قليل الغيرة . وفى البحر أن تربة إقليم قطفير اقتضت ذلك اه ما قاله

— ٨ — باب

﴿ فيما جاء من الاحاديث فى ذم النساء ﴾

وأما ما وردمن الاحاديث فى ذم النساء فهذا بعض منها قال رسول الله ﷺ « النساء حبائل الشيطان » ـ رواه البيهقى وابن عساكر عن عقبة بن عامر ـ وفى حديث آخر : «النساء لايستشرن ولايختبرن » وفى حديث آخر «إن أقل ساكنى الجنة النساء » ـ رواه الامام أحمد ومسلم عن عمران بن حصين ـ وفى حديث

آخر « عامة أهل النار النساء » - رواه الطبرانى عن عبدالله بن حصين - وفى حديث آخر : « ألا إن النار خلقت للسفهاء وهن النساء إلا التى أطاعت بعلها » وفى حديث آخر : « إن إبليس الملعون يخطب شياطينه فيقول عليكم باللحم وبكل مسكر وبالنساء فانى لم أجد جماع الشر إلا فيها » وفى حديث آخر : «لولا النساء لعبد الله حقا» - رواه الديلمى عن أنس وابن عدى عن عبد الله بن عمر بن الخطاب - وفى حديث آخر : « لولا المرأة لدخل الرجل الجنة » - رواه الثقفى عن أنس - وفى حديث آخر : « اطلعت فى الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء واطلعت فى النار فرأيت أكثر أهلها النساء والاغنياء » - رواه عبد الله ابن الامام احمد ابن حنبل عن عبد الله ابن عمرو بن العاص - وفى حديث آخر : « مثل المرأة الصالحة في النساء كمثل الغراب الأعصم (١) الذى إحدى رجليه بيضاء » - رواه الطبراني عن أبي أمامة - وفى حديث آخر : « الدنيا حلوة خضرة وإن الله تعالى مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا والنساء فان أول فتنة بنى إسرائيل كانت من النساء » وفى حديث آخر : « ليأتين على الناس زمان لو وقع حجر من السماء إلى الأرض ما وقع إلا على امرأة فاجرة أورجل منافق » - وفى حديث آخر: « إذا كان الشؤم فى شيء ففى ثلاث المرأة والدار والفرس » وفى حديث آخر « النساء غل قمل يقذفه الله فى عنق من يشاء ثم لايخرجه إلا هو » - وفى حديث آخر : «ما صعب على الشيطان أمر فأتاه من جهة النساء إلا هان عليه » وفى حديث آخر : « ما أخاف على أمتي فتنة أخوف عليها من النساء والخمر» - رواه يوسف الخفاف عن على بن أبى طالب. وفى حديث آخر : « ما تركت بعدى فتنة أضر على الرجال من النساء » - رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى وأحمد بن حنبل عن أسامة بن زيد - وفى حديث آخر : « ما رأيت ناقصات عقل ودين أسبى للب ذوى الألباب منكن » - رواه ابو نعيم عن عبد الله بن عمر - وفى حديث آخر : «ما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لذى لب من إحداكن أما نقصان العقل فان شهادة امرأتين بشهادة رجل وأما نقصان

(١) يريد قلة النساء الصالحات

الدين فان إحداكن تفطر رمضان وتقيم أياما لا تصلى » يعنى فى حالتى الحيض والنفاس. وقد بينت الأحكام الفقهية ان الحائض والنفساء تقضى صيام رمضان ولا تقضى ما تركته من الصلاة - وفي حديث آخر « اتقوا الدنيا واتقوا النساء فان إبليس طلاع رصاد وماهو بشيء من فخوخه بأوثق لصيده في الاتقياء من النساء » - رواه الديلمى عن معاذ - وفى حديث آخر : « استعيذوا بالله من شرار النساء وكونوا من خيارهن على حذر » وفى حديث آخر « شاوروهن وخالفوهن فان البركة فى خلافهن » - وفي حديث آخر « أخروا النساء من حيث أخرهن الله » وفى حديث آخر « يقطع الصلاة الكلب والحمار والمرأة » وفي حديث آخر : « اذا استقبلتك المرأتان فلا تمر بينهما خذ يمنة أو يسرة » - رواه البيهقى عن عبد الله بن عمر بن الخطاب - وفى حديث آخر : « لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة » - رواه البخارى والترمذى والنسائي واحمد ابن حنبل عن أبى بكرة - وفى حديث آخر : « كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون ومريم ابنة عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد» - رواه البخارى ومسلم والترمذى وابن ماجه واحمد ابن حنبل عن أبى موسى الأشعرى. وفى حديث آخر : « طاعة النساء ندامة - رواه البيهقى وابن عساكر عن عائشة - وفى حديث آخر : « هلك الرجال حين أطاعت النساء » - رواه الامام أحمد والطبرانى والحاكم عن أبى بكرة - وفى حديث آخر : « أريت النار فاذا أكثر أهلها النساء لانهن يكفرن العشير ويكفرن الاحسان لوأحسنت إلى إحداهن الدهر ثم رأت منك شيئا قالت مارأيت منك خيرا » وفى حديث آخر : « من تسع وتسعين امرأة واحدة فى الجنة وبقيتهن فى النار - وفى حديث آخر : « يامعشر النساء تصدقن فانى رأيتكن أكثر أهل النار قلن وبم يارسول الله ؟ فقال تسرعن اللعن وتكثرن الطعن وتكفرن العشير اذا جعتن دقعتن (١) وإذا شبعتن أشرتن - وفى رواية حجلتن ».

(١) دقع رضى بالدون من المعيشة وساء احتماله للفقر ولصق بالتراب ذلا وفقرا وأشر بطر وحجل رفع رجلا ومشى متريثا على رجله الاخرى كناية عن البطر

وفى حديث آخر : « رأيت كأن امرأة سوداء ثائرة الرأس خرجت من المدينة حتى نزلت بمهيعة فأولت أن وباء المدينة نقل اليها » - رواه البخاري والترمذى وابن ماجه عن عبد الله بن عمر بن الخطاب - ومناسبة ذكر هذا الحديث مع ما قبله كون وباء المدينة تمثل لرسول الله صلى الله عليه وسلم بصورة امرأة إشارة الى أن بين النساء والوباء مناسبة وعلاقة - فهذه ثلاثة وثلاثون حديثا فى ذم النساء . وروى أيضا أنهن محملات الآصار ومكلفات الاوزار وأكثر أهل النار لا يصبر عليهن إلا الأخيار

— ٩ — باب

﴿ فيما جاء فى ذم النساء عن الحكماء ﴾

وأما ما قيل من غير الآيات والاحاديث فى ذمهن فكثير منه ما جاء فى حكمة داود عليه السلام وهو : وجدت من الرجال واحدا فى العدد ولم أجد واحدة فى النساء جميعا . وفى العقد الفريد لابن عبد ربه المتوفى سنة ٣٢٨ أجمعت العرب والعجم على أربع كلمات ؛ فقالوا لا تحملن مالا تطيق ، ولا تعمل ما ليس لك فيه فائدة ، ولا تثق بامرأة مهما تكن ، ولا تغتر بمال وإن كثر . وفى كتاب مروج الذهب للمسعودى المتوفى سنة ٣٣٦ قال الحجاج بن يوسف الثقفى المتوفى سنة ٩٥ للوليد بن عبد الملك : ياأمير المؤمنين دع عنك مفاكهة النساء ولا تطلعهن على سرك ومكايدة عدوك ، ولا تطمعهن فى غير أنفسهن ، ولا تشغلهن بأكثر من زينتهن ، وإياك ومشاورتهن فى الأمور فان رأيهن إلى أفن ، وعزمهن إلى وهن ، واكفف عليهن من أبصارهن بحجبك لهن ، ولا تملكهن من الأمور ما يجاوز أنفسهن ، ولا تطمعهن أن يشفعن عندك لأحد ، ولا تطل الجلوس معهن فان ذلك أوفر لعقلك ، وأبين لفضلك . وفى كتاب اللطائف والظرائف للثعالبى المتوفى سنة ٤٢٩ كان الخليفة المأمون المتوفى سنة ٢١٨ يقول : النساء شر كلهن ومن شر ما فيهن قلة الاستغناء عنهن اهـ وقال لقمان الحكيم لابنه : يابنى إذا أردت أن تقوي على الحكمة فلا تملك نفسك للنساء ، فان المرأة حرب ليس فيها صلح ، إن أحبتك أكلتك ، وإن أبغضتك أهلكتك . وقال أيضا : اتق المرأة السوء فانها تشيبك قبل المشيب ، واتق شرار النساء

وكن من خيارهن على حذر . وقال معاوية بن أبي سفيان المتوفى سنة ستين رضى الله تعالى عنه النساء يغلبن الكرام ويغلبهن اللئام . وقالت الحكماء : لم تنه امرأة قط عن شيء إلا فعلته . وسئل بعضهم أى النساء أحب اليك الطويلة أو القصيرة ؟ فقال القصيرة قيل ولم ؟ قال لأن النساء شر كلهن ، وما قصر من الشر كان أقل ضررا مما طال . وقال الشيخ احمد الأبشيهى المتوفي سنة ٨٥٢ فى كتابه المستطرف قال حكيم : آخر عمر الرجل خير من أوله ، يثوب حلمه ، وتثقل حصاته ، وتحمد سريرته ، وآخر عمر المرأة شر من أوله ، يذهب جمالها ، ويذرب لسانها ، ويعقم رحمها ، ويسوء خلقها . وقال حكيم آخر : أضر الاشياء بالدين والعقل والجسم والمال الغرام بالنساء ، فان النساء متي عرفن قلبك بالغرام ، ارعفن أنفك بالرغام ـ أى أذللنك ـ وقال آخر : لا ينبغى للعاقل أن يمدح امرأة إلا بعد موتها وقال طفيل الغنوى :

إن النساء متى ينهين عن خلق فانه واقع لا بد مفعول

ينهين بفتح الياء وضمها وقال الزمخشرى المتوفى سنة ٥٤٧ في كتابه نوابغ الكلم : آنث من نسوة من اتخذ النسوة له أسوة وقال يتهكم بالنساء :

إن قومى تجمعوا وبقتلى تحدثوا

لا أبالى بجمعهم كل جمع مؤنث

وقالت بعض فضليات النساء : إنما النساء أغلال فليختر أحدكم غلا ليده وعنقه وفي كتاب تعبير الأحلام للشيخ الأكبر محي الدين بن عربى المتوفى سنة ٦٣٨ لا يعتد برؤيا المرأة لعدم التثبت منها فى أطوارها يقظة . وفى غيره من كتب تعبير الأحلام أن النعل تعبر بالمرأة فمن رأى في منامه أنه خلع نعله دل على أنه يطلق امرأته والعوام إذا أرادوا أن يدعوا علي أحد بشر قالوا يضربه عفلق والعفلق في اللغة المرأة الخرقاء البذيئة المنطق ، كأنهم يرون ابتلاء المدعو عليه بمثل تلك المرأة أشد ما يأتي عليه والترك يقولون المرأة طويلة الشعور قصيرة الشعور على كتفها خرج ، فما كان من خير رأته من زوجها فهو فى الجهة التى وراء ظهرها وما كان من شر زعمته فهو فى الجهة التي أمامها . قال الكمال أحسن الله تعالى اليه: وقد قال الترك هذا القول وقما

كانت النساء تفتخر بطول شعورها ، وأما اليوم فقد أصبحن يقصصنه كما يقصه الرجل فأصبحن بلاشعور ولاشعور ، وهم يسمون القملة كهلة ، والكهلة فى العربية المرأة التى هى بين الثلاثين والاربعين من عمرها، فكأنها بنظرهم وهى فى سن الفتاة وبلوغ الرشد والاشد بمنزلة القملة ودرجتها وقيمتها ، فما بالك بمن هى فوقه أودونه وقال سيدنا على رضى الله تعالى عنه : لاتتخذوا النساء على حال ، ولا تأمنوهن على مال ، ولاتدعوهن يدبرن أمر العيال ، فانهن إن تركن ومايردن أفسدن المسالك وأوردن المهالك. وقد وجدناهن لاورع لهن عند شهواتهن، ولامروءة لهن عند خلواتهن يتهافتن على العصيان ، ويتمادين فى الطغيان ، ينكرن الكثير اذا منعن القليل . ينسين الخير ويذكرن الشر ، صوالحهن غادرات ، وطوالحهن فاجرات ، وأما المعصومات فهن المعدومات . إذا ائتمن على مال ضاع ، أو على سر شاع . فاستعيذوا بالله من شرارهن وكونوا على حذر من خيارهن . وفى كتاب الأوائل والأواخر للجلال السيوطي المتوفى سنة ٩١١ أول فتنة بنى إسرائيل كانت من النساء - أى من جهة قتل يحي بن زكريا عليهما السلام - وذكر الجاحظ المتوفى سنة ٢٥٥ فى كتابه المحاسن والأضداد أن تحية الدخول على ملوك الفرس أن يقول الداخل : عشت أيها الملك بسعادة الجد ورزقت الظفر على الأعداء ، وأعطيت الخير ، وجنبت طاعة النساء . وفى كتاب ألف باء لابى الحجاج يوسف بن محمد البلوى المتوفى سنة ٦٠٥ قال بعض الحكماء القدماء النساء نار توهج وسلم إلى كل بلاء ، وهن مثل شجرة الدفلى لها رونق وبهاء ، فاذا أكل منها البعير أدته إلى التوى - الهلاك - وقيل لسقراط الحكيم المتوفى قبل ظهور سيدنا عيسى عليه السلام ب٢٧٧ سنة : أى السباع أحسن صورة ؟ فقال النساء . ورأى امرأة عوراء فقال : ذهب نصف الشر. ورأى امرأة تركب البحر فقال: شر يجنى شرا ورأى رأس امرأة معلقا على شجرة فقال : ليت كل الشجر يثمر مثل هذا الثمر. وقال بعض الحكماء : من كانت لذته فى النساء وقع فى أعظم البلاء ، ومن أراد أن يعيش عيش الرغد، ويحيي حياة بلا نكد ، فلا يشغل فكره بشهوة النساء، ولايومىء اليهن بطرف ولايد . وقال آخر: كل أسير يفتك إلا أسير النساء فانه غير مفكوك ، وكل

مالك يملك إلا مالك النساء فانه مملوك . وقال المرحوم عبد الرحمن الكواكبي المتوفى سنة ١٣٢٠ فى كتابه طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد : النساء هن النصف المضر، لانهن اقتسمن أعمال الحياة مع الذكور قسمة ضيزى ، إذ جعلن نصيبهن هين الاشغال بدعوى الضعف ، وجعلن نوعهن مطلوبا عزيزا بابهام العفة ، وجعلن الشجاعة والكرم سيئتين فيهن ، وجعلن نوعهن يهين ولا يهان ، ويظلم ولا يظلم أو يظلم فيعان فالبدوية تسلب الرجل نصف ثمرة عمله ، والحضرية تسلبه ثلثيه ، والمدنية تسلبه خمسة أسداسه. وقال الكمال أحسن الله تعالى اليه فى كتابه ثمرات التجاريب : ذوات الحر ، نصف العالم المضر ، كيدهن عظيم ، وقيدهن أليم ، يشكين وهن الظالمات ، ويتمنعن وهن الراغبات ، يكفرن العشير ، وينكرن الكثير ، يحفظن الاساءة وينسين الاحسان ، على طول الزمان ، ناقصات عقل ودين ، وأسيرات شهوات جمعاء لا أجمعين ، وهن والطفل الصغير ، يحسبان ان الرجل على كل شيء قدير ، وقال أيضا : النساء كفاك الله البلاء ، قدود مائسة ، وأفكار يابسة ، وأجسام حاليه ، ولكنها من العقول خالية ، روائح عطره ، على أبدان قذره ، مابين غيض وفيض ، ونفاس وحيض ، يونس منظرهن ، ويوسف مخبرهن ، يبددن الأموال ، ويستعبدن الرجال ، يتغالين في زينتهن ، ويتعالين فى مؤنتهن ، من غير أن ينظرن لأصلهن ، ولا لمقدرة رجالهن ، أهملن واجباتهن كل الاهمال ، وقعدن عالة على مناكب الرجال ، يأخذن منهم معلوما ، ويعطينهم معدوما أو موهوما ، فالرجل يكد ، ويكدح ، ويجد ويمزح ، ويداوى ويجرح ، ويخسر ويربح ، حتى يكون له عندهن محل ، ومنهن أهل ، وفيهن جمع شمل ، فيا لخفة العقل ، وقال أيضا : البلاء كل البلاء ، فى مقاربة النساء ، المس مس أرنب ، والريح ريح زرنب ، -نوع من الطيب- والاسم اسم زينب ، - الزينب شجر حسن المنظر طيب الرائحة - والفعل فعل عقرب ، جمرة مغطاة بتمرة ، وشهوة تحتها حسرة ، صوت المرأة يخرق أحشاء القلوب ، ومسها نار تحرق أستار العيوب :

ومن خبر الغوانى فالغواني ضياء فى بواطنه ظلام

وقال أيضا : ما أشبه النساء بالمنائر، فى اعوجاج الباطن واستقامة الظاهر، يتبعن من التطاول كل سبب ، ولا ينتهي لهن طلب .

وقال سليمان غزالة الطبيب : المرأة تيه وطيش وأشر ، وحرب وخصام بين البشر

وقال المتنبي المتوفى سنة ٣٥٤ يصف النساء بقلة الثبات وركوب متن الاهواء ويحذر من الوثوق بوفائهن ومن الاكتراث لجفائهن :

اذا غدرت حسناء أوفت بعهدها ومن عهدها أن لا يدوم لها عهد
وإن عشقت كانت أشد صبابة وإن فركت فارقب فما فركها قصد
وإن حقدت لم يبق فى قلبها رضا وإن رضيت لم يبق فى قلبها حقد
كذلك أخلاق النساء وربما يضل بها الهادى ويخفي بها الرشد

وقال شاعر :

إن النساء شياطين خلقن لنا نعوذ بالله من شر الشياطين
فهن أصل البليات التى ظهرت بين البرية فى الدنيا وفى الدين

﴿ جوامع أعدادها بذم النساء اعتداد ﴾

عدد الاثنين : ومن جوامع الاعداد التى لها بذم النساء اعتداد ما جاء فى عدد الاثنين المرأة والطفل الصغير يحسبان الرجل على كل شيء قدير. وقول الشاعر :

شيئان يعجز ذو الرياضة عنهما رأى النساء وأمرة الصبيان
أما النساء فميلهن مع الهوى وأخوا الصبا يجرى بغير عنان

وقول شاعر آخر وهو أبو الشيص المتوفى سنة ١٩٤ :

شيئان لا تصبو النساء اليهما حلى المشيب وحلة الأنفاض

وقولهم فى عدد الثلاثة ، ثلاثة يدعون الله تعالى فلا يستجاب لهم : رجل كانت تحته أمرأة سيئة الخلق فلم يطلقها ، ورجل كان له على رجل مال فلم يشهد عليه، ورجل آتى سفيها ماله وقد قال الله تعالى (ولا تؤتوا السفهاء أموالكم) وهذا حديث رواه الحاكم عن أبى موسى الأشعرى ، وفى حديث آخر « ثلاثه لا يقبل

الله لهم صلاة ولا تصعد لهم الى السماء حسنة ، العبد الآبق حتى يرجع الى مواليه فيضع يده فى أيديهم ، والمرأة الساخط عليها زوجها حتى يرضى ، والسكران حتى يصحو ». رواه ابن خزيمه وابن حبان والبيهقي عن جابر بن عبد الله - وفى حديث آخر « ثلاثة لايدخلون الجنة أبدا : الديوث والرجلة من النساء ومدمن الخمر » - رواه الطبرانى عن عمار بن ياسر - ثلاثة لاتنتظر من ثلاثة : الحرمة من الفاسق ، والنصيحة من العدو والوفاء من المرأة . ثلاثة الاقدام عليها خطر ، شرب السم للتجربة ، وركوب البحر للغنى ، وإفشاء السر الى النساء . ثلاثة لا راحة إلا بمفارقتها ، السن المتأكلة ، والخادم الفاسق ، والمرأة السليطة . ثلاثة من خواص المرأة ، اذا طعنت فى السن يعقم رحمها ويبذؤ لسانها ، ويسوء خلقها . بخلاف الرجل فانه اذا طعن فى السن يستجمع رأيه وتذهب حدته ، ويحسن خلقه . كدر العيش فى ثلاثة ، الجار السوء ، والولد العاق ، والمرأة السليطة .

وقولهم فى عدد الاربعة « أربعة يصبحون فى غضب الله ويمسون فى غضب الله المتشبهون من الرجال بالنساء ، والمتشبهات من النساء بالرجال ، والذى يأتى البهيمة والذي يأتي الرجال » وفى حديث آخر « أربعة لعنوا فى السماء ، رجل خلقه الله ذكرا فتأنث ، وامرأة خلقها الله أنثى فتذكرت تتشبه بالرجال ؛ والذى يضل الأعمى ، ورجل حصور (١) ولم يجعل الله حصورا إلا يحي بن زكريا عليهما السلام » - أجمعت العرب والعجم على أربع كلمات فقالوا ، لا تحملن مالا تطيق ، ولا تعمل ما ليس لك فيه فائدة ، ولا تثق بامرأة مهما تكن ، ولا تغتر بمال وإن كثر . أربع من الشقاء « المرأة السوء والجار السوء والمركب السوء والمسكن الضيق » وهذا حديث . وفى حديث آخر : « أربع يمتن القلب ، الذنب على الذنب ، وكثرة مصاحبة النساء وحديثهن وملاحاة الأحمق تقول له ويقول لك ، ومجالسة الموتى » قيل يا رسول الله وما مجالسة الموتى ؟ قال « كل غنى مترف وسلطان جائر » أربعة تسلب القرار ، المرأة السوء ، والولد العاق ، والعشير المخالف ، والعبد اللئيم ، أربعة لا يطاقون

(١) الحصور الذى ليس له شهوة فى النساء والمبالغ فى حبس النفس عن الشهوات والملاهى والمراد هنا المعنى الأول

عبدملك، ونذل شبع، وأمةورثت، وقبيحةتزوجت. اربعةمن الشقاء، كثرة العيال وقلةالمال، وجار السوء، والزوجة الخائنة. من أراد طول البقاء فعليه بأربعة أشياء، مباكرة الغداء - وتأخير العشاء - وتخفيف الرداء (الدين) والاقلال من غشيان النساء. لاتعبأ بأربعة، زهد الخصى. وتوبة الجندى، ونسك النساء، وعبادة الصبيان وقولهم فى عدد الخمسة: خمسة من مصائب الدنيا، موت الأحباب، وذهاب المال، وشماتة الأعداء، وطول السقم، والمرأة الشريرة اه نقلا من كتاب لوامع الاسعاد فى جوامع الاعداد المؤلف

﴿أقوال الافرنج فى ذم النساء﴾

قال الفيلسوف شوبنهور الالماني: يسألونى عن الأفعى اللينه الناعمة الملمس وهي أمامهم فى كل وقت بل فى كل لحظة، إلا وهى المرأة! لتكن المرأة ملكا طاهراً أو شيطانا رجيما فما لنا ولها أجارنا الله من شرها وأذاها. الحب وردة والمرأة شوكتها، أتركوا للمرأة حريتها ولا تجعلوا عليها رقيبا، ثم قابلونى بعد سنة واخبروني عن النتيجة. إن قولنا عن المرأة أنها سيدة لغة يجب القضاء عليها حتى لايبقي الانساء غارقات فى الشؤن المنزلية فقط، يجب أن تبقى المرأة امرأة. وقال وولته سكوت الكاتب الانكليزى: جمال المرء فى عقله، وعقل المرأة فى جمالها. وقال شكسبير الشاعر الانكليزى: لوسقيت الأرض بدموع النساء لأنبتت كل قطرة حية وقال أرسطو من حكماء اليونان الأقدمين: اذا عجزت الطبيعة عن خلق الذكر خلفت أنثي. وقال ئهزوب من قدماء الحكماء أحسن ماخلقته الطبيعة وأقبحه المرأة وقال سن غرهغوار الفرنسوى: وجود امرأة صالحة أصعب من وجود غراب أبيض. وقال بيلقو: المرأة توصف ولا تعرف وقال زاغاره بللا: المرأة قارورة عطر مختومة، اذا لم تفتحها لم تستفد منها، وانما تبقى بيدك زينة، فاذا فتحتها طار مافيها ولم يبق بيدك غير القارورة. ويقول الانكليز المرأة فى سن طفولتها بعوضة، وفى سن صباها ذبابة، وفى زمن تعلمها فى المدارس صرصور، وفى زمن شبابها جراده وفى أيام زواجها نحله وبعد زواجها زنبور. وفى

هرمها ثعبان . ويقولون أيضا إنما لم يخلق الله للنساء لحى ولا شوارب ليعلم من يراهن أنهن ناقصات . ويقولون أيضا إنما يرغب الرجال بالنساء الجميلات ليقال إن فيهن نوعا من الصفات الحسنة ولو صورة لانهن خاليات من الحسن بالمرة. والفرنسويون اذا سمعوا بحادثة جناية ولم يعلموا مسببها قالوا ابحث تجدها بسبب المرأة لان تسعين فى المئة من الوقائع الجنائية التى تحصل فى العالم انما تحصل بسبب النساء فهن أصل الشر ومنبع الفساد فى العباد والبلاد

— ١٠ — باب

﴿ فى ذم المرأة من حيث أنها زوجة حمقاء جاهلة وربة بيت بذيئة خرقاء عاطلة ﴾

سعادة الأسرة وشقاؤها متوقفة على المرأة ، فالعاقلة ترقى بزوجها وأولادها الى أوج السعادة والراحة والهناء ، والحمقاء تهوي بزوجها وأولادها الى مكان سحيق من النحوس والتعب والشقاء ، وكثيرا ما يكون خراب البيوت وهلاك النفوس بسبب النساء ولعظم ضررهن كان رسول الله ﷺ يقول فى دعائه « اللهم إنى أعوذ بك من امرأة تشيبنى قبل المشيب » وفى حديث آخر « ثلاث من الفواقر ، إمام إن أحسنت لم يشكر ، وإن أسأت لم يغفر ، وجار إن رأى خيرا دفنه ، وإن رأى شرا أشاعه ، وامرأة إن حضرت آذتك ، وإن غبت عنها خانتك» ـ رواه الطبراني عن فضالة بن عبيد ـ وفى حديث آخر « ثلاثة يدعون الله عز وجل فلا يستجاب لهم ؛ رجل كانت تحته امرأة سيئة الخلق فلم يطلقها ، ورجل كان له على رجل مال فلم يشهد عليه ، ورجل آتي سفيها ماله وقد قال الله تعالى (ولا تؤتوا السفهاء أموالكم) ـ رواه الحاكم عن أبى موسى الأشعرى ـ وفى حديث آخر « أربع من الشقاء ، المرأة السوء ، والجار السوء ، والمسكن السوء ، والمركب السوء »

— ١١ — باب

﴿ فى بيان ما تدل عليه مادة النساء ﴾

من الأمور المطابقة للواقع فى الغالب أن لكل مسمى من اسمه نصيبا ؛ وذلك أن واضع الاسماء فى الأصل قارن ووافق بين الاسم ومسماه حين وضعه ومشت عليه اللغة ، ومن ذلك كلمة النساء فانها مأخوذة من النسأ وهو الزجر والدفع والسوق والتأخير ، تقول : نسأت البعير أى زجرته ، ونسأته عن الحوض دفعته ، ونسأته سقته ، ونسأت الشيء الى وقت آخر أخرته ، ونسئت المرأة تأخر حيضها عن وقته ، والنسأ بفتح النون الشراب المزيل للعقل ، واللبن الرقيق الكثير بالماء ، وخلط اللبن ـ والنسأ بضم النون التأخير أيضا كالنسيئة ، والنساء بفتح النون والمد التأخير فى العمر ، ومنه قول علماء الطب : من سره النساء فليخفف الرداء (الدين) وليباكر الغداء ، وليقل غشيان النساء . والمنسأة بكسر الميم العصا ، والانتساء التباعد ، والانساء الابعاد . ومقلوب نسأ أسن ، يقال أسن الماء اذا تغير طعمه أو ريحه ، وأسن الرجل اذا دخل بئراً فاصابته منها ريح منتنة . وكل هذه المعانى موجودة فى النساء وبينها وبينهن تلازم .

مثال الدفع قوله ﷺ للنساء اللاتى رآهن يتبعن جنازة « ارجعن مأزورات غير مأجورات » فدفعهن عن اتباع الجنائز .

ومثال السوق قوله تعالى : (الرجال قوامون على النساء) أى مدبرون أمورهن وسائقوهن لما فيه الخير لهن ، اذ المرأة لا كفاءة فيها لادارة أمورها بذاتها ، فلا بد لها من قائم عليها وسائق يسوقها لنحو ما فيه صلاحها ، فانها لو تركت ونفسها لكانت تسرح وتمرح من غير تبصر .

ومثال التأخير قول عبد الله بن عباس رضى الله تعالى عنهما : أخروهن (أى النساء) من حيث أخرهن الله . أى فان الله أخرهن عن الرجال فى الميراث وفى الصلاة وفى الجنائز وفى كثير من الأحكام .

ومثال الزجر كل ما جاء في القرآن والحديث من النهى لهن قولا وعملا ،

ومثال النسأ بمعنى الشراب المزيل للعقل قوله صلى الله تعالى عليه وسلم «ما رأيت من ناقصات عقل أذهب للب الرجل منكن »

ومثال النسأ بمعنى اللبن الرقيق الكثير الماء قوله صلى الله تعالى عليه وسلم « المرأة خلقت من ضعف وعورة » الحديث . بجامع قلة الجدوى في كل منهما

ومثال النسأ بمعنى خاط اللبن قوله ﷺ «حاملات والدات مرضعات رحيمات بأولادهن لولا ما يأتين الى أزواجهن دخل مصلياتهن الجنة » فقد أفاد هذا الحديث أن حملهن وولادتهن وإرضاعهن لأولادهن ورحمتهن لهم لم يفدهن ثوابا إذ قد خلطن ذلك بأذيتهن لأزواجهن كاللبن لما خلط بالماء ذهبت فائدته .

ومثال المنسأة وهي العصا قوله ﷺ « لا ترفع عصاك عن أهلك » أى لا تتركهن وشأنهن من غير مراقبة لهن ، ويجوز أن يكون المراد نفس العصا حيث يجوز للرجل أن يضرب زوجته ضربا غير مبرح لقوله ﷺ «علقوا السوط بحيث يراه أهل البيت »

ومثال الانساء - وهو الابعاد - ما تقدم من قول ابن عباس : أخروهن .

ومثال الانتساء وهو الابتعاد قوله تعالى حكاية عن مريم أم عيسى عليهما السلام (فحملته فانتبذت به مكانا قصيا)

ومثال الأسن وهو مقلوب النسأ قوله ﷺ « أيما امرأة وضعت ثيابها فى غير بيت زوجها فقد هتكت ستر ما بينها وبين الله عز وجل » (١) ومثال الأسن بمعنى دخول الرجل البئر و إصابته من ريحها قوله ﷺ «لان يزحم رجل خنزيرا متلطخا بطين أو حمأة خير له من أن يزحم منكبه منكب امرأة لا تحل له » اه والنساء فى اللغة اسم جمع لا مفرد له من لفظه بل له لفظ مفرد من معناه وهو لفظ المرأة، وفى هذا إشارة الى أن المرأة لا يعتد بها لذاتها وشخصها بل هى محتاجة للتجمع والانضمام ، وإنما يكون ذلك بالزوج أو الولى القائم عليها المدبر لأمرها مهما تكن

---

(١) وأورده الترمذى بلفظ : هتكت الستر بينها وبين ربها . مصححه

كبيرة عاقلة مدبرة على أنه لكل قاعدة استثناء ، ولكل عموم خصوص ، والكمال لله وحده

— ١٢ — باب

﴿ فى كراهية العرب للنساء وما لذلك من سبب واقتضاء ﴾

كراهيـة العرب للاناث متأصـلة فى نفوسهم ، متوارثة عن أسلافهم . وإنما تتفاوت درجاتها بتفاوت درجات البداوة والحضارة ، فالمرأة عندهم أقل قيمة وأدنى درجة من الحيوان الرابض فى أكنافهم . وقد كان من كراهيتهم للنسـاء أنهم يئدون بناتهم ـ أى يدفنونهن أحياء ـ أو أنهم يدعوهن عرضة لكل إذلال وإهانة كما قال الله تعـالى حكاية عنهم (وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه بالتراب ألا ساء ما يحكمون) فقد عاب الله تعالى عليهم صنعهم هذا وتوعدهم عليه بالعذاب يوم القيامة كما قال تعالى (وإذا الموءودة سئلت بأى ذنب قتلت) . ومن كراهيتهم لهن أحدثوا فيهن الامثال فقالوا : دفن البنات من المكرمات . قال بعض الشعراء :

جعلت فداك من النائبـــات ومتعت ما عشت فى الطيبات
سروران ما لهــما ثالث حياة البنين وموت البنـــات
وأصدق من ذين قول الحكيـ ـم دفن البنات من المكرمات

وقال عبد الله بن طاهر المتوفي سنة ٢٣٠ :

لــكل أبي بنت إذا ما ترعرعت ثلاثة أصـــهار اذا ذكر الصهر
فزوج يراعيـــها وبيت يكنها وقـبر يواريها وخيرهم القـــبر

وفى كتب الأدب أنه ماتت لرسول الله ﷺ ابنه فحار الصحابة كيف يعزونه ﷺ فبينما هم قاعدون مطرقون إذ دخل إعرابى فقال : يارسول الله مؤنة كفيت ، وعورة سترت ، ونعم الموت المهر ، والصهر القبر . فتبسم رسول الله ﷺ وسرى عن الصحابة . قال الكمال أحسن الله تعالى اليه وقد عقدت هذا القول فقلت :

هل يعـــلم المرء من قد ماتت ابنته بأنها نعمة تستوجب الشـــكرا
مؤونة كفيت بل عورة سترت وحبذ القبر صهرا والردي مهرا

ويقال تقديم الحرم من النعم .وفى الحديث « نعم الختن القبر » وكان الأستاذ الطبرى رحمه الله تعالى يقول : ليس شيخا من لابنت له وإن كان ابن تسعين ، ولا شابا من له بنت وإن كان ابن عشرين اه وقيل لاعرابى ماولدك ؟ فقال قليل خبيث ، قيل وكيف ذلك ؟ قال لاعدد أقل من الواحد ، ولا خبث أخبث من بنت . وقيل طوبى لمن خطب اليه الدهر ، وصاهر القبر ، ووضع فى ميزانه الأجر. وفى كتاب الأغانى لأبي الفرج الاصبهانى المتوفى سنة ٣٥٦ فى أخبار حسان بن ثابت الصحابى المتوفى سنة ٥٤ رضى الله تعالى عنه أنه لقي جرولا الشاعر المعروف بالحطيئة العبسى ، فسأله عن كنيته فقال أبو مليكة ، فقال له حسان : ما كنت قط أهون على منك حين كنيت بامرأة اه ومن كراهية العرب للاناث استعمالهم كلمات مضافة للفظ بنت وبنات فيما لا يحمد أولا يستحسن فى الغالب ، كقولهم للخمرة بنت الحان ، وللداهية بنت الدهر ، وللمصائب بنات غير (كعمر) وللقمل والصئبان بنات الدروز ، وللحوادث بنات الدهر ، وللسهام بنات المنايا ، وللاحلام بنات الليل ، وللابل بنات الفلا ، وللسمك بنات دجلة ، وللوحش بنات القفر ، وللعذارى بنات الخدور ، وللرغفان بنات التنانير ، وللاوتار بنات اللهو . وقد استعملت الشعراء البنت والبنات فى أشعارها ومنه قول المتنبي المتوفى سنة ٣٥٤ :

أبنت الدهر عندى كل بنت فكيف وصلت أنت من الزحام

أراد ببنت الدهر الحمى وقد أصابته ، وقال أيضا :

وما أظن بنات الدهر تتركني حتى تسد عليها طرقها هممى

والسبب فى كراهية العرب للنساء هو أن الحارث بن هبولة الغسانى غزا قوم الحارث بن عمرو الكندى فسبى زوجته هذا فوطئها ، ثم لحقه زوجها الحارث بن عمرو وقتله واسترجع امرأته ،فسألها هل نال منك ؟ فقالت نعم والله مااشتملت النساء على مثله ، فأوثقها بين فرسين ثم استحضرهما فجريا وهي مربوطة بينهما حتى تقطعت إربا وقال فى ذلك :

كل أنثى وإن بدا لك منها آية الحب عهدها خيتعور

إن من غره النساء بود بعد هند لجاهل مغرور

الخيتعور كل شيء لا يدوم على حالة واحدة ويضمحل كالسراب . فعمدت العرب من ذلك الحين لوأد بناتها كي لا يكن مثلها حرصا على العرض وحفظا للنسب للذين هما أنفس شيء وأشرفه عندهم . ولما كانوا أهل حرب وضرب يشنون الغارات، ولا يقعدون عن الأخذ بالثار ، أخذتهم الحمية أن يكون فى نسائهم وبناتهم من تسبى أو توطأ فتختلط المياه ويفسد النسل والأخلاق والطباع ، عمدوا إلى وأد البنات وإن كان فى ذلك نقص عددهم حفظا لكيانهم ، فان الغيرة على العرض أهم ما تعنى به العرب لكنهم أفرطوا فيه إفراطا عيب عليهم ومن غريب ما علمته عن كراهية النساء ما ذكره ابن حجة الحموى المتوفى سنة ٨٣٧ فى كتابه ثمرات الاوراق ، قال الشهاب محمود (المتوفى سنه ٧٢٥) كان الشيخ تقى الدين السروجى (المتوفى سنة ٦٩٣) مع دينه وورعه وزهده يكره مكانا فيه امرأة ، كنا يوما فى دعوة فأحضر صاحبها شواء وأمر بادخاله الى النساء ليجعلنه فى الصحون ، فلما أحضر تقرف منه الشيخ تقى الدين وقال : كيف يؤكل وقد مسسنه بأيديهن ؟!

باب —١٣—

(فى أن النساء سبب المفاسد والفتن ، فى كل مكان وزمن)

وكأن إثارة هذه المفاسد من لازمهن ، لا يتخلين عنه ولا ينفك عنهن . فلا تكاد تسمع بفتنة أو بفساد إلا ومنهن أو بسببهن ، حتى إن الفرنسويين اذا سمعوا بشيء من ذلك قالوا فى الحال : ابحث عن المرأة ؟ أى ابحث عنه تجده من المرأة. وقد قص الله تعالى علينا فى القرآن الكريم كثيرا من القصص فى المفاسد والفتن كان سببها النساء ، منها قصة خروج سيدنا آدم من الجنة ، وقصة هاروت وماروت، وقصة قتل قابيل أخاه هابيل ، وقصة فتنة بنى اسرائيل التى بسببها اشتريت البقرة بوزن مسكها (بفتح الميم جلدها) ذهبا وذبحت وضرب الميت ببعضها فحيي وقال قتلنى فلان ثم رجع ميتا كما كان ؛ وتبين أن قتله كان بسبب النساء . وقصة ابتلاء

سيدنا يوسف عليه السلام بزليخاء امرأة العزيز بمصر ، وقصة خيانة امرأتي نوح ولوط عليهما السلام ، وقصة فتنة داود وابنه سليمان عليهما السلام ، وغير ذلك مما لم يذكر في القرآن كثير . قال في كتاب بدائع الزهور في وقائع الدهور لابن إياس المتوفي سنة ٩٣٠

من فتنة النسوان لم يعصى الفتى … أمر الاله بطاعة الشيطان
واللص لولاهن لم يك بائعا … للروح منه بأبخس الأثمان
قابيل لولاهن لم يقتل أخا … ه ولا رضى بالذل والخسران
وبهن صار لآدم وليوسف … ماقد حكاه الله في القرآن
وكذا سليمان وداود بما ابـ … تليا به من غابر الأزمان
مجنون ليلى جن في حب النسا … كل الأذى يأتي من النسوان
كن مااستطعت عن النساء بمعزل … إن النساء حبائل الشيطان

(كثرة النساء وقلة الرجال)

في الحديث الشريف « ليأتين على الناس زمان يطوف الرجل فيه بالصدقة من الذهب فلا يجد أحدا يأخذها ، ويرى الرجل الواحد قد تبعه أربعون امرأة يلذن به من قلة الرجال وكثرة النساء » - رواه البخاري ومسلم عن أبي موسى الأشعري - وفي حديث آخر « إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم ويظهر الجهل ويفشو الزنا ويشرب الخمر ويذهب الرجال وتبقى النساء حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد » - رواه الامام أحمد والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه عن أنس - وفي حديث آخر « لاتقوم الساعة حتى يكون لخمسين امرأة قيم واحد » وقول الرسول صلى الله عليه وسلم حق وصدق ، فانه لاينطق عن الهوى. فقد قال بعض رجال الاجتماع في إيطاليا إن في أوربا أربعمائة وخمسة وسبعين مليونا من النفوس ، منها مائتان وخمسون مليونا من النساء فهن يزدن على الرجال بخمسة وعشرين مليونا . وقوله هذا كان قبل وقوع الحرب العالمية التي وقعت سنة ١٣٣٣ هـ ١٩١٤ م .

وكنت اطلعت فى بعض الجرائد بعد انقضاء الحرب المذكورة على إحصاء وضعه بعض المتتبعين لما أحدثته الحرب من المنافع والمضار ، فذكر أن فى مقابلة كل رجل خمسا وثلاثين امرأة ، هذا والقيامة لم تقم بعد . ومن إحصائه هذا يظهر صدق ماجاء فى الأحاديث الشريفة عن كثرة النساء وقلة الرجال ، وفصل ذلك المتتبع نسبة الرجال والنساء فى بعض الممالك فقال : فى المانيا مقابل كل ألف ذكر ألف وست وعشرون أنثى ، وفى روسيا ألف وأربعمائة أنثى ، وفي أمريكا ألف ومئة أنثى ، وفى فرنسا ألف واثنتان وتسعون أنثى ؛ وفى تركيا ألف وخمسمائة أنثى .

باب —١٤—

﴿ فى ذكر مافى النساء من طبائع بعض الاشياء ﴾

فى المرأة عمق البحر ، ومد الأمواج وجزرها ، ولمعان النجوم ، وحرارة الشمس ، وقطرات الندى ، وتقلب الرياح ، وارتجاف النبات ، ولون الأزهار وعطرها وخفة أوراقها ، وتمايل الأغصان ، ولطف النسيم ، ونشوة الراح ، وطعم العسل ، ووهج الذهب ، وقسوة الماس ، ولين الحية ونعومتها ، وتلون الحرباء ، ونفار الغزال ، وعيون المهى ، وحياء الارنب ، وخيلاء الطاوس ، وشراسة الأسد ، ومكر الثعلب ، ولسعة العقرب ، ونغمة اليمامة ، وهذيان الببغاء ، وكثرة كلامها . فهي ـ أي المرأة ـ تتكلم بلا انقطاع ؛ وتبكى بلا سبب ، وتشكو من أقل شىء ، وتتألم من لا شىء . ولاينتهى لها طلب ، ولاينقضى لها عجب ، ومع ذلك فحياة الرجل بدونها حياة وحدة وانفراد ، ومعها حياة تعب وشقاء ، فلا خير فيها ولاغنى عنها . قال ابن الرومى

ويلاه إن هى أقبلت أو أدبرت وقع السهام ونزعهن أليم

﴿ معرفة عمر المرأة من أنواع الطعام الذى ترغب فيه ﴾

يقال إنه يمكن الاستدلال على عمر المرأة من أنواع الأطعمة التى تحبها ، فالميالة إلى الحلويات تكون دون العشرين ، والتى بين عشرين وخمس وعشرين تميل إلى

الموالح والحوامض ، والتى بين خمس وعشرين وثلاثين تحب الثمار والفاكهة حبا جما ، والتي بين ثلاثين وخمس وثلاثين تزداد رغبتها فى لحم الفراخ والسمك ، والتى بين خمس وثلاثين وأربعين تطلب لحم البقر والضأن أكثر من غيرهما . ولا حاجة للكلام على من هى فى الاربعين فما فوق لان عمر المرأة لا يمكن أن يزيد عندها على أربعين ولو كانت بنت ثمانين !!

— ١٥ — باب

(فى ابتلاء الأخيار بالنساء الأشرار)

كاد يكون تسلط النساء الأشرار على الرجال الأبرار أمرا طبيعيا لا مفر منه ، ولا مندوحة عنه . حيث لم يخل منه نبى مرسل ؛ ولا ولى مبجل ، ولا حكيم محترم ، ولا أمير نافذ الكلم ، ففى تاريخ الخلفاء للجلال السيوطى المتوفى سنة ٩١١ أن جابر بن عبد الله جاء إلى عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنهما يشكو اليه مايلقي من النساء فقال عمر : إنا لنجد ذلك حتى إني لأريد الحاجة فتقول لى ما تذهب إلا الى فتيات بني فلان تنظر اليهن . فقال له عبد الله بن مسعود : أما بلغك أن ابراهيم عليه السلام شكا الى الله تعالى خلق زوجته سارة فأوحى اليه إنها خلقت من ضلع فالبسها على ما كان فيها مالم تر عليها وصمة فى دينها . اه ولما أكثر أزواج النبي ﷺ العنت والارهاق فى طلباتهن التى طلبها أنزل الله تعالى على نبيه ﷺ قوله (ياأيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا ، وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فان الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما) فاخترن الله تعالى ورسوله وكففن عن طلباتهن خوف أن يطلقهن . وكان سقراط الحكيم المتوفى قبل ظهور سيدنا عيسى عليه السلام بأربعمائة سنة مبتلى على فضله ومعرفته وحكمته بتسلط زوجته زانتيبي عليه واضطهادها له ، وكراهيتها لعلمه وفلسفته ، حتى أنه كان إذا جاءه زائر ليتحدث معه يقول له اخفض صوتك لاتسمعك زانتيبي فتثور علينا . وأكره ماتكرهه المرأة من

زوجها اشتغاله بالعلم والدين والدرس ، حكى لى بعض الأصحاب أنه هو مع زوجته من قبيل سقراط مع زوجته ، وأنه اذا أراد أن يقرأ كتابا أو يهيء ما يجب عليه القاؤه للمتعلمين عنده ، عمد الى حجرة وأغلق عليه الباب واستوثق منه بالرتاج وأخذ فى قراءته ، فتأتى زوجته وتقلق فكره بضرب الباب والصياح والجلبة وهو لا يبالى بها حتى ينتهى من قراءته . وكم وكم من رجل دين وأدب وعلم يقاسى من تسلط زوجته عليه وبغيها وعدوانها وفحش مقالها مالا تصبر عليه الجبال ، وهو يصبر على نكرها وضرها محتسبا ما أصابه من شرها عند الله تعالى العليم بخفايا الأمور وظواهرها ، ذلك الرب الحكم العدل الذى لايضيع لأحد مثقال ذرة من عمل عمله إن خيرا وإن شرا ، والذى يدعوه الى تحمل هذه الشدائد منها وصبره عليها خوفه على أولاده أن يتشتت شملهم ، ويضطرب أمرهم . لاسيما إن كانوا أطفالا صغارا ، والمحاكم الشرعية تنتصر فى أكثر الأوقات للنساء على الرجال فيحكمون عليه لها ولاولاده منها بأحكام جائرة لاطاقة له بها ، فيجد نفسه فى ويل وشر كيفما كان الحال بقاءاً ، أوافتراقا. فيؤثر البقاء منتظرا من ربه السميع المجيب فرجه القريب إما باجتياحها أو إصلاح حالها ، هذا مع كونه يسالمها ويداريها ويضاحكها ويظهر لها كل حب ليأمن على نفسه من شرها ، ولربما إذا شق عن قلبه رؤى فيــه كراهيته لها خفية كما تكرهه هى علنا . ومن الجماعة المبتلين بسوء أخلاق زوجاتهم من يدعو الأدعيـة المؤثرة طالبا من الله خلاصه مما هو فيه ، على الوجه الذى يريده الله ويرتضيه ، ومنهم من ينظم القصائد ويقول الأشعار بذلك ليهون على نفسه العبء الذى يحمله ، ومنهم من يشكو زوجته للقريب والبعيد ، وهذا ليس فيه فائدة بل يدل على ضعف إرادة الشاكى . وماذا عسى أن يعمل له الغريب أو القريب إذا كان هو عاجزا عن اصلاح مابينه وبين زوجته ؟ وهذا دعاء من رجل صالح مبتلى بامرأة سوء وجهه إلى الله تعالى يرجو من فضله وكرمه تحقيق إجابته :

بسم الله الرحمن الرحيم

من العبد الذليل ، إلى الرب الجليل ، رب إني مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين . اللهم إنك العالم بالسرائر ، المطلع على خفيات الضمائر ، الغني بعلمك ، عن إعلام خلقك . أشكو اليك ماألاقيه ، وأكابده وأقاسيه ، من زوجتى ، متعبتي ومزعجتى، وليس لى طاقة على دفع ظلمها ، وتجرع كأس سمها ، بضربها لى وشتمها. فخذلى بحقى منها ، وابعدها عني وابعدنى عنها . فاليك لجأت مستعيذا بك من شرها ،مستجيرا بك من ضرها . وليس ضررها مقصورا على ، بل يتناول كل من حوالى . ونحن فى أيديها أسرى ، قلوبنا حسرى ، وأعيننا عبرى . وجميعنا فى أمرنا حائرون ، على أننا على ابتلائنا بها صابرون . ننتظر فرجك القريب ، يا سميع يا بصير يا مجيب . وأنت ياربنا تعلم وتري ، وتسمع كل مامنها جرى ، وقد حاكمناها إليك ، متوكلين فى إنصافنا منها عليك، متوسلين اليك بسيد البشر، الذى دعا من شدة مالقيه على مضر. وهو من الأنبياء أولى الصبر والعزم ، وذوى العلم والفهم والحلم ، ولكن اذا تحملت الأجساد مالا تطيق ، تكلمت الألسنة بما لايليق . ومطلوبنا منك أحد أمرين ، وهما عليك أهون من كل هين ، إما إصلاحها ، أواجتياحها ، وهاقد رفعنا ظلامتنا الى ساحة عدلك ، واثقين بكشف ما نشكوه منها بمحض فضلك ، فاحكم بيننا بالحق وأنت خير الحاكمين ، يا حسيب الظالمين ياولى المظلومين .

* * *

وهذه أبيات لقائلها يشكو بها الى الله تعالى زوجته وسوء أعمالها :

يارب نعماك عندى غير ناقصة ... وإن تراني أدعو فى استزادتها
وليس بى حادث أشكو تألمه ... بقدر مازوجتى تؤذى بعادتها
غطى على كل ما أشكو أذى امرأتى ... وما به تنتحينى من إساءتها
ترى وتسمع ياربى فعائلها ... وما على توالى من بذاءتها
ظلما وبغيا وعدوانا وغطرسة ... وكل ذلك منها بعض آفتها

لم يخل يوم وأنت الله مطلع من سوء ما فيه تأتي من شناعتها
ويستمر أذاها وهو متصل بكل سوء ونكر من فظاعتها
مصيبة نكبة كان الزواج بها يارب بت اتصالى من علاقتها
وارحم فقيرك مما قد ألم به فانه فى بلاء من حماقتها
وقد صرفت جميع الوسع مجتهدا الى مداراتها بل فى سياستها
فما عرفت لها ماتستقر به وهكذا حالتى تمحى بحالتها
وكل من لم يصدق ماأقول بها بمثلها يبتلى أو بعض ساعتها

وهذه قصيدة لقائلها يتبرم فيها من زوجته أيضا :

قد لزمت الصبر فى كل الأمور أتقى شرك ياذات الشرور
وتخليت عن الراحة فى كل شيء خوف إيغار الصدور
أدخل الدار كأنى أخرس وأصم ليس عندى من شعور
عائذا بالله من شرك لا شر شيطان رجيم خيتعور
وأغض الطرف عما قد أرى من فعال كلها لؤم وزور
يا (جميله) اسما بلا فعل وهل ينفع الأموات عمران القبور
إن فى قلبي جرحا داميـــا كلما ضمدته أضحى يفور
فاذا ما تربنى ضاحـــكا إنما أظهر بالقهر السرور
أنت لى ظالمة دون انتها وأنا المظلوم لكنى صبور
ومع الصبر فانى واثق بانتقام الله من كل كفور
فافعلى بى كل أنواع الأذي واستطيلى بسفاه وفجور
ربى الله شهيد حاضر وسميع عالم كل الأمور
سوف يجزيك جزاء عادلا إن ربي فى جزاه لايجور
كل ذنب لك لاأغفره إنما أنت كما الكلب العقور
كم تحملت وكم قاسيت من منكرات شرحها يحنى الظهور
كل يوم منك شر حادث من شظايا وقعه تغلى القدور

كل يوم منك خلف ناجم يحزن القلب ويطفى كل نور
وفعال ليس تحكى رذلة ومقال منكر بادي الفجور
فاذكرى إن شئت أولا تذكرى من أمور وأمور وأمور
فهو شىء ليس يحصى عده كاتب يكتب فى هذى السطور
هذه حالى وهذى زوجتي عندها الصبر ولا شك يخور
يالها من زوجة سليطة كيدها يفتك بالليث الهصور
سمها سم الأفاعى دونه حينما ينفث فوها أو تثور
لاحلال لاحرام عندها غير ما تهوى وما منه نفور
تكره الدين وما يتبعه من صلاة وصيام وطهور
كتب العلم لديها آفة إن رأتها فهى تغلى وتفور
آه واصبرى على ما أصطلى من شرور فاترات لا تغور
شيبتني قبل شيبى فانا مع شبابى صرت كالشيخ الوقور

وقال رجل مرضت امرأته فماتت :

وأهنأ أوقاتي التى قد قضيتها بعشرة زوجى تلك من لا أسميها
ليالى كانت فى الفراش طريحة تكابد آلاما لقد أثرت فيها
فقد خف عنى حمل متعب شرها وأحسست من روحى بروح يحييها
ومع حالها هذي فما كنت سالما من اللسع والتعريض بالشتم من فيها
وكم كنت أدعو الله عالم حالتي لها باجتياح أو صلاح يهديها
وطالت على الاستجابة مدة ظننت بها أن ليس ربي يلبيها
ولكن عدل الله لا بد واقع فقد هدها من بعض بطش يقويها
وأمرضها فورا ليالى أربعا وألحقها بالميتين من اهليها
عفا الله عنها قد أقلت عثارها وسامحتها فالموت ياصاح يكفيها

وقال على إثر موتها

الله فرج كربى من بعد ما اشتد خطبى

وضقت ذرعا بنفسي ضيقا كأصعب صعب
وكدت أيأس مما أرجوه من عون ربي
إذ قد دعوت ولكن ما كان ربي يلبي
لحكمة منه كانت فمالها قط منبي
واليوم حمدا لربي على المحامد يربي
ماتت فلانة زوجي ومات ضيقي وكربي
ومات غمي وهمي ومات قحطي وجدبي
ومات أسري وقهري ومات شتمي وضربي
ومات طعني بقومي وسب أهلي وصحبي
ومات كل بلاء لقيت منها وحرب
سامحتها عن قصور في حال بعد وقرب
والله عني وعنها يعفو وذلك حسبي
فيا رياح سروري على فؤادي هبي
ويا لقاح رخائي دري على وصبي
ويا سماح إلهي أرجوك عفواً لذنبي
آمنت أن إلهي يجيب بالمستحب
لكن يؤخر حينا من غير مثبت سلب

وقال أحمد رفعت بك عضو مجلس المحاسبات العثمانية في كتابه (لغات تاريخية وجغرافية) في مادة مأتم ماترجمته :

مات أحد الأعيان في مصر فطلبوا فلانا وهو نداب مشهور في المآتم وبذلوا له عطاء كثيراً (ثلاثة آلاف قرش) ليحضر مأتمه ويندبه فأبى أن يجيب طلبهم معتذرا بأن امرأته توفيت وهو فرح بموتها لما قاساه منها في حياتها ، فلا يمكنه أن يتصنع ويظهر الحزن والكآبة في يوم هو فيه فرح مخافة أن يذهب تصنعه بشهرته .

وبعض المبتلين يتلقى القضا بالرضا ، ويصبر على ما أصابه ، ويتكل على الله عالم

السر والنجوى ، آخذاً قول سيدنا الحسن السبط ابن سيدنا على رضى الله تعالى عنهما : من اتكل على حسن اختيار الله لم يتمن أنه فى غير الحالة التى اختارها الله تعالى له * قدوة حسنة يقتدى بها وإذا رفع يده لمولاه يقول . يارب علمك بحالى يغنى عن سؤالى . على أن لهذه الورطة التى تورط بها مخلصا وهو الطلاق ، عملا بما رواه الحاكم وصححه عن أبى موسى الاشعرى رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ثلاثة يدعون الله عز وجل فلا يستجاب لهم ؛ رجل كانت تحته امرأة سيئة الخلق فلم يطلقها ، ورجل كان له على رجل مال فلم يشهد عليه ، ورجل آتى سفيها ماله» . وقد قال الله تعالى : (ولا تؤتوا السفهاء أموالكم) لكنه يتوقف عن بت الأمر بالطلاق لأمور يجد أن تحمله لشرها أهون وأخف عليه من تطليقها ، لا حبا فيها وكيف يحب من تؤذيه ؟ بل لأسباب أخر وربما يعمل بحديث « من صبر على سوء خلق امرأته أعطاه الله من الأجر مثل ما أعطى أيوب على بلائه ، ومن صبرت على سوء خلق زوجها أعطاها الله مثل ثواب آسية امرأة فرعون» وفى حديث آخر «لا يصيب أحدا من المسلمين مصيبة فيسترجع عند مصيبته ثم يقول اللهم آجرنى فى مصيبتى واخلف لى خيراً منها إلا فعل ذلك به » ـ رواه الامام أحمد بن حنبل والبيهقي عن أم سلمة ـ وفى هذين الحديثين ترويح للنفس وتسلية للقلب، وتأميل بنوال القصد . اللهم اجعلنا من الصابرين (الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا اليه راجعون، أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون) .

باب — ١٦ —

﴿فى عزة الكمال ، فى النساء دون الرجال﴾

الكمال فى النساء عزيز بضرب الحجاب عليهن ، ومنعهن من الاختلاط بالرجال ، وأمرهن بلزوم البيوت . حتى إن طلب العلم الذى هو فرض لسن مكلفات به مباشرة بل على أوليائهن أن يعلموهن اللازم لهن ، ولذلك جاء في الحديث الشريف « طلب العلم فريضة على كل مسلم » — رواه

ابن عدى والبيهقى عن أنس والطبرانى والخطيب عن الحسين بن على والطبرانى أيضا عن ابن عباس وابن مسعود وتمام عن ابن عمر والخطيب عن على والطبرانى والبيهقى عن أبى سعيد — ولم يذكر فى الحديث لفظ ومسلمة ، ولكن من لا معرفة له بالحديث يلحقها به فيقول طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة ، وحقيقة الحديث ماذكرت . ومن نبغ من النساء فانما نبوغها عائد لأحد أمرين ، إما أن تكون من بيت نبوة أو ولاية أو علم ، فيكون نبوغها موهبة من الله تعالى وهبها إياها ببركة من هى منه ، أو أن تكون من بيت وجاهة أو إمارة أو حكم فيقوم وليها بما يلزم من تعليمها ، وغير ذلك لايتيسر إلا قليلا . ونعني بهذا النبوغ المحمود فى الدين والشرع ، وذلك كتعلم أحكام الدين أصولا وفروعا مبادىء ومقاصد ، لا النبوغ المذموم فى الشرع والمردود عند العقلاء من أهل العلم ، فذلك ليس من الدين فى شيء ولا يعبأ الله تعالى به ولا بمتعلماته ومتعلميه ، ومن علمهم . وذلك بأن تعلم الرقص والعزف على آلات اللهو ، وكل ماابتدعه الأفرنج وعدوه من لازم الحضارة والمدنية . ومن ذلك إجادة فن التمثيل فى المسارح التى يجتمع اليها الدهماء فيقطعون وقتا من عمرهم بالنظر اليه تلهيا وتسليا تحت ستار التربية وتهذيب الأخلاق ، اللهم إننا معشر المسلمين حقا براء من هذه التربية وذلك التهذيب لاتكتبه يارب علينا ولا على ذريتنا من بنين وبنات . والدليل على عزة الكمال فى النساء دون الرجال قول الرسول ﷺ « مثل المرأة الصالحة فى النساء كمثل الغراب الأعصم » رواه الطبرانى عن أبى أمامة (الغراب الأعصم الذى إحدى رجليه بيضاء) وقوله ﷺ « كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد » — رواه البخارى ومسلم والترمذى وابن ماجه واحمد بن حنبل عن أبى موسى الأشعرى — وفى حكمة داود عليه السلام : وجدت من الرجال واحدا فى العدد ، ولم أجد واحدة فى النساء جميعا اه

وهذه تراجم قسم من النساء الفاضلات ذكرتها لتقتدى بهن نساء أهل زماننا فيما

يمكن الاقتداء به رغبة بحصولهن على السعادة إنشاء الله تعالى .

١ — آسية بنت مزاحم

هى امرأة فرعون وعمة سيدنا موسى عليه السلام كانت من خيار النساء المعدودات بشهادة رسول الله ﷺ حيث قال « كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون ، ومريم بنت عمران ، وخديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمد » - رواه البخارى ومسلم والترمذى وابن ماجه واحمد بن حنبل عن أبى موسى الاشعرى — كانت زوجة فرعون ملك مصر ولكن لم يكن يقدر أن يصل اليها بمنع إلهى حيث كانت مؤمنة وهو كافر ، وكان مع ذلك محبا مطيعا لها لايصدر إلا عن رأيها ، ولها اليد الطولى فى إنجاء ابن أخيها سيدنا موسى من شر فرعون مذ كان طفلا حيث كان يقتل الذكور من المواليد ويستحيي أى يستبقى الاناث ، وذلك بسبب ماأخبره به بعض الكهنة أنه سيكون هلاكه وزوال ملكه على يد ولد ذكر يولد من بنى إسرائيل ، وقد كان ولم يغن عنه حذره شيئا . وعرف فرعون بعد أنها كانت مؤمنة محامية عن سيدنا موسى عليه السلام فأقسم بألوهيته لتذوقن الموت أو لتكفرن بالله ، فأبت أن تكفر فأمر بها فمدت بين أربعة أوتاد وما زالت تعذب حتى ماتت ولسانها لايفتر عن ذكر الله ، وقد أخبر الله تعالى عنها فى القرآن أنها قالت (رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين) وقد جعل الله حالها مثلا لحال المؤمنين فى أن وصلة الكفرة لاتضرهم حيث كانت فى الدنيا تحت أعدى أعداء الله عز وجل ، وهي فى الجنة فى أعلى غرفها رحمها الله تعالى .

٢ — مريم ابنة عمران

أم سيدنا عيسى عليه السلام آتاها الله من كرامة الدنيا والآخرة ، واصطفاها على نساء العالمين فى زمانها ، وأثنى الله تعالى عليها بأنها أحصنت فرجها ، وأنها صدقت بكلمات ربها ، وهى صحفه المنزلة على إدريس عليه السلام وغيره . وكتبه وهى التوراة والانجيل والزبور ، وأنها كانت من القانتين ،

أى المواظبين على طاعة الله تعالى وعبادته ـ وهي من نسل هارون أخي موسى عليهما السلام . ولم تكن نبية لانه لانبى من الاناث ، وإنما هى سيدة نساء زمنها ومن أكملهن . روى الامام احمد فى مسنده « سيدة نساء أهل الجنة مريم ثم فاطمة ثم خديجة ثم آسية ثم عائشة »

٣ ـ آمنة بنت وهب

أم رسول الله ﷺ أعطاها الله تعالى من الجمال والكمال ما كانت تدعى معه حكيمة قومها ، ومن الفصاحة والبلاغة مالم يسبقها اليه أحد من نساء العرب تزوج بها سيدنا عبد الله رضى الله تعالى عنه والد النبى ﷺ ومات عنها وهى حامل برسول الله ﷺ فلم تتزوج بغيره بعده ، بل حافظت على وفائها له بالرغم من قصر المدة التى أقامتها معه ، وكانت تخرج من مكة الى المدينة حيث كان مدفونا بالابواء ـ على مقربة من المدينة ـ فتزور قبره الى أن توفيت ولرسول الله ﷺ من العمر ست سنوات رحمها الله تعالى ورضى عنها . وهى وزوجها ماتا على الايمان ويروى أن الله تعالى أحياهما إكراما لنبيه ﷺ فآمنا به ثم ماتا ، ورحم الله تعالى وطنينا الشيخ حسين الجسر المتوفى سنة ١٣٢٧ هـ . حيث يقول فى نظمه لقصة المولد النبوى الشريف :

أظآره أسلمن من بركاته وحوى فخارا محتسى فضلاته
كيف الأصول الحاملات لذاته أفلا ينلن بجاهه التكريما
صلوا عليه وسلموا تسليما

٤ ـ خديجة بنت خويلد

زوج النبى ﷺ وأولى أزواجه الطاهرات أمهات المؤمنين ، وأول من أسلم من الرجال والنساء . تزوج بها النبى ﷺ بعد زوجين سبق أن تزوجا بها وماتا عنها ولها من العمر لما تزوج بها رسول الله ﷺ أربعون سنة وهو ابن خمس وعشرين سنة ، فهى أكبر منه سنا بخمس عشرة سنة . وعاشت معه خمسا وعشرين سنة منها

خمس عشرة سنة قبل البعثة ، وعشرا بعدها . وتوفيت قبل الهجرة بثلاث سنوات ، فقضى رسول الله ﷺ معها زهرة شبابه من غير أن يتزوج عليها ، ولا أحب أحدا مثل حبه لها ، ورزق منها كل أولاده القاسم والطيب والطاهر وعبد الله ورقية وأم كلثوم وفاطمة وزينب ، إلا إبراهيم فانه من جاريته مارية القبطية التي أهداها له ﷺ المقوقس عظيم القبط فى مصر . وكانت خديجة رضى الله تعالى عنها أعقل العقائل وفضلى الفواضل ، وكانت تنعت فى زمن الجاهلية بالطاهرة ، وكانت تسلى النبى ﷺ وتهون عليه مايلاقيه ويقاسيه من قومه في نشر دعوته لدين الاسلام ، وتبليغ رسالته الى قومه وغيرهم ، وكانت تعده بنجاح سعيه واستجابة دعوته ، فكان يرتاح لقولها ، ويخف عنده ما كان يثقل عليه من أذى قومه وشدتهم . الى أن توفاها الله تعالى قبل الهجرة من مكة المكرمة الى المدينة المنورة بثلاث سنين ، فاشتد عليه موتها وحزن عليها كثيرا ، ولكن حفظ لها أجمل الذكرى بعد موتها فكان يذكرها بالخير كثيرا ويكرم من كانت تعرفها لأجلها ، ويتصدق عن روحها ويصل بالبر معارفها وكان اذا أتي بهدية قال « اذهبوا بها الى فلانة فانها كانت صديقة لخديجة ، إنها كانت تحب خديجة » ودخلت عليه امرأة عجوز وهو فى بيت عائشة فبسط لها رداءه وأجلسها عليه وهش لها وأحسن السوآل عنها ، فلما انصرفت سألته عائشة عنها فقال « إنها كانت تأتينا أيام خديجة وإن حسن العهد من الايمان » وما ذكرت خديجة إلا ذكرها أطيب الذكر حتى كانت عائشة تقول : ما غرت من امرأة كما غرت من خديجة لما كنت أسمعه يذكرها وما رأيتها قط . (فقد تزوج النبي ﷺ بعائشة بعد وفاة خديجة بثلاث سنوات ولها من العمر وقتما تزوج بها تسع سنوات) وربما ذبح الشاة ثم قطعها أعضاء ثم بعثها فى صدائق خديجة ، وربما قلت له لم يكن فى الدنيا امرأة إلا خديجة ؟ فيقول « إنها كانت وكانت ، وكان لى منها ولد ، وإنى لأحب حبيبها » وأغضبته (عائشة) يوما فقلت : خديجة خديجة ؟ فقال « إنى رزقت حبها » وقالت له وهل كانت إلا عجوزا أبدلك الله خيرا منها ـ تعنى نفسها ـ وكانت تدل بحداثة سنها وجمالها

وكونه ﷺ لم يتزوج بكرا غيرها ، وبكونها بنت صديقه الاكبر . قالت عائشة : فغضب وقال « لا والله ما أبدلني الله خيرا منها ، آمنت بي إذ كفر الناس وصدقتني إذ كذبني الناس ، وواستني بمالها إذ حرمني الناس ، ورزقني الله منها الولد دون غيرها من النساء » قالت عائشة فقلت فى نفسى لاأذكرها بعدها بسيئة - رواه ابن عبدالبر والدولابي - رضى الله تعالى عنها وعن عائشة وجميع أزواج نبينا الطاهرات أمهات المؤمنين ، والغيرة فى النساء أمر طبيعى حتى أنهن ليغرن من الأموات أيضا .
قال الكمال أحسن الله تعالى اليه : وفى الرجال من يقتدى برسول الله ﷺ فى ذكر زوجته المتوفاة بالخير والترحم عليها والدعاء لها بالعفو والمغفرة ، وبالتصدق عن روحها بما يتيسر له عملا بقوله ﷺ « إن حسن العهد من الايمان » - رواه الحاكم عن عائشة - وإنى منهم ولله الحمد ونعم هذا الاقتداء لاهل المروءة والوفاء . قال الله تعالى (لقد كان لكم فى رسول الله أسوة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا) فانى لاأنسى زوجتى قدسية وحميدة من دعوات صالحات لهما وصدقات عنهما

٥ — عائشة الصديقة

بنت سيدنا أبي بكر الصديق خير من طلعت عليه الشمس بعد الأنبياء والمرسلين ، رفيق رسول الله ﷺ فى الغار ، ومعينه في الأسفار ، ووزيره فى عهده ، وخليفته بحق من بعده . وزوجة الرسول الاعظم سيدنا محمد ﷺ وأحب أزواجه اليه بعد خديجة ، وأكثرهن عليه إدلالا . تزوج بها وهي بنت تسع سنوات وهو ﷺ ابن أربع وخمسين سنة ، وأقام معها تسع سنوات ، ومات عنها وهو ابن ثلاث وستين سنة ، وهي بنت ثمانى عشرة سنة . وعاشت بعده خمسين سنة وتوفيت ولها من العمر ثمان وستون سنة ، ولم يرزق منها ولا من غيرها من أزواجه الاحدى عشرة زوجة ولدا إلا من خديجة . وقد كانت جميلة الصورة ، حسنة الخلق ، حلوة المنطق ، فصيحة اللسان ، جيدة القريحة ، رزينة الرأى ، رصينة العقل . وعت من أحاديث النبي ﷺ مالم تعه امرأة من نسائه ، وروت عنه مالم يرو مثله أحد من الصحابة الا أبا هريرة وعبد الله بن عمر . وكانت أفقه الناس وأعلمهم

حتى بالطب والشعر ، قال أبو بردة عن أبيه أبي موسى الأشعرى : ما أشكل علينا أمر فسألنا عنه عائشة إلا وجدنا عندها علماً فيه : وقال ابن شهاب الزهرى المتوفى سنة ١٢٤ : لو جمع علم عائشة الى علم جميع أزواج النبي ﷺ وعلم جميع النساء لكان علم عائشة أفضل وأكثر . وقال أبو الضحى عن مسروق : كان أكابر الصحابة يسألونها عن الفرائض اه . وكانت كاملة الفضل تامة الأدب ، حازمة ثابتة شجاعة مقدمة ، حضرت وقعة الجمل بنفسها فكانت تحض الرجال على الحرب وتشجعهم ، وكان الناس يسألونها عما يحتاجون اليه فتفتيهم وهى من وراء حجاب . مع أنها إحدى أمهات المؤمنين أزواج رسول الله ﷺ اللاتي حرم الله على الناس من بعده أن يتزوجوا بهن أبداً . فأين نساء زماننا منها فى بعض ما اشتملت عليه من الأوصاف التى ذكرناها ؟ وقد ورد فى فضلها أحاديث كثيرة منها حديث « فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام » ووجه التشبيه أن الثريد جامع بين الغذاء واللذة والقوة وسهولة التناول وقلة المؤنه فى المضغ ، وسرعة المرور فى المرىء ، فضرب به مثلا لفضلها . توفيت سنة ٥٨ فى أيام خلافة معاوية قالت رضى تعالى الله عنها : كنت اذا هويت شيئا تابعني عليه رسول الله ﷺ وكنت اذا شربت من الاناء أخذه فوضع فمه على موضع فمي وشرب ، وكان يتكىء فى حجرى ويقرأ القرآن ، وكان اذا غضبت عرك بأنفى وقال «ياعويش قولي اللهم رب محمد اغفر ذنبي واذهب غيظ قلبي وأجرني من مضلات الفتن » قال علماء الحديث ومع ذلك لم يكن رسول الله ﷺ يفضلها على أقل أزواجه مزايا فى الخلق والخلق ، والذكاء والنسب بشيء من النفقة أو المبيت أو حسن العشرة . بل كان يقسم بينهن بالسوية رعاية للعدل ، ومن أولى من رسول الله ﷺ بالعدل فى المعاملة .

٦ — فاطمة الزهراء

بنت رسول الله ﷺ وأحب بناته اليه وأكرمهن وأعزهن عليه ، وزوجة سيدنا على بن أبي طالب رضى الله تعالى عنه ، وأم السيدين الكريمين سيدنا أبي محمد الحسن وسيدنا أبى عبد الله الحسين ، وغيرهما من النسل الطاهر الشريف .

كانت رضى الله تعالى عنها لينة العريكة ، دمثة الاخلاق ، حسنة الادارة لبيتها ، مطيعة لزوجها ، غير مترفعة عليه ، برة بأولادها ، محسنة لهم ذات ورع متناه وكمال زائد ، وعقل باهر ، كيف لا وهى بضعة - أى قطعة - من رسول الله ﷺ وأمها خديجة الكبرى رضى الله تعالى عنها . وهى أفضل نساء العالمين لا يعدلها فى الفضل أحد منهن ، وإحدى الكاملات اللاتى ورد الحديث الشريف بذكرهن وهو «كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون ، ومريم بنت عمران ، وخديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمد » وقد تقدم ذكر هذا الحديث عند ذكر هؤلاء . ولدت قبل الهجرة بثمانى عشرة سنة ، وتوفيت بعدها باحدى عشر سنة بعد والدها النبى الأعظم ﷺ بستة أشهر كما أخبرها بهذا وهو فى حالة الاحتضار بأنها أول أهله لحوقا به ، ولها من العمر تسع وعشرون سنة . ولها من النسل الطاهر الحسن والحسين وزينب وغيرهم ، وكلهم من سيدنا على رضى الله تعالى عنه ولم يتزوج عليها فى حياتها أصلا وأما بعد وفاتها فتزوج بكثير .

٧ — السيدة زينب

أمها فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ وأبوها على بن أبى طالب ، وأخواها الحسن والحسين ، وزوجها ابن عمها عبد الله بن جعفر الطيار بن أبى طالب ، وأولادها منه عون وعباس ومحمد وأم كلثوم رضى الله تعالى عنهم أجمعين ، كانت السيدة زينب على جانب عظيم من المهابة والوقار ، والحرمة والاعتبار ، تقية نقية ذات كرامات كثيرة شهيرة ، وأعمال خيرية مأثورة ، ولها المواقف العظيمة المعلومة والخطب البليغة المؤثرة يوم قتل أخوها السيد الحسين بالطف من كربلاء فى بلاد العراق . توفيت سنة خمس وستين من الهجرة . والمرجح عند جمهور كبار المؤرخين أنها مدفونة فى البقيع فى المدينة المنورة حيث أمها فاطمة وأخوها الحسن ورأس أخيها الحسين مدفونون ثمة ، وأما مقام السيدة زينب المشهور اليوم بالقاهرة فى مصر الذى يزار ويتبرك به ويدعى عنده فتحصل الاجابة لمن زاره ودعا عنده فهو مقام السيدة زينب بنت الامام عبد الله المحض بن الامام الحسن المثنى بن

الامام الحسن السبط . أخي السيدة زينب المشار إليها ، واتحاد الاسمين أوجب الظن بأنه مقام السيدة زينب بنت الامام علي والكل من أهل البيت (١)

٨ — السيدة سكينة

بنت سيدنا الامام الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهم ، تزوج بها مصعب بن الزبير فقتل ، فتزوج بها عبد الله بن عثمان بن عبد الله بن حكيم فمات عنها ، فتزوج بها الأصبغ بن عبد العزيز بن مروان وفارقها قبل الدخول بها ، فتزوجها زيد بن عمرو بن عثمان بن عفان فأمره سليمان بن عبد الملك بطلاقها ففعل لحزازات بين الأمويين وآل النبي صلى الله عليه وسلم .

كانت سيدة نساء عصرها وأجملهن وأظرفهن وأحسنهن خلقا وخلقاً ، وأعلاهن مقاما ، وأوفرهن ذكاء وعقلا وأدبا وعفة . وكانت تجالس الأجلة من قريش ، وتجمع اليها الشعراء وتبحث في شعرهم وتنتقد ماتراه محلا للنقد لما كانت عليه من الحذق ، ولها فى هذا الباب نوادر وحكايات مستظرفة جدا ، وكانت تزين المجالس بعلمها وأدبها ، وبالأسئلة التى تطرحها على الشعراء والأدباء ، وكان الناس يفدون عليها لمحاضرتها توفيت سنة ١١٧

(تنبيه لتمويه)

قامت امرأة شابة جميلة تتخذ التمثيل - أى حكاية الوقائع التاريخية السالفة فى المسارح العامة للدهماء - أى جماعة الناس - حرفة لها تحت ستار نشر الفضيلة والدعوة للأخلاق الجميلة ، وهى على أظهر مايكون من التبرج والتزين والاكتساء الذي هو أشبه بالعرى ، مع التكسر فى الأوضاع والتثنى فى الأعطاف ، والتمايل فى الأطراف ، مما القصد به جلب الناس الى حبها وفتنهم بها . قامت هذه المخلوقة

---

(١) من أراد زيادة الأطلاع وتحقيق هذا المبحث فليراجع كتاب السيدة زينب الذى قام بطبعه الاستاذ حسن محمد قاسم أخيرا بمطبعتنا . فقد أثبت فيه مؤلفه أن السيدة زينب بنت على بن أبى طالب هي المدفونة بمصر بالمقام الزينبي الشهير . اه مصححه

برحلة تجوب عبـــاب البحار ، وتقطع يباب القفار إلى شاسع الأقطار ، ومعها من هم على شاكلتها من نساء ورجال ، فاعترض على عملها هذا الذى رآه منها ومن زمرتها شائنا فى الاسلام معترض بحجة أنها مسلمة وأن الاسلام لايبيح لها السفر بلا زوج أو محرم فضلا عن هذا التهتك التى هى متلبسة به ، وكأن قد علمت أو علمت من قبل فقالت ترد عليه : إن السيدة سكينة كانت تجالس الرجال وتحادثهم وتحاضرهم وهى ما خرجت عن كونها مثلها في عملها ، فلم نسمع من اعترض على السيدة سكينة ، واحتدت وتغيرت أوضاعها لهذا الاعتراض الذى دهمها . فتدخل الدهماء من الحاضرين للانتصار لها من ذلك الرجل المعترض والعوام كالأنعام بل هم أضل حرصا على أن لا يفوتهم شىء من رؤية حركاتها وسكناتها المهذبة للأخلاق والمنمية لروح الفضيلة فى تلك الأجسام التى صرفت وقتها ونقدها للحصول عليه وغلبت صولة الباطل على قول الحق وعاد المسرح إلى عمله بما فيه . ونحن نقول : إن بين السيدة سكينة الشريفة العفيفة التقية النقية وبين هذه الممثلة المترجلة الخ بونا شاسعا كما بين السماء والأرض ، فتلك كانت تجالس الاجلة من رجال قريش متسترة متحجبة كما تأمر به شريعة جدها الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم وتحاضرهم وتذاكرهم بمسائل الدين من حديث وفقه وتفسير وأدب وشعر فى وقت دون وقت ، لا إنها تتخذ التمثيل أى حكاية الوقائع الماضية حرفة لها أمام أخلاط الناس تبتز بها أموالهم وتسترق بها أجسامهم وتفتنهم بما تبديه من خلاعة ورقاعة مما يعبر عنه بجودة الصناعة ، فبينها وبينها كما بين الظلمات والنور ، والظل والحرور ، ومن هم على ظهر الأرض وفى بطون القبور .

٩ — السيدة فاطمة النبوية

هى أخت السيدة سكينة السالفة الذكر وزوجها ابن عمها الحسن المثنى بن الحسين السبط ابن الامام على وابنها الامام عبد الله المحض دفين مصر القاهرة بالمسجد المعروف باسم مسجد الشيخ عبد الله رضى الله تعالى عنهم . كانت كريمة الأخلاق طاهرة الأعراق ، تكافىء على الجميل القليل بالكثير الجزيل . ومن كلامها : والله ما نال أحد

من أهل السفه بسفههم شيئا ، ولا أدركوا من لذاتهم شيئا ، إلا قد ناله أهل المروءات. فاستتروا (بصيغة الأمر) بجميل ستر الله تعالى. توفيت سنة عشر ومائة رضى الله تعالى عنها .

١٠ — السيدة نفيسة

هى بنت سيدنا الحسن بن زيد بن على زين العابدين بن سيدنا الحسين السبط ابن سيدنا على وزوجة السيد إسحاق بن سيدنا جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على زين العابدين بن سيدنا الحسين السبط رضى الله تعالى عنهم أجمعين . كانت صالحة زاهدة تقية نقية صلاحا وزهدا وتقى ونقاء لامزيد عليه، تقوم الليل وتصوم النهار وتكثر البكاء من خشية الله حتى قيل لها ترفقى بنفسك لكثرة ماراوا منها . فقالت : كيف أرفق بنفسى وأمامى عقبة لايقطعها إلا الفائزون . حجت ثلاثين حجة وكانت تحفظ القرآن وتفسيره ولا تأكل إلا أكلة واحدة فى كل ثلاث ليال ، سمع الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه الحديث الشريف عليها من وراء حجاب وطلب منها أن تدعو له ومات قبلها بأربع سنوات ، فأدخلت جنازته عليها فصلت عليها فى دارها . وكانت ذات مال فكانت تحسن للامام الشافعى ، وكان يصلى بها فى رمضان . ولدت بمكة سنة خمس وأربعين ومائة ونشأت فى المدينة المنورة على العبادة والزهد ، وتوفيت فى شهر رمضان سنة ثمان ومايتين ودفنت بمنزلها المعروف بخط درب السباع فى مصر ولها من العمر ثلاث وستون سنة . وقد حفرت قبرها فيه وقرأت فيه مائة وسبعين ختمة ، وتوفيت وهي صائمة فألزموها الفطر فقالت : واعجباه أنا من منذ ثلاثين سنة أسأل الله تعالى أن ألقاه صائمة أأفطر الآن ؟ ! هذا لا يكون . وخرجت من الدنيا وقد انتهت فى قراءتها إلى قوله تعالى (قل لمن ما فى السموات والأرض قل لله كتب على نفسه الرحمة) .

١١ — السيدة عائشة النبوية

هى بنت جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على زين العابدين بن الحسين السبط ابن الامام على وأخت الامام موسى الكاظم رضى الله تعالى عنهم أجمعين . كانت من العابدات الزاهدات المجاهدات للنفس فى سبيل الله تعالى ، ماتت سنة خمس وأربعين ومائة ودفنت فى المسجد المعروف باسمها فى مصر على طريق الذاهب إلى قرافة الامام الشافعى ، وأهل مصر يعتقدون بها وبجميع من هو مدفون بمصر من آل البيت ، ويتبركون بزيارة قبرها وقبورهم رحمهم الله تعالى رحمة واسعة ،ونفحنا بنفحاتهم ، وأعاد علينا من بركاتهم .

١٢ — الخنساء

هى تماضر بنت عمرو بن الشريد الصحابية الجليلة ، والخنساء صفة لها ومعناه المتأخر أنفها عن وجهها مع ارتفاع قليل فى الأرنبة ، والمذكر أخنس. حضرت الحرب ومعها أولادها الأربعة فكانت تشجعهم على الاقدام والجهاد فى العدو ابتغاء وجه الله تعالى حتى قتلوا ، فلما بلغها قتلهم حمدت الله تعالى على أن رزقهم الشهادة وسألته أن يجزيهم خيرا فى الآخرة ، فكانت المثل الأعلى للصابرين والصابرات حيث لم تجزع على مصابها بهم . وأجمع علماء البلاغة على أنه لم تكن امرأة قط قبلها ولا بعدها أشعر منها ، لاسيما ما رثت به أخاها من أبيها صخرا . ومن أخبارها أنه خطبها دريد بن الصمة من أبيها وكان طاعنا فى السن ، فقال له أبوها إنك الكريم الذى لايطعن فى حسبه ، ولكن لهذه المرأة فى نفسها ماليس لغيرها ، وإنما أذكرك لها . ثم دخل عليها وقال يا خنساء . أتاك فارس هوازن وسيد بنى جشم دريد بن الصمة يخطبك وهو من تعلمين ؟ فقالت : يا أبت أترانى تاركة بنى عمى مثل عوالى الرماح وناكحة شيخ بنى جشم هامة اليوم أوغد ؟ ! وأبت أن تتزوج به لكبر سنه ودنوه من الموت . وفى هذه الحكاية ما يدل على أن النساء يكرهن الكبير فى السن ولو كان عظيما كما قال الشاعر :

من كان آدم جملا فى سنه　　كرهته حواء السنين من الدمى

توفيت الخنساء سنة أربع وعشرين من سنى الهجرة رحمها الله ورضى عنها

١٣ — بكارة الهلالية

من نساء العرب الموصوفات بالشجاعة والاقدام والفصاحة ، والشعر والنثر والخطابة، حضرت مع سيدنا على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه حرب صفين ، ولها مقالات حماسية جعلت كل من سمعها يقدم في الحرب بدون مبالاة . وكانت مثال المرأة الصادقة لم تدنس نفسها بكذب ، ولذلك أثر قولها فى الرجال فتبادروا موارد المهالك فى تلك الحرب ، وهكذا ينبغى للمرأة أن تتجنب الكذب فان الكذب فى حد ذاته قبيح وهو فى النساء أقبح ، لأن المرأة متى كذبت خانت ففسقت ولا خير فيها حينئذ . قال عامر بن الظرب العدواني حكيم العرب - وكان من المعمرين فقد عاش مائتى سنة - إنى وجدت صدق الحديث طرفا من الغيب ، فاصدقوا تصدقوا . يعنى أن من لزم الصدق فى أقواله أصاب بظنه ، فلا يقول عن شيء فى المستقبل أنه سيكون كذا إلا جاء على وفق ماقال .

توفيت بكارة الهلاليه

١٤ — الحرقة بنت النعمان بن المنذر

كانت من أفصح نساء زمانها مقالا ، وأوفرهن جمالا ، وأكملهن عقلا ، وأعظمهن أدبا ، غير أن الدهر قلب لها ظهر المجن فتغيرت حالتها ؛ وذهبت نعمتها ، فلم يغير شيئا من كرم أخلاقها ، وحسن طباعها ، ورباطة جأشها . بل صبرت على ما أصابها حتي توفيت أيام سعد بن أبى وقاص المتوفى سنة خمس وخمسين . ومن كلامها : إن للدهر عثرات تعثر بالملوك وأبنائهم . فتخفضهم بعد رفعة ، وتفردهم بعد منعة ، وتذلهم بعد عزة ، وكذلك الدهر ليس يأتى قوما بمسرة إلا أعقبهم حسرة

١٥ — رابعة العدوية

هى رابعة بنت إسماعيل العدوية البصرية مولاة آل عتيك ، اشتهرت بالنسك والعبادة وتقديسه وتمجيده ، ورضيت من الحياة بالكفاف من العيش ، والصوف والشعر من اللباس ، وكان يغشى عليها إذا سمعت ذكر الله تعالى من هيبته فى قلبها جل جلاله . وبلغت الثمانين من عمرها وهى لاتزداد إلا عبادة وتقوى ، وكان كفنها معها أينما توجهت ، وكانت تقوم الليل كله بالصلاة فاذا طلع الفجر هجعت هجعة خفيفة حتي يسفر الفجر ، فتقوم من نومها فزعة وتقول يا نفس كم تنامين ؟ وإلى كم تنامين ؟يوشك أن تنامى نومة لاتقومين منها إلا بصرخة يوم البعث والنشور . وكانت تقول إلهى ما عبدتك خوفا من نارك ، ولا طمعا فى جنتك ، بل حبالك وقصد لقاء وجهك . توفيت سنة خمس وثمانين ومائة ، وأخبرت عنها أليفتها فى حياتها ، ورفيقتها فى عبادتها ، عبدة بنت أبى شوال انها رأتها فى منامها بعد موتها فى نعيم عظيم ، فقالت لها مرينى بامر أتقرب به إلى الله عز وجل فانال مثل مانلت؟ فقالت لها عليك بكثرة ذكر الله تعالي ، فانه يوشك أن تغتبطى بذلك فى قبرك رحمها الله تعالى ورضى عنها

١٦ — شيرين

هى من ولد خسرو (كسرى) نو شيروان ، وزوجة إبرويز بن هرمز ، تزوج بها ففوض اليها أمره ، واستوثق منها بان لاتمكن منها أحدا بعده ، وكانت من أجمل النساء وأظرفهن ، ومثالا أعلى فى الوفاء لزوجها المذكور . وذلك ان شيرويه ولد زوجها من غيرها لما قتل أباه إبرويز المذكور واستولى على ملكه بعث إلى شيرين يدعوها لنفسه ، فامتنعت عليه وأبت أن تجيبه لما طلبه ، فغضب عليها وغصب منها ضياعها وعقارها وذخائرها وكل أموالها ، وقذفها بالفاحشة ورماها بكل معضلة ، فلما بلغها ذلك هان عليها ما أخذه من الأموال دون مارماها به من الافك والافتراء عليها ، فبعثت اليه تقول أيها الرجل إن لم يكن بد مما سألت فاقض لى ثلاث حاجات ،

رد على ضياعى وأموالى ، واصعد على منبرك بمحضر من مرازبتك وأساورتك وعظماء أهل مملكتك وتبرأ مما قذفتني به ، وأمر بفتح الناوس الذى فيه أبوك فان عندى وديعة له أريد أن أردها اليه فاجابها لما طلبته ، فلما فتح لها باب الناووس وكان معها خاتم فيه سم ساعته فوضعته فى فيها وعانقت زوجها وماتت بالحال ، فسمحت بنفسها وفاء لزوجها بما وعدته به من أنها لاتنتقل إلى أحد بعده . وهى ليست مؤمنة حتى إنه لاسبة عليها ولا عار لوقبلت ابن زوجها أن يحل محل أبيه منها فى دينها ، ولكن الثبات على صدق الوفاء من أفضل ما تتحلى به النساء ، وأين منها الست لطيفة بنت فريد باشا اليافى فقد استفاضت الأخبار عنها بواسطة الجرائد أنها أحبت ابن أخى زوجها فاتفقت معه على سم عمه ليحل منها محله ؟! وهو من وجوه الشام وسراتها المعروفين ومن الشبان الذين لم يتجاوزوا الأربعين من عمرهم ولها منه عدة أولاد ، ولكن غلبت عليها شهوتها ـ بل شقوتها ـ فسمت زوجها بتدبير ابن أخيه فذهب شهيدا لرحمة الله تعالى وأبت عدالة الله أن يذهب دمه هدرا فظهرت حقيقة المسألة وحكم على الزوجة المذكور وعلى معشوقها ابن أخيه بالاعدام جزاء ما عملاه ، إلا أن الحاكم الأكبر الفرنسوى فى الشام بدل حكم الاعدام بالسجن المؤبد وقدره عشرون عاما فهما اليوم محبوسان حتى تنقضى المدة التى استبدلت بالاعدام ، وليس هذا الحبس حتي ولا الاعدام بالحكم الذى يبرؤهما يوم القيامة لأن الحدود فى الدنيا زواجر لا جوابر ، فمن فعل فى الدنيا مايستوجب عليه العقاب فعوقب عليه فعقابه إنما هو زاجر لغيره عن فعل مافعله لا جابر لتلك الفعلة التى فعلها ، بل لابد أن يعاقبه الله تعالي عليها فى الآخرة ، أو يعفو عنه إذا شاء ، وستصبح خيانة لطيفة لزوجها مثلا سائرا كما أصبح وفاء شيرين لزوجها مثلا سائرا ، كل امرىء بما كسب رهين ، والناوس صندوق من حجر واحد يضع فيه الكفار فى القديم ملوكهم بعد الموت ، ومنه نوواويس فراعنة مصر وقياصرة الروم وغيرهم .

١٧ ــ فاطمة بنت عبد الملك بن مروان

كانت فصيحة أديبة ذات دين وورع لم يسبق اليه أحد من نساء بنى أمية ، تزوجت بعمر بن عبد العزيز قبل أن يتولى الخلافة فغمرها بأمواله ؛ وأرضاها بنواله ، وعاشت معه فى رفاهية ونعيم ، فلما آلت اليه الخلافة وكان على منهج الخلفاء الراشدين قال لها إن أردت صحبتى - أي بقاء الزوجية بينى وبينك - فردى مامعك من مال وحلى وجواهر إلى بيت مال المسلمين فانه لهم ،فردته جميعه وبقيت معه فى عيشة التقشف والزهد الى أن مات بعد سنتين من خلافته سنة واحدة ومائة فانتقلت الخلافة الى أخيها يزيد بن عبد الملك فقال لها : إن عمر ظلمك فى مالك وإنى رددته اليك فخذيه ، فقالت كلا والله لا آخذه فما كنت لأطيعه حيا وأعصيه ميتا ، وبقيت فى حالة زهد وعبادة وورع حتى لحقت بزوجها رحمها الله تعالى ورضى عنه .

١٨ ــ الخيزران

أم هارون الرشيد وزوجة أبيه محمد المهدي ، أجمع المؤرخون على أن جميع الأعمال الطيبة والأفعال الحسنة التى قام بها المهدىفأكسبته الشهرة الفائقة إنما كانت بتأثير زوجته الخيزران هــــذه ، وكانت ذات جمال وبهاء وكمال وأدب ولطف ، وحلت من زوجها فى مكانة عظيمة ،وتقدمت فى خلافته تقدماً زائداً امتد الى زمن خلافة ولدها موسى الهادى فشاركته فى إدارة أمور المملكة ، وكان كثير الطاعة لها مجيبا لما تطلبه منه من قضاء حاجات الناس ثم انقلب عليها بعـــد ذلك لما رأى من كثرة المتوسلين بها وتردد الناس عليها لقضاء حاجاتهم فمنعها من التدخل فى أمور الملك وأراد قتلها وهى أمه فبعث اليها بطبيخ أرز مسموم وقال لها قد استطبته فكلي منه ، فقيل لها امسكى حتى تنظرى وجيء بكلب فأطعم منه فسقط لحمه ومات لوقته ، فأرسل إليها إبنها كيف رأيت الأرز؟ فبعثت تقول له إنه طيب ، فقال ما أكلت منه ولو أكلت لاسترحت منك ، ومتى

أفلح خليفة له أم ؟! ويقول المؤرخون إنها اقتصت منه وجزته على عمله بمثله وذلك أنها أمرت جواريها فقتلنه ، وقيل إن سبب قتلها له أنه أراد أن يخلع أخاه هارون الرشيد من ولاية العهد ويجعلها فى ابنه جعفر ، فخافت الخيزران على ابنها الرشيد أن تذهب الخلافة منه فأمرت جواريها بقتل ولدها موسى الهادى، وصادف أنه كان مريضا فقتلنه بالغم والجلوس على وجهه ، فلما ولى الرشيد الخلافة أعاد لها ما كانت عليه من العز والنفوذ إلا أنها كفت من نفسها عن التدخل فى الأحكام حتى توفيت في خلافته ، فأخرجها باحتفال عظيم لم ينله غيرها من نساء الخلفاء سنة ثلاث وثمانين ومائة .

١٩ — السيدة زبيدة

أبوها جعفر وعمها المهدى وجدها المنصور وزوجها هارون الرشيد وابنها محمد الأمين وكلهم خلفاء ، فأحاطت بها الخلافة من كل جانب . تزوج بها هارون الرشيد سنة خمس وستين ومائة وكان يحبها ويكرمها كثيرا ، وكانت هى أيضا شديدة البر به والاحتفاظ بكرامته حريصة على مرضاته ، وكانت ذات خير معروف وفضل وكرم وتقوى وصدقات متواصلة ومال كثير أنفقت منه فى سبيل الله وفى الحج وفى بناء المساجد والملاجىء للغرباء والمطاعم للفقراء مليونا وسبعمائة ألف دينار ، ولها خيرات كثيرة غير ذلك فانها سقت أهل مكة الماء بعد أن كان الراوية عندهم بدينار لندرة وجوده - الراوية وعاء صغير من الجلد دون القربة يوضع فيه الماء - وأجرت المياه تحت الجبال والصخور حتى أوصلته إلى مكة المكرمة ، ولم تزل هذه المياه موجودة إلى الآن باسم عين زبيدة يستقى منه جميع أهل مكة ومجاوريها وعليها مدار شربهم وريهم ، وهو ماء كثير يكفى كل من فيها ومن يرد عليها لولا أن بعض أصحاب النفوذ كانوا يغصبون مقدارا كبيرا منه ويسوقونه إلى أراض لهم ليجعلوا منها بساتين وجنائن ، فهم يضيقون على عباد الله مابه قوام حياتهم وكثير منهم يتعمد ذلك التضييق في أيام الحج ليباع الماء بأكثر من ثمنه المعتاد لا سامحهم الله ، وكان للسيدة زبيدة رحمها الله تعالى مائة جارية يحفظن القرآن عن

ظهر قلب « استظهاراً » ولكل واحدة منهن ورد منه تقرأه فكان يسمع فى قصرها كدوي النحل من قراءة القرآن ، وكان للعلماء والأدباء اجتماعات تعقد فى مجالسها لنشر العلم وتقدير قدر أهل الفضل ، وما زالت على هذه الحالة الحسنة حتى مات زوجها الرشيد واستخلف ولدها الأمين ، وجرى بينه وبين أخيه لأبيه المأمون ماجرى مما أدى إلى قتل ولدها الأمين فساء حالها ، ولكن المأمون عطف عليها وجمل حالها وأحسن اليها بعد ما استتب له الأمر واعتذر لها عن تقصيره لما كان مشغولا فيه ، وقال لها : ماجفوتك تعمدا ولكن شغلت عنك . فقالت له ياأمير المؤمنين إذا حسن رأيك لم يوحشنى شغلك ، فكان يوجه اليها في كل سنة مائة ألف دينار ومليون درهم حتى توفيت قبله بسنتين سنة ست عشرة ومايتين رحمها الله تعالى .

٢٠ — علية بنت محمد المهدى

أخت هارون الرشيد ، كانت أحسن نساء زمانها وجها ، وأظرفهن خلقا ، وأوفرهن عقلا ذات عفة وصيانة وأدب بارع ، وفضل رائع ، وآثارها الأدبية فى كتب الأدب من منظوم ومنثور كثيرة تشهد لها بفضلها ، وكان أخوها هارون الرشيد يجلها ويبالغ فى إكرامها ، وكانت اذا طهرت لازمت العبادة فاذا لم تكن طاهرة لحيض أو نفاس غنت لنفسها فى قصرها ، ومع الغناء والشعر الغزلى الذى كانت تقوله كانت من العفائف الحصائف ، عاشت خمسين سنة وتوفيت سنة عشر ومايتين بعد أخيها هارون الرشيد بسبع عشرة سنة في خلافة المأمون ابن أخيها رحمها الله تعالى .

٢١ — بوران

هى بنت الحسن بن سهل وزير الخليفة عبد الله المأمون ابن هارون الرشيد وزوجته ، تزوج بها فى رمضان سنة عشر ومائتين . كانت أحسن نساء زمانها وأجملهن وأكرمهن وأفضلهن أدبا وأوفرهن عقلا . رباها أبوها أحسن تربية ، وخالطت نساء الخليفة هارون الرشيد فاكتسبت من أدبهن ما أهلها لأن تكون واحدة منهن ، وقد انفق والدها يوم زفافها للمأمون مالم ينفقه أحد ، فقد كتب رقاعا بأسماء عقارات

وضياع وقرى ونثرها على الحاضرين فكل من وقعت بيده رقعة تملك مافيها ، ولما أدخلت على المأمون عراها من هيبة الملك ما غير عادة حيضها فحاضت بالحال ، فلما أراد المأمون أن يدنو منها قالت له : أتي أمر الله فلا تستعجلوه ، فكف عنها وأعجب بحسن جوابها ، وكانت لها عنده الحظوة التامة حتى توفى عنها سنة ثمانى عشرة ومائتين بعد ما أقامت معه ثمانى سنوات ، وعاشت بعده ثلاثا وخمسين سنة ، وتوفيت سنة احدى وسبعين ومائتين ولها من العمر ثمانون سنة ولقد حسدها نساء أهل زمانها على اتصالها بالخليفة حتى ظهر حسدهن على لسان بعض الشعراء حيث قال :

بارك الله للحسن ولبوران فى الختن
يا إمام الهدى ظفر ت ولكن ببنت من !

وفى البيت الأخير إيهام الاستخفاف والاعجاب وهو من أنواع البديع . ومثله قول شاعر فى خياط أعور خاط له قباء :

خاط لى زيد قباء ليت عينيه سواء
قل لمن يسمع قولى ذا مديح أم هجاء ؟

٢٢ — قطر الندى

هى بنت خمارويه ملك مصر المتوفى سنة ٢٨٢ ابن احمد بن طولون وزوجة الخليفة المعتضد بالله العباسى ، أنشأت فى قصرها حلقة تجتمع فيها الاديبات الفاضلات والنساء النابغات ، فيبحثن فى الموضوعات العلمية ويتطارحن الأسئلة المفيدة ، ولما مات زوجها وأفضت الخلافة الى ولده المقتدر بالله وكان حديث السن تدخلت هى فى الأحكام وقبضت على زمام الحل والعقد فكانت تقابل الوزراء والسفراء وأرباب المناصب ، وتجلس للنظر فى المظالم وطلبات الناس كل جمعة وتوقع عليها بما تقتضيه الحالة .

٢٣ — ولادة

هى بنت المستكفى بالله محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الناصر لدين الله الأموى ، واحدة زمانها المشار اليها بالبنان ، حسنة المحاورة ، دائمة المذاكرة ، ذات صيانة وعفاف . أديبة شاعرة جزلة القول حسنة الشعر ومنه قولها :

ألحاظكم تجرحنا بالحشا ولحظنا يجرحكم فى الخدود

جرح بجرح فاجعلو ذا بذا فما الذى أوجب هذا الصدود

وكانت تناضل الشعراء ، وتجادل الأدباء ، فتفوق البارعين منهم . وكان مجلسها بقرطبة فى بلاد الاندلس (باسبانيا) منتدى لاجتماع الأدباء ووفود الشعراء لحلاوة عشرتها ، وكرم نسبتها ، وزيادة طهارتها ، وعفتها وصيانتها ، وحسن سلوكها . فلا تقسها بنساء هذا الوقت المتبرجات المتهتكات فان لها من كرم أصلها وشرف دينها رادعا يردعها عما يدنس عرضها ، فهى كما قال جرير الخطفى الشاعر :

حور حرائر ماهممن بريبة كظباء مكة صيدهن حرام

يحسبن من لين الكلام زوانيا ويصدهن عن الخنا الاسلام

وعمرت عمرا طويلا ولم تتزوج حتى توفيت سنة ثمانين وأربعمائة بعد مالاقت من الزمان زعزعا ورخاء ، وشدة ورخاء ، رحمها الله تعالى

٢٤ — شجرة الدر

هي زوجة الملك الصالح نجم الدين أيوب الكردي الحاكم فى مصر المتوفى سنة ٦٤٧ كانت امرأة عاقلة مهذبة خبيرة بالأمور ، ذات حزم ومعرفة تامة بأحوال المملكة ، فكانت تدبر الأمور فى حياة زوجها ، وكان يرجع اليها ويستشيرها فى الأمور المهمة ، وكان الخطباء يخطبون باسمها على المنابر ، فلما مات زوجها قامت هى بالأمر بعده فساست الرعية بحسن تدبيرها ووفور عقلها وخبرتها ، إلا أن بعض الناقمين عليها أغرى جواريها بها وأفسدهن عليها فقتلنها وهى فى الحمام بالقباقيب حتى ماتت رحمها الله تعالى سنة ٦٥٠ ﻫ

٢٥ـ عائشة الباعونية

هى بنت القاضى يوسف بن احمد بن ناصر الدين الباعونى ـ نسبة الى باعون قرية من قرى عجلون فى جبل الدروز ـ ولدت بدمشق ونشأت فى بيت معروف بأن كل من نسب اليه عالم أو أديب أو مؤرخ أو محدث ، وكانت ذكية بفطرتها ميالة للعلم وقرض الشعر من صغرها ، حفظت القرآن الكريم عن ظهر قلب وهى بنت ثماني سنوات ، وتلقت الفقه والنحو والعروض على علماء عصرها ، ثم انصرفت للنظم والتأليف . ومن آثارها النفيسة قصيدتها البديعية التى سارت مسير الشمس فى شهرتها ، مدحت بها النبي الأعظم صلى الله عليه وسلم بأنواع البديع من غير تسمية النوع ، ولها غيرها من مدح وغزل ونسيب وتشبيه ، وقد أجلها علماء عصرها وكاتبوها ومدحوها وقابلتهم هى بالمثل ، وتتلمذت فى مصر على العلامة احمد شهاب الدين القسطلانى شارح صحيح البخارى وصاحب غيره من المؤلفات القيمة المتوفى سنة ٩٢٣ ، وأطنب كبار المؤرخين بمدحها ووصفها . قال الغزى فى كتابه الكواكب السائرة : هى الشيخة الأديبة العالمة العاملة الصوفية إحدى أفراد الدهر ونوادر الزمان فضلا وعلما ، وأدبا وشعرا ، وديانة وصيانة .

ـ الغزى هو إما بدر الدين المتوفى سنة ٩٨٤ ﻫ أو نجم الدين المتوفى سنة ١٠٦١ ـ وقال الشيخ عبد الغني الدويك الشهير بالنابلسى العالم الجليل المتوفى سنة ١١٤٣ : فاضلة الزمان ، وحليفة الأدب فى كل مكان . وقال غيرهما ربة الفضل والأدب ، وصاحبة الشرف والنسب ، كانت جميلة الصورة ، وافرة الهيبة ، من العلم والأدب ، وديوان شعرها فى المدائح النبوية جامع لاسنى الشعر وأعلاه ، وقصيدتها البديعية ـ السالفة الذكر ـ سارت بذكرها الركبان ، وفاقت بمعانيها على بديعية الصفى الحلى (المتوفى سنة ٧٥٠) وبديعية ابن حجة الحموى (المتوفى سنة ٨٣٧ ﻫ) توفيت بدمشق الشام ودفنت بالصالحية ولم يزل قبرها الى اليوم باقيا ومكتوب عليه ، هذا مقام السيدة عائشة الباعونية رضى الله تعالى عنها سنة ٩٣٠ ﻫ

٢٦ — عائشة التيمورية

هى الست عائشة عصمت بنت اسماعيل باشا تيمور بن محمد كاشف ، وأخت العالم الفاضل المشهور المرحوم احمد باشا تيمور المتوفى سنة ١٣٤٨ ﻫ كردية الأصل أديبة فاضلة ، وحكيمة عاقلة ، عالمة وشاعرة بارعة ، فاقت على أقرانها . تعلمت وتخرجت على أساتذة فضلاء بين سمع أبويها ونظرهما ، وغلب عليها الميل الى النحو والعروض فبلغت من الشعر مبلغا لم يبلغه غيرها من النساء ، وديوان شعرها المسمى بحلية الطراز شاهد على ذلك ولها شعر كثير بالتركية والفارسية وفى بدء أمرها بادرت أمها الى تعليمها التطريز ولكن كانت أفكارها متجهة لتعلم القراءة والكتابة ، فأتى لها أبوها بمن علمها القرآن والخط والفقه والصرف واللغة وأخذت تواصل قراءة كتب الأدب وتتبع دواوين الشعر حتى صارت لها ملكة التصور للمعانى فأخذت تنظم الشعر وقبل إتمام تعلمها تزوجت ، فكفت عن الاشتغال بالعلم وانصرفت الى تدبير أمور المنزل وتربية أولادها حتى مات زوجها سنة ١٢٩٢ وكان أبوها مات قبله سنة ١٢٨٩ ﻫ فاستقلت بنفسها ورجعت للاشتغال بالعلم والأدب حتى ماتت سنة عشرين وثلاثمائة وألف ولها من العمر أربع وستون سنة .

٢٧ — السيدة قدسية

هى السيدة قدسيه رشيدة كريمة الأستاذ العالم الفاضل الشيخ محمد جمال الدين المتوفى سنة ١٣٤٤ ﻫ ابن الولى الكبير العلامة الشهير الشيخ محمد أبى المحاسن القاوقجي الحسنى المتوفى سنة ١٣٠٥ وأمها امرأة تركية اسمها الست حورية بنت محمد افندى القنطارجي (الوزان) فى وزارة حربية الدولة العثمانية من أهل مدينة بروسه ولدت سنة ١٣١٦ ﻫ وسنة ١٨٩٨ م فى استانبول ونشأت فى بيت أبويها على التربية التركية بسبب المحيط الذى ولدت فيه وتعلمت فى كتاتيب المحلة ثم دخلت فى المدارس الرسمية للحكومة حتى بلغت السنة الرابعة من سني التعليم فى دار المعلمات ثم نشبت

الحرب العامة سنة ١٣٣٣ هـ ١٩١٤ م فحالت بينها وبين إكمال تحصيلها وكان بقي لها سنة حتى تتمه وفي سنة ١٣٣٥ هـ ١٩١٤ م تزوجت بها فى استانبول وأقامت معى ثلاث عشرة سنة إلا أسبوعا رزقت منها فى أثناءها أربعة أولاد ذكور وواحدة أنثى ، وهم على هذا الترتيب ، عبد الرحمن كمالات وتوفى فى استانبول عن أربعة أشهر وأمة الرحيم وعبد الرحيم وهما ولله الحمد حيان بارك الله تعالى بهما وعبدالحليم وعبد الله وقد ماتا فى مصر ولكل واحد منهما ستة أشهر ثم إنها ماتت رحمها الله تعالى بمرض القلب وهى حامل بولدها السادس خاق الله لثمانية أشهر من حمله ودفنت فى حوش الشيخ احمد أبى النصر فى قرافة المماليك حيث أبوها وعمها الشيخ كمال الدين مدفونان فيه ليلة الخميس ليلة اليوم السادس عشر من شهر ربيع الثانى سنة ١٣٤٨ الموافق لليوم التاسع عشر من شهر سبتمبر (ايلول) سنة ١٩٢٩ م رحمها الله تعالى وعفا عنها وعوضها عن شبابها بالجنة وضاعف لها الأجر والمنة وغفر لى ولها ما كان بيننا من تظالم وسوء تفاهم وقد كانت رحمها الله تعالى جميلة فصيحة المنطق تغلب عليها التركية على النطق بالعربية ذكية فهيمة صافية القلب من كل غل وحقد مهما أسيء اليها ترضى وتصفح بمجرد مايعتذر لها ، قنوعة راضية بعيشتها غير طامعة بشيء من زخارف الحياة ميالة الى الزهد فى الدنيا والبعد عن سفسافها لاتتبرج ولا تتهتك ولا تظهر لغير ذى رحم محرم قريب منها ولاتميل الى الخلاعة وغشيان مسارح اللهو ، ما كلفتني فى مدة إقامتها معى بأن أذهب بها الى مشاهدة رقص أو تمثيل أو سينما أو سماع غناء وما كانت تستعمل ماتستعمله النساء من حمرة الشفاه وتبييض الخدود وتسويد الحواجب وما كانت تبدى شيئا من بدنها يحرم إبداؤه حتى أنها كانت وهى فى بيتها ترخى الأستار على النوافذ زيادة فى التصون ، وقل أن سمعتها تغنى مع أن صوتها رخيم حسن إلا أن تكون تغني لتنويم ولدها ، وكانت تقوم بعمل بيتها بنفسها حتى غسل الثياب لاتريد أن تستخدم خادمة ، وكانت عفيفة الكلام ماسمعت منها كلمة بذيئة لا بجد ولا بهزل ، وكانت تكره أن تسمع منى كلمة (شهوة) لما أسألها عما تريد أكله قائلا لها الرجل يأكل بشهوة عياله

فتقول لى لاتقل بشهوة بل باشتهاء عياله ، وكانت مقتصدة الى البخل أقرب منها الى الاسراف ، وكانت مصلية صائمة قارئة للقرآن وغيره من كتب الدين غير ميالة الى قراءة الجرائد والمجلات على اختلاف نزعاتها ومن تمسكها بدينها أنها كانت صائمة شهر رمضان وهى فى الشهر التاسع من شهور حملها بولدها عبد الرحيم وكان قد صادف شهر رمضان لشهر مايو (ايار) وهو الشهر الذى يطول فيه النهار وتأخذ فيه الحرارة بالازدياد فأبت أن تفطر فيه يوما واحدا ، وبالجملة إنها كانت على أحسن مايمكن أن تكون عليه النساء مع حداثة سنها ، ولا عجب فانها من ذرية قوم صالحين وصلاح الآباء مؤثر بالابناء رحمها الله تعالى رحمة واسعة ، وعفا عنى وعنها ، وغفرلى ولها ما كان بيننا مما لاتخلو حالة الزوجية منه . وقد كتبت هذا عنها لتعلم أخواتنا النساء أن فى الرجال أوفياء لنسائهم يحسنون اليهن فى الحياة، ويذكرونهن بالخير بعد الممات ، فلا ينسونهن من دعاء بالخير لهن ومن قراءة قرآن واستغفار وصدقات عن أرواحهن ولو أنهم لم يكونوا ممنونين منهن تماما فى حياتهن، فان وفاتهن تسبب العطف عليهن بالترحم عليهن والدعاء لهن عملا بقوله تعالى (ولا تنسوا الفضل بينكم) واقتداء بالنبى ﷺ فى حبه لخديجة أولى أزواجه رضى الله تعالى عنها ، وذكره إياها بعد وفاتها ، وامتثالا لقوله ﷺ « إن حسن العهد من الايمان » ـ رواه الحاكم عن عائشة ـ

٢٨ حميدة احمد فهمي

أبوها احمد فهمى افندى البنهاوى معاون مدير البوليس بمصر برتبة يوزباشى جوال فى الأقاليم لتوطيد الأمن والسكينة فيها وأبوه احمد افندى كان من ياوران (حجاب) الخديوى اسماعيل باشا. وأمها من شبين القناطر وليس لحميدة من الحامة إلا أخت وثلاثة إخوة هي أوسطهم وخيرهم ، بل هى الوحيدة الحميدة من بينهم في خلقها وخلقها وصورتها وسيرتها منذ ولدت الى أن توفيت . ولدت سنة ١٩٠٥ ميلادية الموافقة لسنة ١٣٢٣ ه ونشأت ذكية نجيبة نبيهة حساسة مدركة فهيمة فصيحة عاقلة وتعلمت التعليم الأولى والابتدائى ولم تستكمل كل تعليمها حيث فرط بها

أبواها فعاجلاها بتزويجها .وهي فى السابع عشرة من سنى حياتها برجل له من البنات من هى بسنها أو أكبر منها ، من غير أن يترويا أو يتأنيا فى ذلك التزويج فتقول رحمها الله إنه أساء عشرتها ولم يحسن معاملتها حتى اضطرت لأن تطلق منه بعد ما أقامت معه أربعة أشهر على أشد مايكون ، ثم انفصلت عنه وهى حاملة منه وبقيت أيما ـ عزباء ـ حتى وضعت حملها فكان ولدا ذكرا سمته محمدا وقامت على تربيته حتى بلغ سبع سنوات ، فأخذه أبوه منها فوجدت عليه وجدا كثيرا ، وفى أثناء ماهى أيم جاءها طلاب كثير فلم ترتض أحدا منهم ، ولما ذهب ولدها من يدها وضاق صدرها من بقائها بين أبيها وإخوتها حصلت القسمة بتزوج مؤلف هذا الكتاب بها وهى بنت خمس وعشرين سنة فوجدها نجيبة أديبة عاقلة واعية مدركة ذكية نبيهة ، مدبرة لأمور بيتها باقتصاد بلا سرف ولا تقتير ، مجيدة للقراءة والكتابة ، حسنة الفكر والتصور ، تفهم من الاشارة مالا يفهمه غيرها بصريح العبارة ، كبيرة النفس ، عالية الهمة ، حسنة اللقاء لكل من جاءت تزورها ، تقوم بكل مايلزم من أعمال المنزل بنفسها من دون استعانة بغيرها حتى فى أمورها الخصوصية من تفصيل وخياطة ، ذات كلام موزون وتعبير فصيح ، وتحفظ كثيرا من الأمثال والأشعار وصوتها رخيم رقيق إذا غنت ، خبيرة بأحوال الناس ولا سيما النساء ، وقد ساعدتنى كثيرا فى تأليف هذا الكتاب حيث أطلعتنى على كثير من أحوال النساء وطباعهن ونفسياتهن ، وكانت ملمة بأحوال العالم وسياسة البلاد وما يحصل بين الأحزاب من صد ورد ، تقرأ الجرائد وتطالع المجلات وكتب الأدب ، ولما طبعت كتابى (التذكير بالمرجع والمصير) أكثرت من قراءته زيادة على غيره من مؤلفاتي المطبوعة وكانت تحب الأنس ومشاهدة مسارح التمثيل والطرب من غير إفراط ، وعزمت على أن تصلى الجمعة في المسجد الجامع وبدأت بصلاتها فيه ، ثم عاجلتها منيتها رحمها الله تعالى . ولكنها مع هذه الصفات الحسنة كانت عصبية المزاج ضيقة الصدر تغضب من أدنى شىء بل تتأثر من لا شىء ، وإذا ثارت عصبيتها ـ وكثيرا ماتثور ـ اضطربت حواسها وخرجت عن طور الاعتدال فلا ترعي لحاضر حرمة

ولا لغائب ذمة ، وتطلق للسانها ويديها السراح ، فيتمنى السامع والناظر لما تقول وتفعل أن لو كان أعمى أو أصم ولا يراها بتلك الحالة كما انها لما تهدأ وتسكن ويرجع اليها اعتدالها تكون من أحسن خلق الله عشرة ومؤانسة ومجلسا حتى يتمنى مجالسها أن لا يفارقها ، ولولا هذه الحالة العصبية التي كانت فيها لما كان لها نظير بين النساء بل كانت خيرا من كثير من الرجال لتلك الصفات الحسنة فيها ، ولكن الكمال لله وحده . وسبب تلك الحالة العصبية التى اعترتها ماقاسته من الشدائد والأهوال فى زواجها الأول ، وما كابدته من المشاق فى تربية ولدها ، وما عراها من وفاة والدتها التى كانت برة بها مطيعة لها قائمة عليها أحسن قيام ، بخلاف أختها وأخواتها مع أمهم ، وبسبب أخذ زوجها الاول ولده منها ومعاملته له المعاملة القاسية الجافة مع انه ولده الذكر الوحيد بين جملة بنات من عدة أمهات ، وبسبب ماعندها من علو النفس وحب ان تكون بأرفع مما هى عليه مقاما ، وانعم مما تلاقيه حالا ، فاجتمعت عليها الأسباب المهيجة لانفعالها مع مافيها من الاستعداد بسبب نحافة جسمها فكانت تعتريها تلك الأحوال المزعجة منذ تزوجت بها حتى توفيت رحمها الله تعالى وعفا عنها وغفرلى ولها ما كان منها ومنى من تظالم وسوء تفاهم ، وقد كانت وفاتها بلا سابق إنذار بخطر ، فقد تأخرت عادة حيضها اياما ثم جاءتها بقوة ودفق زائد يوم الجمعة ثالث ايام عيد الفطر سنة ١٣٥٢ ه فالتهب غشاء امعائها وانسد مجرى بولها فمكثت اربع ليال باضطراب وبعد ظهر يوم الثلاثاء سابع شوال و ٢٣ يناير كانون الثانى سنة ١٩٣٤م توفيت رحمها الله تعالى وعفا عنها :

ماتت حميدة فى ربيع حياتها ... مغمورة الأوقات فى حسراتها

إذ لم تنل ماقد تريد وتشتهى ... طبقا لما تبديه من حالاتها

مع أنها كانت بعيش طيب ... لا يأس فيه لمثلها ولداتها

أخنى عليها طبعها العصبى فى ... فورانه فى البعض من أوقاتها

فحدابها وهى الظلوم لنفسها ... نحو المسير الى حياض مماتها

فقضت ويا أسفي عليها نحبها ... في بضع أيام تلت ليلاتها

لولا تهيجها ونار مزاجها ما كان يشبهها امرؤ بصفاتها
إذ أنها فى الاعتدال شريفة فى نفسها وكميلة فى ذاتها
ولها التجمل والتأنق عادة إذ كان حسن السمت من عاداتها
ولها جمال الخلق والأخلاق مع صوت بديع الحسن فى نغماتها
وبها ذكاء زائد ونباهة تدعو الى الاعجاب من شاراتها
وتدير منزلها بكل عناية مع حسن تدبير بفضل حصاتها
وتسر زائرة بحسن لقائها فتعود مثنية على زوراتها
وتجيد ما تقرأ وتكتب مثل من ينشى ويبدع فى انتقا كلماتها
وهى الوحيدة والحميدة بين إخوتها فليسوا مثلها بسماتها
مع أن والدهم جميعا واحد والأم واحدة بكل أداتها
أبكى عليها وهى ميتة لما لاقيت من تعب بعيد وفاتها
وأغض عما كان من هفواتها رعيا لما قد كان من خدماتها
وأرى الوفا يدعو الى هذا البكا أسفا على ما فات من ثمراتها
فالله يرحمها ويغفر وزرها ويثيبها الحسنى على حسناتها

﴿فصل — فى ذكر هذا القدر من النساء المتوفيات رحمهن الله تعالى —

كفاية لمن تريد أن تقتدى بما كن عليه من القول الطيب والعمل الصالح ، ولم أذكر أحد من النساء العائشات اكتفاء بما ذكرته من حال المتوفيات حيث قد انطوت صحائف أعمالهن ، بخلاف من هن فى قيد الحياة فانهن لا ينتهي ولا ينقضى تطورهن ، بل إنهن آخذات بالتقدم ، وبعد الموت ينتهى وصفهن بارك الله بحيات الصالحات منهن .

﴿ نداء إلى إخواننا النساء ﴾

يا معشر النساء هاقد قصصت عليكن فى هذا الكتاب ترجمة ثمان وعشرين امرأة. من جنسكن ونوعكن ، وفى كل واحدة منهن صفات ومزايامنها ما هووهي لايمكن

التشبه به كالشرف والجمال ، ومنها ما هو كسبي كالعلم والتقوى والزهد والعفة وغير ذلك مما هو فى مقدرتكن وإمكانكن أن تتحلين به (لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألباب) ويجدر بكن وأنتن النوع اللطيف للجنس الشريف (الرجال) أن تتحلين بما ذكر فى تراجمهن من الصفات الحسنة ، فانه شرف لكن وذكر وفخر وذخر فى الدنيا والآخرة وليس فى خلقكن وطباعكن ما يمنعكن من التحلى بالصفات الحسنة وأنتن المشبهات بالقوارير فى قول النبى ﷺ ومن شأن القوارير - وهو البلور - أن ينطبع بها كل شىء ، وما أحسن المطبوع أن يكون مما يستجاد ويستحسن وترين فى تراجمهن كل فضيلة ومنقبة جميلة من عفاف وستر وصيانة وحياء وعقل ، وذكاء وأدب وتربيـــة وعلم وفهم ودين وتقوى ، وصلاة وصيام إلى غيرذلك من طاعة أزواج وتربية أولاد ، وليس فى تراجمهن تبرج ولا تهتك ولا خلاعة ولا كشف ساقين ولا حسر عن ذراعين ولا تزين وتعطر للخروج فى الطرقات ، ومزاحمة الدهماء فى مراسح اللهو ومسارح الخلاعة وبؤر السفاهة ، ومواخير الفجور . فان كل ذلك من الأمور الشائنة العائبة التى لا يليق بالنساء أن يتصفن بها ، فاعتبرن بما ذكر من تراجم أحوالهن ، وتعلمن ما يلزمكن من أحكام الدين ، وتمسكن بأدب الشرع الاسلامى ، واطلبن من أولياء أموركن أن يعلموكن مالا تعلمونه منهن . حتي تذكرن بالخير بعد مضى أيامكن يا معشر النساء : إن فى غير المسلمات من جنسكن نساء متحليات بكثير من الصفات الاسلامية التى يندر أن يوجد بعضها فى كثير من النساء المسلمات ، وأنتن أحق بميراث دينكن دين الاسلام الذى هو الدين الحق الذى لا يقبل الله التدين بغيره كما قال تعالى (ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين) فعيب عليكن ، ونقص بكن ، أن تضيعن محاسن ما جاء به دينكن ، وتعمدن للتشبه بالافرنج فى خلاعاتهن وسفاهاتهن فأنتن تأخذن بالتافه المزرى العائب من أخلاقهن ، والبعض منهن يأخذ بالنفيس المشرف الزائن من صفات دينكن ، والله يا معشر النساء ليس لكن جمال ولا كمال ولا أدب ولا تربية ولاشرف إلا باتباع

أوامر دينكن واجتناب نواهيه ، وكل ماعدا ذلك من اتباع الهوى ومجاراة النفس والشيطان فيما يريدان شر لكن ، ووبال عليكن ، وحيف بكن ، تؤزرن عليه لاتؤجرن ، وتعذبن بسببه ولاتنعمن ، ومدة العمر مهما طالت قصيرة ، وأمامكن دار تحاسبن فيها على كل ما كان منكن من قول وعمل لا يرضى الله ورسوله فارفقن بأنفسكن ، واكففن عن شهواتكن ، وارحمن أنفسكن من عار العاجلة ، ونار الآجلة . وتذكرن قول السيدة فاطمة النبوية : والله ما نال أحد من أهل السفه بسفههم شيئا ، ولا أدركوا من لذاتهم شيئا ، إلا وقد ناله أهل المروآت ، فاستتروا بجميل ستر الله تعالى ، فاسمعن ياأيتها النساء وأطعن ، وقرن فى بيوتكن ولاتبرجن ، وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله ، (واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة) واعرضن عن قراءة المجلات والروايات والجرائد والحكايات المفسدة للأخلاق ، المذهبة للمروآت ، فان فى كتب الدين الاسلامى الكفاية والغنى لمن أراد الكمال والأدب والشرف وحسن الذكر فى الحياة وبعد المات . ولاتغترن بمن يزين لكن عملكن ، فانهم طلاب صيد ، وأصحاب كيد ، ولا يهمهم من أمركن إلا مافيه قضاء أربهم سواء أشقيتن أم سعدتن ، وربحتن أم خسرتن ، فانهم أعداء لكن كالذئاب ، عليهم من جلود الغنم ثياب ورحم الله من أبكاكن ولكن للخير هداكن ، ولعنة الله على من أضحككن ولكن فى الشر أوقعكن .

١٧ باب

﴿ فى مباينة النساء للرجال فى كثير من الأحوال ﴾

بين المرأة والرجل تباين في الوضع والطبع والشرع لا يمكن معه أن تساوى المرأة الرجل فى حال من الأحوال ، ومن تصدى الى طلب المساواة فهو ناقص الشعور ، ضعيف الادراك ، معترض على الله تعالى بخلقه الزوجين الذكر والأنثى متباينين ، حيث لم يخلقهما واحدا ومجهل لله تعالى بقيمة أفراد الخليقة تعالى الله عما يقول الجاهلون علوا كبيرا ، وما من أحد عالم أو جاهل ، عال أو سافل ، إلا ويعلم أن التباين فى الأسماء دليل على التباين فى المسميات ، فما دام فى اللغة ذكر

وأنثى، ورجل وامرأة، فهذا غير هذه، وتلك غير ذاك. وإنما أصحاب الشهوات، وأرباب الأهواء والغايات، يغررون بالنساء ويفسدونهن حتى يتمكنوا من نيل أربهم منهن، فيدعون مساواتهن للرجال وأنهن شقائق لهن على غير المعنى الذى ورد فيه حديث «النساء شقائق الرجال» ليسهل عليهم اقتناصهن. وهن ناقصات العقول ضعيفات الشعور يحسبن تلك الغيرة المزيفة من فاسدى النيات أمراحقيقيا، فيجرين معهم ويرافقنهم على أهوائهم فيسهلن لهم اقتناص أوابدهن، والتقاط فرائدهن، وهكذا وهلم جرا. وفيما أنا ذاكره من المميزات والفوارق بين النساء والرجال مقنع لمن كان له عقل، وإذعان الى الحق بأنه لا يمكن للمرأة أن تساوى الرجل حفظا لسنة الله تعالى فيما خلقه، ولن تجد لسنة الله تبديلا. وهذه أوربا على مدنيتها المطلقة، وحريتها الواسعة، لم تسو النساء بالرجال فى الأعمال إذ هى تحرم الأناث من مشاركة الذكور في المواريث عند أكثرهم، وتحرمهن من الانتخابات العامة، ومن عضوية المجالس النيابية والادارية، ومن الوظائف القضائية والعسكرية والبحرية، فليس فى مجلس النواب ولا فى مجلس الشيوخ (الأعيان) أعضاء من النساء. ولا فى النساء حاكم إدارى كالوالى والمتصرف والمدير، ولا قائد عسكرى، ولا قبطان بحرى، ومن نراه منهن ملكة كفكتوريا ملكة الانكليز، أو ويلهلمن ملكة الفلمنك (هولاندا) فهى ملكة ولكن ليس لها من الصلاحية ما تدل عليه كلمة ملك أو ملكة بل هي أقرب الى العادات والعنعنات (التقاليد) منها الى الادارة الفعلية. حيث أن للبلاد قانونا يعمل به خاصة الأمة لعامتها، والملكة تصدق أو توافق على الحكم الذى يحكم به مجلس وزرائها، أو محكمة قضائها بحكم الضرورة نزولا على مراعاة أحكام ذلك القانون، وموافقة له إذ هو مقدس واجب على الأمة أن تعمل بموجبه وتحكم بمقتضاه، فلم يبق مجال لادعاء مساواة النساء بالرجال، بل لكل من الرجل والمرأة عمل خاص هو مكلف بالقيام به بحكم استعداده له.

كتب الحرب والقتال علينا ⁂ وعلى الغانيات جر الذيول

قالت لايثل ماتن الكاتبة الانكليزية: إن النساء هن أعداء أنفسهن بطلبهن المساواة.

بالرجال ، فما بالك بمن تعتقد أنها أفضل من الرجل ؟ ! ولا يستطيع أحد أن يحدث النساء حديثا إلا حولن موضوعه العام الى موضوع خاص بهن ، فاذا قال رجل لامرأة مثلا إن جسم الذكر أقرب الى معانى الجمال من جسم الأنثى أخذت تصيح قائلة أنا آسف لأنك لاتحب شكلى وقوامى ، فالمرأة لا يمكن أن يتحدث معها بموضوع من دون أن تخرج عنه لما هو عائد لها ، ومن تكون كذلك كيف يمكن أن تصدق فى دعواها المساواة اه وكلما تصدت المرأة للتشبه بالرجل ضعف نفوذها وتأثيرها عليه ، ولا تكون المرأة امرأة بحق إلا اذا كانت قائمة بما يقتضيه لفظ المرأة بكل معناه ، والعاقلات من النساء يعلمن أنهن يضيعن أوقاتهن سدى إذا أردن أن يقلدن الرجال بما هو خاص بهم :

وذاك أن الرجال الشم عاجزة عن القيام فكيف النسوة الغيد

والفارق بين المرأة والرجل هو كما تراه

أثبت علم التشريح أن الرجل أرقى من المرأة جسما ، فمن ذلك أن متوسط طول الرجل يزيد على متوسط طول المرأة باثنى عشر سنتيمترا ، وأن متوسط ثقل أجسام الرجال سبعة وأربعون كيلو والمرأة إثنان وأربعون ونصف كيلو ، وأن قلب المرأة أصغر وأخف بمقدار ستين غراما من قلب الرجل ، وأن الجهاز التنفسى فى الرجل أقوى منه فى المرأة ، فان الرجل يحرق فى الساعة الواحدة أحد عشر غراما من الكاربون والمرأة تحرق ستة غرامات وكسر غرام ، ولذلك كانت حرارتها أقل من حرارة الرجل ، وأن الحواس الخمس فى المرأة أضعف منها فى الرجل ، فهي لاتستطيع أن تدرك رائحة طيبة أو كريهة على بعد مخصوص إلا إذا كان ضعف المقدار الذى يدركه الرجل ، وأنها ليست مستكملة تركيب المخ مثل الرجل فهى أضعف منه جسما وإدراكا ، أما كونها أضعف منه جسما فمن أجل أنها معروضة للوازم الأنوثة الحيض والحبل والنفاس والارضاع ، وأما كونها أضعف منه إدراكا فمن أجل أنها غير معروضة لما تنشأ عنه تنمية القوى المدركة كالرجل لاشتغالها بتدبير أمور المنزل وتربية أطفالها وحفظهم وصيانتهم ،

ولكنها بحسب الفطرة أقدر وأصبر من الرجل على الأعمال البيتية وما يتعلق بها ، وأعلم منه بسياسة الخادمات والأولاد الصغار . فقد نرى الرجل يقطع الصخر، وينقل الأثقال ، ويقلع الأشجار ، ويخوض الأهوال ، ولا يصبر بضع دقائق بجانب سرير طفله الرضيع ، واذا حمله يكل ساعده عن حمله نصف ساعة ، ولا يتسع خلقه لكنس البيت ، والصبر على القدر حتى ينضج مافيها ، بل ربما كان عاجزا عن إرضاء الخادمة ، أو إدارة الولد ، والمرأة تفعل ذلك كله ولا تعده شيئاً . والمرأة أسرع تأثراً وانفعالا من الرجل ، وأنفذ صبرا ، وأدق شعورا بالسرور والألم . وإنما تستطيع أن تجارى الرجل وتزيد عليه فى النواحي التي تستند الى العاطفة كالرسم والموسيقى والغناء ، ولكن يستحيل أن تكون شاعرة متعمقة فيلسوفة ، أو مصورة تعبر بخيالها عن فكرة سامية تخلدها ، أو موسيقية مبتكرة ، أو مؤلفة متعمقة فى درس النفس البشرية . وهى سريعة التصميم والتنفيذ والنكوص ، تفتر همتها إذا فشلت مساعيها وطال الوقت عليها ولم تصل الى غرضها ، ووثباتها قصيرة فى الحياة فهى لا تستطيع حدثا يقلب كيان المجتمع ، أو يهدم صرح التعاليم القديمة ، ولا تقدر أن تدعو الى ثورة ، أو أن تخرج على نظام : نعم قد كان فى النساء ملكات قويات مستبدات ولكن لم تكن فيهن مصلحات ، وأرقى امرأة أقل بكثير من أرقى رجل ، والمرأة المتوسطة تساوى الرجل المتوسط فتقوم بما يقوم به ، بخلاف المرأة المتفوقة فانها لا تقدر أن تقوم بعمل الرجل المتفوق ، فهى لا تطاوله ولا تنحط الى درك الرجل المنحط . والرجل أكثر من المرأة عملا ، وعمله خير من عملها ، وهو أقل منها تعرضا للمرض ، ولا ينوء بعبء الجد والعمل بمثل السرعة التى تنوء بها ، وفى دمه من الكريات الحمراء أكثر مما فى دمها ، والرجل أكثر ابتكارا واختراعا من المرأة ، ونسبة قوته الى قوتها كنسبة تسعة الى خمسة . وهو أمهر من المرأة فى الانتقاد ، وأقدر منها على رؤية الأشياء على حقيقتها .

وفى كتب علم النفس أن البنت تتمشى فى نموها الجسمى والعقلى مع الصبى الى

السنة السابعة ثم تفوقه وتسبقه حتى السنة الرابعة عشرة ، ثم تهدأ وتنحط عنه . وهى تصل الى دور البلوغ قبل الولد بسنتين ، فالبنت البالغة أو المرأة أقل استعداداً وأحط عقلية من الولد البالغ ، أو الرجل ، والمرأة أقوى على إدراك المحسات من الرجل ، ولكن لا طاقة لها على التعمق فى التفكير وإدراك المعقولات المجردة عن الحس ومزاولة القضايا المنطقية المعقدة ، بخلاف الرجل . ومن أجل ذلك يفوقها فى الرياضيات والفلسفة المؤسسة على قواعد عويصة ، والمرأة تكتفى بالمعلومات السطحية ، والرجل يتعمق في البحث ، ولهذا يكون فى النساء لغويات وطبيبات ومربيات ومحاميات ، ولا يكون فيهن فلاسفة ولا رياضيات ولا مهندسات ولا فلكيات ، ولم يكن فى القديم ولا الحديث امرأة تولت قيادة غزوة ، أو سرية ، أو إمارة ، أو أرسلت رسولا الى أمة ، أو فقهت عشيرة ، أو تولت قضاء ، أو نسب لها مذهب من مذاهب المسلمين ، أو دونت صحيحا من صحاح كتب الحديث ، أو قامت بدعوة دينية ، أو عقدت صلحا بين المسلمين وغيرهم من مبدأ ظهور الاسلام الى يومنا هذا ويمتاز الرجل على المرأة من حيث الخلقة والصفة والطبيعة والأحكام التكليفية بأنه أقدر من المرأة على مزاولة الأعمال الصناعية والتجارية والزراعية والادارية والسياسية والحربية قولا وعملا ، وأنه ليس فى شخصه موانع تمنعه لا جسما ولا عقلا عن القيام بما يريد عمله ، بخلاف المرأة فان لها موانع طبيعية ، وشرعية من حيض ونفاس وحبل وولادة وإرضاع وحجاب .

وأما من حيث الطباع فقلما تكلمت امرأة فأرادت أن تدلى بحجتها إلا كان قولها حجة عليها ، ولا نهيت عن شىء إلا فعلته ، ولا نهت عن شىء إلا أتته ، ولنقصان ذاتها تعمد الى التزين بالحلى ، ولهذا كان مباحا لها لا للرجل لأنه زينة لها تجبر ما فيها من نقص وعيب فى الرجل وذلة له ، ولذلك ورد الحديث الشريف فى النهى عن تشبه الرجال بالنساء والنساء بالرجال ولعن من يفعله ، وقال سيدنا على ابن أبى طالب رضى الله تعالى عنه شر خصال الرجال خير خصال النساء ، البخل ،

والزهو ، والجبن . فان المرأة إذا كانت بخيلة حفظت مالها ومال زوجها ، وإذا كانت مزهوة - أى بها زهو وهو الكبر - استنكفت أن تكلم أحدا بكلام لين مريب لحفظت شرفها ، وإذا كانت جبانة خافت من كل شىء فلزمت بيتها واتقت مواضع التهم اه . وقد منحهن الله الجمال والحسن وتناسب الأعضاء أكثر مما منحه للرجال إشارة الى أنهن لم يجعلن أهلا للغضب ولا محلا للحدة وتقطيب الوجه ، فلا تليق بهن ثورة الغضب . وأودع فيهن التأثر بالفرح والسرور والتألم والتأسف على مايحصل أكثر مما هو فى الرجال ، وجعل أصواتهن لينة غير جهورية إشارة أنه لم يجعل فيهن جارحةالسب والشتم ولا آلة الصياح ، فليس للمرأة أن ترفع صوتها ، ولا أن تسب وتشتم ، فان فعلت ذلك فقد أخلت بواجبها ولم تقدر قدر مامنحها اللهمن نعمة خفض الصوت ، وخلقهن الله تعالى ناعمات خفرات إشارة الىأنهن لم يخلقن لمغالبة الرجال ، ومكافحة الشدائد والأهوال ، ولا للآراء والسياسيات ، بل كفاهن مؤنة ذلك بقيام الرجال بها ، وخصهن بالقيام بالأشغال المنزلية وتربية الأولاد ، وجعل لهن صبرا عليه لا تستطيعه الرجال فهذا وأشباهه مما تخالف به النساء الرجال بحسب الطبيعة والوضع ، فخروج المرأة عن حالتها الخاصة بها واشتغالها أو شغلها بأشغال الرجال ، مخالف لما خلقت له ، وسبب لانسلاخها من الأنوثة وتعطيل منافع الزوجية ، وفى ذلك اختلال نظام العالم حيث تبقى فيه كالعضو الأشل محس الجرم معدوم النفع لاسيما أن الموانع الشرعية القائمة بها تحول دون إمكان مشاركتها للرجل بتقسيم الأعمال بينهما ، فما يقال فى الحديث الشريف « إن النساء شقائق الرجال » معناه أن المرأة خلقت من بعض الرجل فهى شق وقسم منه ، كما قال الله تعالى (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء) لاأن معناه أن المرأة تشارك الرجل بعمله الخاص به حذو القذة بالقذة ، أو أنه يشاركها بعملها الخاص بها ، كلا بل لكل منهما عمل مختص يقوم به على قاعدة تقسيم الأعمال وإذا كان الأخ لايشارك أخاه فى كثير من الأحوال والأعمال والأخلاق وهو شقيقه أمهما واحدة وأبوهما

واحد ، فمن باب أولى أن لاتشارك المرأة الرجل والرجل المرأة فى العمل الخاص بكل منهما حفظا لبقاء نظام العالم . وقد قيل فى الأمثال السائرة : إذا صاحت الدجاجة صياح الديك وجب ذبحها .

وأما مباينة النساء للرجال من حيث الشرع فان فى الرجال كثيرا من مهمات أصول الدين وفروعه ليس منها شىء فى النساء كالنبوة والرسالة والخلافة والامامة والسلطنة والجهاد والأذان والخطبة والاعتكاف والشهادة فى الحدود والقصاص والتعصيب فى الميراث وتحمل الدية والقسامة ، والولاية والنكاح والطلاق ، والتزوج بأكثر من واحدة والتسرى بملك اليمين على وجهه الشرعى ، والمراجعة بعد الطلاق وكون الانتساب اليه لا للزوجة ، والمهر والنفقة والقضاء والجمعة والجماعة ، وزيادة العقل والدين والنصيب فى الميراث ، وكون الرجل لا يقتل بالمرأة بل عليه القصاص ، وكونه يجب على المرأة إطاعة أمره والوقوف عند رضاه لا العكس - أى لا يجب عليه إطاعة أمر زوجته - بل جاء الشرع مندداً بمن يطيع امرأته ومتوعدا له . وكون المرأة خلقت من ضلع الرجل والمخلوق منه أفضل من المخلوق ، لأنه له كل وهو منه جزء ، وكون الذكر أشد قوة ، وأعظم جرأة ، وأقل عبثا ، وأعز نفسا ، وأكرم خلقا ، وأدوم ودا ، وأنكى أذية ، وأحفظ عهدا ، وأكتم سرا ، وأصبر على المكروه من الأنثى فى كل ما ذكر . فلا يمكن أن تساوى المرأة الرجل مهما بلغت من الرقى ، وأمامها من التباين ما ذكرناه ، وليست ببالغة منه الدرجة المطلوبة وللمرأة أحكام فى الشرع خاصة بها من طهارة وصلاة وصيام وحج ونكاح وطلاق وجهاد وشهادة وحداد على من يموت لها من أقاربها وحجاب وتستر ، وخفض صوت ولزوم البيت ، وحدود وقصاص وغير ذلك من الأحكام وإليك بعضا من تفصيل ما أجملت .

يجب ضرب الحجاب على المرأة ومنعها من مخالطة غير محارمها من الرجال ومن النساء الأجنبيات والمترجلات لأنهن بحكم الرجال غير المحارم ، ويشترط فى سفرها أن يكون معها زوجها أو ذو رحم محرم منها وهو من لا يجوز له بحال أن يتزوج

بها كأبيها وابنها وأخيها وابن أخيها وابن أختها سواء أكان سفرها لطاعة كأداء فريضة الحج، أو لغير طاعة كغيره من الأسفار، وتجب عليها العدة فى الطلاق وعند موت الزوج، وتسقط عنها الصلاة والصيام فى وقت حيضها ونفاسها ولكنها تقضى الصيام لا الصلاة فى طهرها منهما، ويحرم خروجها من بيتها بدون إذن زوجها، وله منعها من نوافل العبادة فلا تتنفل بصلاة أو صيام أو صدقة أو حج إلا باذنه، وترث من زوجها نصف مايرث منها، ولها أن تذكر رفيقتها وقت الشهادة إذا أخلت بأدائها لنقص عقلها كما قال الله تعالى (أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى) ولا تكفى شهادة امرأتين أو أكثر ولو ألف امرأة مالم يكن معهما أومعهن ذكر بالغ إلا فيما لايعلم إلا من جهتهن للضرورة ؛ كشهادتهما أو شهادتهن إن فلانة حبلى أو غير حبلى، ولا تقتل المرأة اذا ارتدت بل تحبس حتى تتوب، ولا تقبل شهادتها في الحدود والقصاص ولا تنفى من البلد التى هى فيها سياسة ولا تكلف الحضور للدعوى إذا كانت مخدرة، ولا لليمين، بل يذهب اليها القاضى أو نائبه فيسمع دعواها أو يحلفها إذا وجبت عليها يمين بحضرة شاهدين، والمخدرة هى المرأة المتصونة الملازمة لبيتها التى لاتخرج منه إلا لحاجة ضرورية، وليس لها من يقوم بأدائها عنها، والا فهي كالرجل تذهب للدعوي ولحلف اليمين. ولا تبدأ المرأة بالسلام ولا بالتعزية ولا بالتهنئة إذا كانت شابة، ولا تجاب إذا تكلمت، ولا تشمت إذا عطست، وتمنع من حلق شعر رأسها إلا لعذر، ويباح لها خضب يديها ورجليها لا للرجل إلا لضرورة، ويجب عليها الانفاق على القريب المحرم الفقير العاجز عن الكسب كأن يكون لرجل أم وعم ميسوران فعلى الأم ثلث النفقة، وعلى العم الثلثان، والا فعلى الميسور منهما كل النفقة. والمرأة تنتف عانتها لأن النتف أدعى الى تهدئة ثورة الشهوة، والرجل يحلقها لأن الحلق يزيدها، كما أن النتف ينقصها، ومنيها اليابس لايطهر بالفرك مطلقا سواء أكانت مستنجية بالماء أو غير مستنجية، بخلاف منى الرجل اليابس فى الثوب فانه يطهر بالفرك إذا كان مستنجياً بالماء قبل إصابة الثوب المنى، وكل بدن المرأة

عورة أي يحرم كشفه ونظر غير الزوج وذي الرحم المحرم له إلا وجهها وكفيها وقدميها للضرورة ، وصوتها أيضاً عورة يحرم سماعه والاصغاء اليه تقصداً ولو كانت تقرأ القرآن فضلا عما إذا كانت تغني ، حتى أنها إذا كانت تصلي مقتدية بامام وظهر منه ما يوجب التنبه له فالرجل يسبح فينتبه الامام لموضع خطأه والمرأة تصفق بأصبعين من أصابع يدها اليمنى على ظهر يدها اليسرى تصفيقاً كافيا لاسماع الامام إذا كانت قريبة منه ، وليس عليها تنبيهه إذا كان مع الامام من هو أقرب اليه منها ، ويكره للمرأة دخول الحمام إلا لعذر كمرض يقتضي دخولها او نفاس ، لما في الحمام من اخلاط النساء ، وترفع يديها حذاء منكبيها للصلاة ، والرجل يرفعهما حذاء أذنيه عند الحنفية ، وتضع يدها اليمنى بسطا على يدها اليسرى بين ثدييها ، والرجل يحلق بابهام يده اليمنى وسبابتها مفصل يده اليسرى ويضعهما فوق سرته . عند الحنفية ، وهي تتورك في القعود للتشهد ولا تنحني كثيرا في الركوع إلا بمقدار ما تمس برؤس أصابعها ركبتيها ، وتلصق بطنها بفخذيها في السجود إلا إذا كان لها مانع يمنعها من حبل أو انتفاخ بطن ، ولا تحضر المرأة الجمعة ، ولا الجماعات ، ولا صلاة العيدين ، ولا صلاة الجنازة ، ولا صلاة التراويح ، ولا تذهب الى الصلاة في المساجد ، بل تصلي في بيتها ولا تؤم أي لا تكون إماما ، وتكره جماعات النساء للصلاة ، فاذا صلت مؤتمة يقف الرجال أولا ، ثم الصبيان ، ثم الخناثى ، ثم النساء ، وعلى الامام أن ينوي إمامته للنساء وإلا لا يحصلن ثواب الجماعة ، ولا تؤذن المرأة ، ولا تقيم ، ولا تصح إمامتها للرجال ، وتكره إمامتها للنساء ، فان أمتهن أي صلت بهن إما ماتقف وسطهن ، ولا تجهر بالقراءة فيما يجهر به وهو صلاة المغرب والعشاء والفجر لأن صوتها عورة بل تسر في جميع الصلوات مطلقاسواءأ كانت تصلي منفردة أو إماما بغيرها . وتقدم المرأة على الرجل في الحضانة ولها على الرجل نفقة الولد الصغير وهو من كان دون سبع سنوات للذكر وتسع سنوات للأنثى ، فاذا بلغ الصبي أو البنت السن المحددة لهما ، فأبوهما أحق بهما من أمهما ، وتنقطع عنه النفقة الواجبة لأمهما ، وتؤخر

المرأة فى كل اجتماع لها مع الرجال كالصلاة والوقوف فى عرفات وفى الجنائز واللحد بأن دفن اثنان أو أكثر للضرورة فى قبر واحد ، فيوضع أولا الرجل مما يلى القبلة ، ثم المرأة خلفه ، وبين كل ميتين حاجز من تراب ، وتجب الدية للمرأة تامة بقطع ثديها أو حلمته لا ثدى الرجل ـ ثندوءته ـ بل فيه حكومة عدل ، ويقابل بضعها بالمهر لا بضعه كما يفعل غير المسلمين ، أى أن على الرجل دفع المهر للزوجة لا أن تدفع هي له ، ولا يجب عليها ولا على وليها جهاز شرعا ، وأنه لا يجب على الرجل مداواتها إذا مرضت بل مداواتها على وليها المحرم منها ، ولبنها محرم فى الرضاع لا لبن الرجل ، وتحرم الخلوة معها على الأجنبي ، والكلام معها مالم تكن غيرمشتهاة لكبرسن أومرض مشوه ، ويحل لها لبس الحرير وتوسده وافتراشه والتحلى بالذهب والفضة لا للرجل إلا ماهو قدر أربع أصابع عرضا لباسا ، ويجوز له فى غير اللباس كافتراشه وتوسده مثل المرأة ، ويجوز له الخاتم والمنطقة وحلية سيف وشد أسنانه بالفضة أو بالذهب كما فعل سيدنا عثمان بن عفان الخليفة الثالث من الخلفاء الراشدين رضى الله تعالى عنهم ، وحمل منديل حرير للوضوء أو الامتخاط ، ويكره إلباس الصبى الذهب والحرير وإثمه على وليه ، ويستحب بحق المرأة الاسفار بصلاة الفجر والتغليس بحق الرجل ، وليس عليها تكبير فى عيدى الفطر والأضحى ، ولا تخطب فى جمعة ولا عيد ولا فى غيرهما سواء أكانت الخطبة دينية أو سياسية ، ولا تغسل ميتا ذكراً إلا أن يكون ذا رحم محرم منها لا زوجها ، ولا تجهزه ولا تشيعه ولا تحمله ولا تدفنه ، وأنها إذا ماتت تكفن بخمسة أثواب ، درع وهو ما تلبسه المرأة فوق القميص ، وإزار وخمار وهو ما تستر به رأسها ، ولفافة وخرقة يربط بها ثدياها ، والرجل يكفن بازار وقميص ولفافة فقط من غير درع وخمار ، ولا خرقة يربط بها ثدياه ـ ثندوءتاه ـ ولا تؤم المرأة فى الصلاة على الجنازة ، ويندب لها نحو القبة فى التابوت لا للرجل ، ويسجى قبرها لا قبره ، ولا تحج حجة الاسلام ـ حجة الفرض ـ فضلا عن حجة النافلة ، ولا تسافر مدة السفر إلا ومعها زوجها أو ذو رحم محرم منها ، ولا

تحرم كما يحرم الرجال بل تلبس المخيط ، ولا تلبي جهرا ، ولا تسعى بين الميلين الأخضرين ، ولا تحلق شعرها بل تقصر ، والحلق للرجل أفضل من التقصير ، ولا ترمل فى الطواف ، ولا تطوف قريبة من الكعبة حتى لا تتأثر بالازدحام الحاصل من الطائفين والمستلمين للحجر الأسود ، وتقف فى عرفات فى حاشية الموقف كذلك وهى قاعدة لا قائمة كالرجال بين الصخرات ، وتلبس فى الحج الخفين ، وتترك طواف الصدر لعذر الحيض ، وتؤخر طواف الزيارة بسببه أيضا واختصرت ما وقفت عليه من الأحكام الخاصة بالنساء من كل باب من أبواب العبادات ، والمعاملات ، والعقوبات ، والآداب ، اكتفاء بما ذكرته تبينا لمباينة النساء للرجال فى كثير من الأحوال ، وفيه الكفاية لمن أراد الاذعان والهداية بصحة المباينة . ومن لا فلا تنفع معه الاسفار كما يقول المثل التركى ـ اكلا يانه سيورى سينك ساز ـ اكلاميانه طاوول زورنا آز . معناه وليس هذا الفرق والتباين بين الرجال والنساء مختصا بهما فى الحياة الدنيا فقط ، بل بينهما في الآخرة تباين أيضا ، ففى كتاب نوادر الأخبار لابن المقري الأنبارى رحمه الله تعالى عند الكلام على الجنة ونعيمها ورؤية أهلها لذات الله جل وعلا عيانا مانصه : لو قال قائل أو سأل سائل هل يرى النسوة ربهن يوم القيامة أم لا ؟ فالجواب لا ، ولكنه يتجلى لهن . فان قيل فما الحكمة فى ذلك ؟ فالجواب أنه إذا تجلى الله جل جلاله للرجال وسجدوا له السجدة مقدار أربعين سنة فعند ذلك يتجلى الله سبحانه وتعالى للنساء وهن فى قصورهن فينظرن اليه ، كما سترهن فى الدنيا فانه يسترهن فى الآخرة ، تنظر كل امرأة من قصرها الى وجه ربها .

باب ١٨

فى جماعات النساء وما يدور بينهن من أحاديث وأنباء

فى الحديث الشريف « لاخير فى جماعات النساء إلا عند ميت ، فانهن إذا اجتمعن قلن وقلن » ـ رواه الطبرانى عن خولة بنت النعمان وعبد الله بن عمرو بن العاص ـ وفى الكامل لابن عدى المتوفي سنة ٣٦٥ قال سفيان بن عيينة المتوفى سنة ١٩٨ رحمه

الله تعالى سمعت علي بن زيد بن جدعان يقول : مثل النساء إذا اجتمعن مثل البط ، إذا صاحت واحدة صحن جميعا . وقال بعض رجال الغرب : أكثر أحاديث النساء فيما بينهن على لاشيء ، وأكثر شغلهن فيما ليس بشيء اه وأحاديث النساء تختلف باختلاف أوضاعهن ، فالشابة منهن تتحدث عن جمالها وزينتها وموافقة ملابسها لآخر طرز مستحدث أو عدم موافقته ، وعن فلانة وملابسها ومحبتها لفلان الفلانى ومحبته هو لها ، أو محبتها هى لزيد أو لعمرو ومكاتبته لها أو هداياه وذهابهما الى السينما ومسرح المغنية فلانة أو الممثلة فلانة ، وان فلانة الممثلة أو المغنية احسن من فلان المغنى أو الممثل وما أشبه هذه الترهات والسفاسف من الأحاديث التى لا يقام لها وزن ، ولا تعلق لعاقل بذهن ، وإنما هو نوع من الثرثرة أشبه بما عند الأعاجم من رطانة أو بربرة . والمتزوجات أكثر أحاديثهن عن ازواجهن مدحا أو ذما بحسب مالهم من المنزلة عندهن ، وعن كون فلانة كبرت ولم يأتها طالب ، وعن كون فلانة يابختها تزوجها فلان وهو ماهو ، ويفضن فى مدحه ، وعن كون فلانة جميلة ولكن مالها بخت ، وفلانة كالجارية ولكن لها بخت ، إلا صاحبة الحديث فانها مالها بخت ولا حظ ولا طالع والجارات حديثهن انتقاد جاراتهن وإفشاء ما عندهن من المعايب بحسب نظرهن ، والكلام على عيشتهن وأكلهن وشربهن وما أشبه ذلك ، والعجائز حديثهن عما مضى لهن وعليهن من حوادث كنا وصرنا وياما أكلنا وشربنا ، ويا أسف على شبابنا ، ونحن براء من نساء هذا الزمان وشاباته ، وفلانة كانت وكان زوجها ونحوه . وليس فى النساء من تتحدث عما عليها من واجبات لربها وزوجها وبيتها وأولادها وما يلزمها فعله ويجدر بها تركه ، كأن لم يكن فى العالم شيء من ذلك مذكورا سوى ما يبحثن فيه من تلك الترهات ، وكثير منهن يرين أزواجهن فى شغل بال ، وقلق حال ، فلا يمنعن أنفسهن من أن يقلن ويقلن ، إما من مطالبة بما ليس لازما لهن بل هو من مقولة السرف والتبذير ، وإما من فتح باب الخصام والجدال معه لا لسبب ، حتى ولو كان فلا طائل تحته . ومنهن من يتخذن المحادثة مع أمثالهن وسيلة لاثارة الجدال والنزاع بينهن ، فيبدأن أولا بالكلام اللين ثم يتدرجن بالشدة فيه حتي يؤدين

إلى التماسك بالأعناق والنتف للشعور ، وكل منهن تصيح بقدر ماتتسع لها حنجرتها وبطنها ، وكل منهن تدعى أنها المظلومة ومقابلتها هى الظالمة ، وتقوم القيامة بينهن. وهذا من نتائج اجتماعاتهن للحديث والسمر، إلا أن اجتماعاتهن للمآتم أخف شرا من غيرها حيث يشتغلن بالبكاء المصطنع رعاية لأهل من هم فى مأتمه ، فلا يتسع لهن المجال للجدال والقيل والقال كما أخبر عنهن الحديث الشريف السالف الذكر . وكلام النساء عن أزواجهن إن مدحاً وإن ذماً وإن خيراً وإن شراً عادة قديمة منذ الجاهلية فقد ذكر الامام مسلم المتوفى سنة ٢٦١ فى صحيحه عن عائشة رضى الله تعالى عنها فيما روته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنها قالت : جلس إحدى عشرة امرأة فتعاهدن وتعاقدن أن لايكتمن من أخبار أزواجهن شيئا ، فقالت الأولى : زوجى لحم جمل غث على راس جبل ، لاسهل فيرتقى ، ولاسمين فيستقل . وقالت الثانية : زوجى لاأبث خبره ، إنى أخاف أن لا أذره ، إن أذكره أذكر عجره وبجره . وقالت الثالثة : زوجى العشنق إن أنطق أطلق وإن أسكت أعلق . وقالت الرابعة : زوجى كليل تهامه، لاحر ولا قر ، ولامخافة ولاسآمة . وقالت الخامسة : زوجي إن دخل فهد ، وإن خرج اسد ، ولا يسأل عما عهد . وقالت السادسة : زوجى إن أكل لف ، وإن شرب اشتف ، وإن اضطجع التف ، ولا يولج الكف ليعلم البث . وقالت السابعة : زوجى عياياء غياياء طباقاء كل داء له داء شجك أو فلك أو جمع كلالك . وقالت الثامنة : زوجى الريح ريح زرنب ، والمس مس ارنب . وقالت التاسعة : زوجى رفيع العماد ، طويل النجاد ، عظيم الرماد ، قريب البيت من الناد . وقالت العاشرة : زوجي مالك ، وما مالك ، مالك خير من ذلك ، له إبل كثيرات المبارك ، قليلات المسارح ، اذا سمعت صوت المزهر أيقن أنهن هوالك . وقالت الحادية عشرة : زوجى أبو زرع فما أبو زرع ، أناس من حلي أذنى ، وملأ من شحم عضدى ، وبجحنى فتبجحت الى نفسى ، ووجدنى فى أهل غنيمة بشق فجعلنى فى أهل صهيل وأطيط ، ودائس ومنق . فعنده أقول فلا أقبح ، وأرقد فأتصبح ، وأشرب فأتقنح . خرج أبو زرع والأوطاب تمخض فلقي امرأة معها ولدان لها كالفهدين

يلعبان من تحت خصرها برمانتين ، فطلقني ونكحها ، فنكحت بعده رجلا سريا ، فأعطانى من كل رائحة زوجا ، وقال كلى أم زرع وميرى أهلك ، فلو جمعت كل شىء أعطانى مابلغ أصغر آنية أبى زرع اه

قال الكمال أحسن الله تعالى اليه : وصفت الأولى زوجها بشراسة الاخلاق وصعوبة الامتزاج بمعاشرته ، والثانية بأنه ذو عيوب كثيرة باطنة وظاهرة تخاف من الاشمئزار منه اذا هى ذكرتها ، والثالثة وصفته بالحمق وسوء الخلق وأنها تخاف إن تكلمت أن يبلغه فيطلقها ، والرابعة وصفته بلين العريكة ودماثة الخلق وحسن المعاشرة ، والخامسة وصفته بكثرة النوم وإهماله لعمله وانه لايوفيها حقوق الزوجية ، والسادسة وصفته بالنهمة فى الأكل والشرب والانفراد بالمضجع عنها ، والسابعة وصفته بالعنة والشره وجهالة حاله وكثرة خصامه وصعوبة حالها معه ، والثامنة وصفته بالنظافة ونعومة الملبس وذلك كناية عن الرفاهية وطيب العيش ورقة الحس وحسن الخلق ، والتاسعة وصفته بالشجاعة والكرم وكثرة الضيافة ، والعاشرة وصفته بنحو من ماوصفت به زوجها التاسعة ، والحادية عشرة وصفته بكثرة إكرامه لها وتوسعته عليها وحبه لها وأن زوجها الثانى على سعة كرمه لا يعادل جزءا من حال زوجها الأول اه

واجتمع أربع نسوة فوصفن أزواجهن بما فيهم من الخير فقالت الأولى : زوجى عوني في الشدائد ، وهو عائدى من دون كل عائد ، إن غضبت عطف ، وإن مرضت لطف .

وقالت الثانية : زوجى لما عناني كاف ، ولما أسقمنى شاف ، عرفه المسك المداف ، وعناقه كالخلد ، لا يمل على طول العهد .

وقالت الثالثة : زوجي الشعار حين أبرد ، وأنيسى حين أفرد .

وقالت الرابعة : زوجي نعيم لايوصف ، وسرور ليس منه خلف اه

قال الكمال أحسن الله تعالى اليه : رحم الله تعالى هؤلاء الزوجات وأمثالهن اللاتى يذكرن جميل أزواجهن ، ويعرفن فضلهم . وبارك الله بأمثال أولئك الأزواج

الذين يعاملون أزواجهم باللطف والحنان والايناس ، وبهم فليقتد المقتدون ، وبأمثالهم فليتنافس المتنافسون ، وكل يذكر بعمله ، الى نهاية أبده وأزله .

١٩ باب فى أمثال النساء

للنساء أمثال يتمثلن بها فى أنفسهن وفى المجتمعات التى يجتمعن بها ، وفى كثير منها معان عالية ، وحكم غالية ، لا يستهان بها ، ولو أنها بالألفاظ العامية . وهانحن نذكر بعضها كما هو بلفظه من غير تبديل ـ قلن ـ (ا) إن كنت حرة لا تضعي نقابك بره . اسم الزوج ولا طعم الترمل . إن كان زوجى راضى إيش يقول القاضى. إيش أنت فى الحارة يا منخل بلا طاره . الى أن يخلص ربى حقى تتفرقع جوزة حلقى . آكل ميه وعند الشغل مالى نيه .

(ب) بعد سنة وشهرين جابت بنت بشفرين . بعد أن كان زوجها بقى طباخ فى عرسها . بدال ما تمشى وتهزي كتفك رقعى فردة خفك . بدال لحمتك وقلقاسك هات لك شدة على راسك . بدال اللحمة والباذنجان هات لك قميص يا عريان . بعد الجوع والقله بقى لك حمار وبغله .

(ت) تموت القرقه وعيناها بالصيصان . تسكر وتخانق ماهو شىء موافق . تابت القحبة يوم وليلة قالت مابقى فى البلد حكام . تأخذى أبونا وتكابرينا . تباهى القرعة بشعر بنت أختها . تقعد عيوشه فى ديارتها ما لأحد حاجه في زيارتها .

(ج) جانى عذولى ورثا لى ماهي محبة إلا شماته لى . جور القط ولا عدل الفار . جالو كتاب من عند خاله قال كل من هو فى حاله . جالو كتاب من عند عمه قال كل منهم ملهى بهمه . جوزوا مشكاح لريمه ماعلى الاثنين قيمه .

(ح) حط فليساتك فى كمك واشتري أبوك وأمك . حوله ونصرانيه لامليحه ولا أصل طيب .

(خ) خذينى وارغبى فيه أنا بياع ملوخية وعند الخبز آكل ميه وعند الشغل مالى نيه . خذ ذا الصبي فوق صبيانك تمام لأحزانك (ذ) ذكروا مصر القاهرة قامت بابه

إللوق بحشايشها (ر) راحت على جمل وجابت على قطه قال مالدى الشيله إلا دى الحطه . راحت رجال الهيبة وبقيت رجال الخيبة . رقصت ما أحسنتى كان قعادك أجمل . (ز) زى الوز حنيه بلا بز . زوجت بنتى أقعد فى دراها جاتنى وأربعـة وراها . زوج القصيرة يحسبها صغيرة (س) سألوها عن أبيها قالت جدى شعيب (ش) شراء العبد ولا تربيته (ص) صارت القحبة واعظة والقويقة شاعرة (ض) ضحك ابن سنه غمى على أمه قالت ما أخف دمه (ط) طلعت تترحم نزلت تتوحم . طب الجرة على فمها تطلع البنت لأمها . طعامك ما جانى ودخانك عمانى . طول الغيبـة وجانا بالخيبه .(ع) عجوز جابت غلام إذا جنت لاتلام . عملت الغولة ضيافة بالله تكفيها وتكفى أولادها . (غ) غالى السوق ولا رخيص البيت (ف) فتير ونقير وكله كثير .

(ه) كل من تبعت هواها صار لباسها رداها . كبرتي يا برقوقه وبقى لك دبوقه . كأنها من عمايم اليهود صفرا طويلة رفيعه . كل هم كاوى عند همى ياوي . كمل حبيى كل المعاني أعرج ومقيلط ومعجباني .

(ل) لا أخوكى ولا ابن عمك بقي تولولى على ايش . لوكانت الاسماء تباع وتشترى لكان اسم فلان خ . . . بن خ . . . . . لولا الغيرة والحسد كانت عجوزه كفت بلد . لو عمل لى مرتبة من ذهب وليمة هو عندى بتلك العين القديمة . لولا المعاير ما كانت الحراير .

(م) ما رأيتك يانورحتى ابيضت العيون . ما كفانا هم أبونا قام أبونا جاب ابوه قال خذوا جدكم ربوه . ما عندهم دقيق اشتروا لهم منخل رقيق . مرضعه وعلى كتفها أربعه وطالعه للجبل تجيب دوا للحبل . مال الكنزى للنزهى . من عدم نابه ونصابه وثيابه وتبابه كان الموت أولى به . مثل القرع مايمد إلا لبره .

(ن) ناس فى سكته وناس فى هربه ونكته (و) وقعة السلامه لها علامه . وجه لا يرى بالذهب يشتري (ى) يا مربى لغير ولدك يابانى فى غير أرضك . يامن ملنا ما كان حلنا لسه مالنا فى العشره سنة .

٢٠

باب

فى النساء وأحكام الله من أوامر ونواه

خلق الله تعالى الخلق جميعهم من إنس وجن وملك لعبادته كما قال جل وعلا (وماخلقت الجن والانس إلا ليعبدون) ونوع لهم أنواع العبادات حتى ينشطوا فى العمل من غير سآمة ولا ملل فواجب الخلق جميعهم العبادة مسلمهم وغير مسلمهم كل بحسب ما كلف به فالمسلمون يعملون كل بحسب مايري منه احترام الدين وتقدير عظمة رب العالمين والمقصرون منهم كثير والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الانعام لايعبأون بدين ولايفكرون بعاقبة ولامصير يود أحدهم لو يعمر ألف سنة وماهو بمزحزحه من العذاب أن يعمر والنساء كالرجال من حيث التكليف بالأعمال إلا أن لهم أحكاما خاصة بهن منها ماهو مذكور فى قوله تعالى (وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله واذكرن مايتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة) ومنها مابينته السنة الشريفة من أحاديث الرسول ﷺ مما لهن وماعليهن واليك بعضا مما يتعلق بهن من الأحكام لهن وعليهن حسب ماتقتضيه شريعة الاسلام .

النساء وحظهن من العلم بالدين

لا نكذب على الله تعالى ولا نغش أنفسنا ، بل نقول الحق : إن النساء من شابات ومن فوقهن مثل الشبان كلاهما مجرد عن معرفة أحكام الدين أمراً ونهياً ، لايعرف منه إلا اسمه ورسمه ، ومايقوم به من الأعمال إن هو إلا تقاليد جوفاء خالية من الحقيقة وجد عليها أباه من قبل فتبعها على غير علم بها ، بل أخذ ينبذها وراء ظهره ويهزأ بمن كان يفعلها حقيقة أوتقليداً ناسبا له الجمود ، وكيفما قلبت بصرك لاتجد الدين فى الغالب مستعملا فيما وضع له ، إن هو إلا مجرد الانتساب اليه بحيث لوسئل مادينك ؟ قال دينى الاسلام ، وماعنده منه إلا الاسم وشىء من الرسم ، وأما حقيقة العمل به والانتفاع بما جاء فيه وهو الذي يرقى صاحبه الى ذرى الكمال فهو عنه بمعزل . ولاأب يهتم بأمر تعليم ولده دينه، ولاأم يخطر لها ذلك

على بال ، والولد ذكرا كان أو أنثى ينشأ مهملا سارحا على كيفه وهواه بالرغم من كونه يذهب الى المدارس وهى ليس فيها من التعليم الدينى ماهو جدير بالعناية . وهمم الشبان والشابات مصروفة الى اللهو والخلاعة والطرب والمرح ، وقل أن تجد منهم أومنهن من لايعزف على آلات اللهو من بيانو وعود وكمنجا وقانون ودف ونقارة ، وقل أن تجد بيتا ليس فيه فونوغراف أو بيانو. وقد أخذ الراديو أيضا ينتشر ويعم البيوت والمنازل ، وليس هم أحد من القسمين إلا اتباع بطنه وامتثال أمر شهوته من غير أن يخطر له على بال أحرام هذا الذى يفعله أم هو حلال ؟ بل عنده قاعدة مسلمة لايعدل عنها وهى الغاية تبرر الواسطة نبذوا تعاليم الله وراء ظهورهم فلا يفكرون فى قول الله تعالى (ياأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا) ومادام الحال على هذا المنوال فما بعد الحق إلا الضلال ، مهما تبجح المتبجحون والمتبجحات . قال سيدنا أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه : والله لايصلح آخر هذه الأمة إلا ماأصلح أولها اه ومعلوم أن صلاحها كان باقامة الدين ، فمالم يرجع الناس الى العمل بدينهم لا رجاء فى فلاحهم أصلا ، بل لايمر بهم يوم إلا والذى بعده شر منه .

النساء والتربية والتعليم

المرأة غير مكلفة بتعلم مالا حاجة لها به فى دينها وبيتها ، فانها خلقت لتكون ربة بيت تلد وتربى ، وإنما يجب على وليها أو زوجها أن يعلمها ماتحتاج اليه من أحكام دينها ، من طهارة ، وصلاة ، وصيام ، وزكاة ، وحج ، وحيض ، ونفاس ، ونكاح ، وإرضاع ، وصحة عقيدة ، وبيان ما هو حرام عليها مما هو حلال لها ، ومعرفة ما يجب لها وعليها من الحقوق لزوجها وأولادها وبيتها ، وهذا شىء كثير إذا عنيت به لاتجد وقتا لتعلم مالالزوم به . وماهى حاجة المرأة فى تعلم العلوم والفنون الزائدة على اللازم من هندسة وجغرافيا ولغات أجنبية ، ورقص وغناء وعزف على آلات اللهو ، حتى أن الكتابة ليست لها من الأمور الضرورية بالنسبة لضرورتها للرجال ، على أن كثيرا من الحفاظ والقراء والوعاظ والمدرسين والشعراء والأدباء

كانوا عميانا وقد تعلموا وتفقهوا وتأدبوا وألفوا وعلموا اعتمادا على حفظهم، فلم تكن جهالتهم بالكتابة مانعة من نبوغهم، قال الشاعر :

ليس بعلم ماحوى القمطر   ماالعلم إلا ماحواه الصدر

وقد قال نابليون بونابرت عاهل الفرنسيس المتوفى سنة ١٢٣٧ هـ ١٨٢١ م : إن التعليم العمومى لايوافق النساء لأنهن ماخلقن ليعشن بين الجمهور ، بل الزواج ولزوم البيوت منتهى غاياتهن . وقال جورجى هربرت : إن أما صالحة خير من مائة معلم . فالواجب تربيتها تربية تصلح للقيام بما هو مطلوب منها ، وذلك بتنمية الأخلاق الفاضلة الكاملة فيها كالحلم ، والأناة ، والمثابرة على الأعمال ، والتواضع ، والصبر ، والايثار ، والتعاون ، وليس فى المدارس شىء من ذلك . وقال الشيخ محمد عبده المصرى المتوفى سنة ١٣٢٢ هـ : خلق الله النساء لتدبير أمر المنزل وهو دائرة محدودة يقوم عليها فيها أزواجهن ، فخلق لهن من العقول بقدر مايحتجن اليه فى هذا ، فيجب عليهن أن يتعلمن بقدر مايلزم لترتيب أمور بيوتهن ، وتأدية وظيفتهن ، وتربية أولادهن . وقال الشيخ توفيق البكرى المتوفى سنة ١٣٥١ هـ فى كتابه المستقبل للاسلام : علوم المدارس ليس فيها إلا قشور قصد بها صنع موظفين للحكومة ، أو أجراء لبعض المهن كالطب والحقوق . وقال الشيخ رشيد رضا فى كتابه (نداء للجنس اللطيف) : لاخير للنساء فى مساواة الرجال ومشاركتهن لهم فى أعمالهم ، ولا فى الاشتغال بالسياسة واتباع تقاليد الخلاعة ، بل الخير لهن بتربية أولادهن تربية توافق قواعد الدين الاسلامى ، وبالاعراض عن قراءة مجلات الفكاهة ، والخلاعة ، والسفاهة ، واستبدالها بقراءة كتب الدين الاسلامى وتاريخه للنظر فى تفضيله على جميع الشرائع والأديان . وقال ديده رو الفيلسوف الفرنسوى : لا أعترض على زوجة جارى إذ رأيتها تكتب وتؤلف ، ولكن أريد من زوجتى أن لاتعرف غير خياطة القميص ، وحياكة الجورب . وقال غيره : المرأة التى تقضى وقتها بالكتابة والتأليف ترتكب خطأين ، تزيد عدد الكتب ، وتنقص مقدار النساء . والزواج عبث وتعب فكر لامرأة تقضى أوقاتها بالكتابة والتأليف اه وقد كثر

تذمر أرباب العقل والادراك من حالة التعليم المدرسى للبنين والبنات ، فانه متنوع الانواع ، وكثير الشعوب ، ولكنه غير مفيد فائدة يحسن الاكتفاء بها . لأنه يتبع أصول التعليم الافرنجى وهو غيره لبلاد شرقية إسلامية ، ومن المسلم به أن ما كان لقوم لايصلح لآخرين ، لاسيما إذا كان البون بينهم شاسعا. فأين نحن معشر الشرقيين الاسلاميين من قوم غربيين دينهم غير ديننا ـ وقد لا يكون فى بعضهم دين أصلا ـ وعاداتهم غير عاداتنا ، وطباعهم غير طباعنا ، فلهذا أصبح التعليم المدرسى محدوداً ببرامج وكتب وأوقات متي ما استوفيت انتهى التعليم ، وقيل لذلك المتعلم ـ أو المتعلمة ـ إنه أكمل تحصيله ، إشارة الى انه لم يبق له حاجة فى التعلم . وهذا نقص فى الشعور ، وتحديد لمدى العلم الذى لا يحد ولا يوقت بوقت . وأصبح المتخرج من مدرسة يطالب بوظيفة استنادا على ما بيده من شهادة تشهد له بدخول المدرسة وإكمال مدتها ، فأصبحت حالة المتعلمين والمتعلمات غير مرضية ، لاسيما أن معلوماتهم ـ أو معلوماتهن ـ غير كافية ، ولاهى من الأمور اللازمة. والذين بيدهم زمام الأمور لايلقون بالا الى شكوى المشتكين قصد إصلاح الفاسد ، اعتمادا على ما عندهم من الرأى الذى قد يجوز أن يكونوا على غير صواب فيه . وإذا لم يجز للنساء أن يتعلمن ما زاد على حاجاتهن من العلم الضرورى فى دينهن ، فمن باب أولى أن لا يجوز لهن أن يتعلمن ما يشين عفتهن ، ويوقعهن فى الشبهة والريبة ، كتعلم الغناء ، والموسيقى ، والرقص . وأكثر المعلمين والمعلمات لهذه الأشياء من غير المسلمين والمسلمات ، ويحصل فى أثناء التعليم والتعلم من الاوضاع ما لا يأذن به الشرع ، ولا يرضى به أصحاب الدين ، ولا يقره إلا كل من هو ساقط المروءة فاقد الغيرة ، ومن لا يغار على أهله من العار له في الآخرة عذاب النار . قال رسول الله ﷺ : « إنى لغيور وما من أمرىء لايغار إلا هو منكوس القلب » . وقال فى حديث آخر « الحياء حسن ولكنه فى النساء أحسن » . وقال بعض أهل العلم من السلف الصالحين : من لم يحفظ أهله من تعدى حدود الله تعالى وخروجهن عن طاعته ، فهو ديوث فاسق آثم معذب .

وقد جاء فى السنة السنية ما يلزم تعليمه للنساء وما لا يلزم ، فقد قال رسول الله

ﷺ « لا تنزلوا النساء الغرف ، ولا تعلموهن الكتابة ، وعلموهن الغزل ، وسورة النور » - رواه الحاكم والبيهقي عن عائشة - وإنما خص سورة النور من بين جميع سور القرآن الكريم لما فيها من الأحكام الكثيرة المتعلقة بالنساء ، كأحكام الزانية والزاني ، وحكم قذف النساء المحصنات ، وحكم اتهام الزوج زوجته بالقبيح ، وما يقتضيه من اللعان بينهما ، وحديث الافك وإشاعة السوء على النساء العفيفات المحصنات ، وتزوج الطيبين بالطيبات ، والخبيثين بالخبيثات ، وحكم الدخول على البيوت ، وأمر النساء والرجال بغض الأبصار وحفظ الفروج ، ونهيهن عن إظهار زينتهن إلا لأزواجهن وذوى الرحم المحرمين منهم ، وجواز نكاح الأيامي - وهن النساء اللاتى كان لهن أزواج وتركوهن إما بموت أو طلاق - والاماء ، وأمر من لا يقتدر على النكاح بالاستعفاف حتى ييسر الله تعالى له ما يقدر به على النكاح ، وحكم الدخول على النساء ، وجواز كشف المرأة المسنة وجهها من غير تبرج ، مع التوصية لهن بالتعفف عن ذلك ، وكل هذا مما يجب على النساء معرفته . ولذلك أمر رسول الله ﷺ بتعليمهن سورة النور - أي تعليمهن ما فيها من الأحكام - .

النساء ورغبتهن بآلات اللهو والغناء

حيثما سرت وأين توجهت ، وقعت عيناك على شابات يحملن بأيديهن آلات اللهو والطرب من عود وكمنجا وغيرهما وما يقتضى لذلك من دفتر الاشارات (نوته) ذاهبات الى المعلم أو المعلمة ليتعلمن ، أو راجعات من التعلم ، كأنه لم يبق للنساء ما يحتجن الى تعلمه إلا هذا ، أو أنهن رائحات الى مسارح اللهو يسمعن ما تجود به أصوات المغنيات ثمة ، أو المغنين أيضا . وليس هذا الانكباب على اللهو خاصا بهن فقط ، بل هو أيضا شامل للشبان رجال المستقبل الذين تعقد آمال سعادة الوطن عليهم . وقد اتسع نطاق الانكباب على هذا العلم النفيس ؟ حتي صار من الدروس المقررة فى المدارس أيضا ، وحتى أنشئت له المعاهد والمنازل ، وأخذت الاعلانات عنه بالترغيب فيه مع الجمع بين الزوجين الذكر والأنثى وقت التعلم والتعليم ، من غير أن يفكر أحد فيما يجر ذلك من العواقب المضرة ، فضلا عن أن يعلم أن الغناء

والعزف على آلات اللهو كيفما كانت وكيفما سميت واتخاذ ذلك صنعة محرم فى الشرع الاسلامى ومعدود من الكبائر عند أكثر العلماء الرجال والنساء ، ومتوعد عليه باللعنة والسخط والغضب على من يعانيه ذكراً كان أو أنثى ، لما فى ذلك من التأثير فى جذب النفوس للهوى ، وسلب الرشد عن أهله لاسيما إذا قارنه شرب المسكر - وقل أن لايقارنه - إذ من لايشرب لايطرب ، ومن لايطرب لايبرع ، والبراعة إنما تأتى من غلبة السكر على العقل حيث يرتفع الحياء فيفعل المغنى أو العازف مايشاء ، ولو تأمل المغنى أو العازف بأوضاعه وهو يغنى أو يعزف لخجل من نفسه فضلا عن أن يخجل من غيره ، وهو السامع الذى يستمع اليه . ومثلهما الممثل والممثلة ، والمهرج والمهرجة ، وكل من يقول قولا أو يعمل عملا ليضحك به الناظرين والسامعين . وقد بين الفقهاء فى كتب الفقه وأحكام الدين أن أولئك الناس الذين يشتغلون بالغناء والعزف والتمثيل (المحاكاة) والتهريج (السخرية) ساقطوا العدالة ، مردودوا الشهادة فى نظر الشرع الشريف الاسلامى ، ممقوتون عند الحق والخلق أيضا ، وإن كانوا بحسب الظاهر محترمين عندهم . ولكن إذا سألت عنه قيل لك إنه مغنى ، أو دقاق عود ، أو ممثل ، أو مهرج ، والمغنية والعازفة أشد عيبا وأكثر ويلا وخزيا عند الله تعالى لأنها امرأة مأمورة بالتستر وخفض الصوت فى الأحوال المعتادة ، فسفورها حرام ، وصوتها حرام ، وتغنيها حرام ، وكسبها حرام ، مع العلم بأن الغناء واتخاذه مهنة والتكسب به حرام مطلقا ، ولكنه فى النساء أشد حرمة .

ومن الأحاديث الواردة عن الرسول الأعظم ﷺ فى النهي عن الغناء وآلات اللهو ووعد من ينزه سمعه عنه بما هو خير له حديث « من استمع الى صوت غناء لم يؤذن له أن يستمع الى صوت الروحانيين فى الجنة » - رواه الحكيم الترمذى عن أبى موسى الأشعرى - وحديث « من استمع الى قينة صب فى أذنيه الآنك يوم القيامة » - رواه ابن عساكر عن أنس بن مالك - (الآنك الرصاص)

وحديث « إذا كان يوم القيامة قال الله عز وجل أين الذين كانوا ينزهون أسماعهم وأبصارهم عن مزامير الشيطان ميزوهم فيميزونهم فى كثب المسك والعنبر ،

ثم يقول للملائكته أسمعوهم تسبيحى وتمجيدى فيسمعون بأصوات لم يسمع السامعون مثلها » . وحديث « الغناء واللهو ينبتان النفاق فى القلب كما ينبت الماء العشب » - رواه البيهقى عن جابر وابن أبى الدنيا عن ابن مسعود - وحديث « ويل للذى يحدث فيكذب ليضحك به القوم ، ويل له ويل له » رواه الامام احمد وأبو داود والترمذى والحاكم عن معاوية بن حيدة - وورد فى الحديث « ويل واد فى جهنم يهوى فيه الكافر أربعين خريفا قبل أن يبلغ قعره » - رواه حم ت حب ك عن أبى سعيد - وقال عبد الله ابن مسعود رضى الله تعالى عنه : الغناء رقية الزنا ماعاناه صبى إلا فسد ، ولا امرأة إلا بغت ، ولا شاب أو شيخ إلا وقع في محذور . وقال الحطيئة الشاعر وهو ممن أدرك خلافة سيدنا معاوية رضى الله تعالى عنه لقوم نزل بهم : جنبوا مجالسنا الغناء فانه رقية الزنا . وقال يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان الخليفة الاموي : يابنى أمية إياكم والغناء فانه ينقص الحياء ، ويزيد فى الشهوة ، ويهدم المروءة ، وإنه لينوب عن الخمر ويفعل ما يفعل المسكر ، فان كنتم لا بد فاعلين فجنبوه النساء فان الغناء داعية الزنا . وفى كتاب الأغانى لأبى الفرج الاصبهانى المتوفى سنة ٣٥٦ فى أخبار الدلال المخنث أن سليمان بن عبد الملك الخليفة الأموى كان يسمر ذات ليلة على ظهر سطح ، فلما تفرق عنه جلساؤه دعا بوضوء (بفتح الواو) فجاءته جارية له به ، فبينما هى تصب على يديه إذ أومأ بيده لأن تصب وأشار بها مرتين أو ثلاثا فلم تفعل ، فأنكر ذلك منها ورفع بصره فاذا هى مصغية بسمعها الى ناحية العسكر ، وإذا رجل يغنى بأحسن صوت وأطيب نغمة :

محجوبة سمعت صوتى فأرقها ... من آخر الليل حتى شفها السهر
لم يحجب الصوت حراس ولا غلق ... فدمعها بأعالى الخد ينحدر
فى ليلة البدر ما يدرى معاينها ... أوجهها مايرى أم وجهها القمر
لو خليت لمشت نحوى على قدم ... تكاد من رقة للمشى تنفطر

فأنصت له حتى استوعب جميع الشعر ، حتى إذا كان الصباح بعث فى معرفة الرجل الذى غنى فأتى به ، ودعا بحجام ليخصيه فدخل عليه عمر بن عبد العزيز الخليفة الأموى رضى

الله تعالى عنه وشفع به . فقال له سليمان ـ وكان غيوراً على العرض ـ أسكت إن الفرس ليصهل فتستودق الحجر له ، وإن الجمل ليخصر فتضبع له الناقة ، وإن التيس لينب فتسحرم له العنز ، وإن الحمام ليهدل فتزوف له الحمامة ، وإن الرجل ليغنى فتشبق له المرأة ، ولم يقبل شفاعته فيـــه بل أمر به فخصى . وكتب إلى عماله فى البلاد أن يخصوا من قبلهم من المغنين فخصوا اهـ .

قال الكمال أحسن الله تعالى اليه : رحم الله سليمان هذا وكل غيور على العرض ، ما كان أفصحه وأوسع اطلاعه في اللغة ، فقد عبر عن غناء كل ذي روح بما اختص به فى اللغة ، وكل ماقاله يفسر بالغناء والشبق وميـل الأنثى الى الذكر والذكر الى الأنثى . وكان أبو يوسف الفيلسوف الكندى وهو من رجال القرن الثالث الهجري يقول لابنـــه : إياك والسماع فانه برسام حاد ، وذلك أن المرء يسمـع فيطرب فيسمح فيعطى فيفتقر فيهتم فيمرض فيموت (البرسام التهاب يعرض للحجاب الذى بين القلب والكبد) وكتب بديع الزمان الهمذاني المتوفى سنة ٣٩٨ الى تلميذ له توفى أبوه وخلف له مالا : ياولدى ذلك المسموع من العود يسميه الجاهل نقرا ، والعاقل فقرا ، بل وقرأ ، وطلب بعض المغنين جائزة على غنائه : فقال له المطلوب منه المال روح ، والغناء ريح ، ولست أشترى الريح بالروح .

ولرب سائل يسأل أليس فى الغناء وضرب الأوتار فائدة ؟ والجواب نعم إن فى الغناء وضرب الأوتار ترويحا للنفس ، واستراحة للفكر ، وترويضا للذهن ، وشفاء من بعض الأمراض ، ولكن هـذه الفوائد أدوية لا أغـذية تستعمل عند اللزوم ، لا تتخذ صنعة أو حرفة أو مهنة . قال بعض الفلاسفة : أمهات لذات الدنيا أربع ، لذة الطعام ، ولذة الشراب ، ولذة النكاح ، ولذة السماع . ولا وصول للثلاث الأول إلا بحركة وتعب إلا السماع فانه خالص منـه ، ومن خصائصه أنه لا يحجزه شيء . وإن الجمـع بينه وبين كل عمل ممكن ، وإن الابل والخيل تستطيبه ، والصبيان الرضع تستلذه ، والوحوش والطيور تسكن اليه ، لأنه غذاء الروح إلا أن فيه مفسدة عظيمة فى الدين والعرض ، فيستعمل عند الضرورة . مع العلم بأنه

تغنى المرأة لزوجها ، أو الزوج لزوجته لا بأس فيه ، بل هو من موجبات إقبال كل منهما على الآخر ، وعطفه عليه . فليكن عند اللزوم بقدر ماتدعو إليه الحاجة وأما تغني المرأة من نفسها لنفسها فى خلوة ففيه دليل على أن لها فى الرجال شهوة ، كما أن خروجها من بيتها متعطرة متزينة لغلمة بين ترائبها كامنة .

النساء وتدبير أمور المنزل

علم تدبير أمور المنزل من أهم الأمور الضرورية لسعادة الأمة ، لأن المنزل هو المدرسة الأولى ، وبعده مدرسة التعليم ، ثم مدرسة العمل فى الدنيا وفائدته انتظام أحوال الانسان في منزله ليتمكن من كسب السعادة العاجلة والآجلة ، وهو المشار اليه بقولهم : التدبير نصف المعيشة . وهو مشترك بين الرجال والنساء ، ووظيفة النساء فيه وظيفة مهمة إذا أحسن القيام بها أسدين للعالم الانسانى خدمة جليلة وهى القيام بأمور البيت الداخلية ، من خياطة ونظافة وطبخ وتربية أولاد ، ونظارة أعمال الخدم ، وغيرذلك . ووظيفة الرجل تدبير أموره من الخارج بالصنعة والاحتراف الحلال بقدر ما يمكنه ، ويأثم إذا اكتسب المال من غير حله ، وعليه التبعة إذا أطعمه أهله وأولاده ، بل يكون تسبب فى اتخاذهم أعداءا له فى الدنيا والآخرة . قال الله تعالى (ياأيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم) أى احذروا عداوتهم بأن لا تطعموهم ولا تكسوهم حراما ، فان العبد إذا عمل بمعاصى الله عاد حامده من الناس ذاما له ، ومن كان له أولاد صغار وخاف عليهم سوء الحال من بعده فليكن متقيا لله تعالى في حياته يحفظه الله تعالى فى أولاده بعد مماته ، قال الله تعالى (وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا) قال رسول الله ﷺ « خير لهو المؤمن السباحة ـ بالباء الموحدة ـ وخير لهو المرأة المغزل » ـ رواه ابن عدى عن ابن عباس ـ وقال فى حديث آخر « مهنة إحداكن فى بيتها تدرك جهاد المجاهدين إنشاء الله » ـ رواه أبو يعلى عن أنس ـ

النساء وملازمة البيوت

ملازمة البيوت باب الخير الذى من دخلته كانت آمنة على عرضها ونفسها ومالها ودينها وشرفها ، فكانت المثل الأعلى للصيانة والعفة حيث تقوم فيه بواجبها البيتى والزوجى والأولادى والديني ، لا يشغلها عنه شاغل ، بل تجد فيه متسعا من الوقت للعكوف على العبادة وقراءة كتب الدين والأدب الحقيقى ، فتدرك حينئذ لذة الحياة ، وتحس بأن السعادة حافة بها ، وكيف لا تكون كذلك وقد أرضت ربها وزوجها بقيامها بما عهدا به اليها ، وأى سعادة للمرأة أعظم من رضا ربها وزوجها عنها ، فهو باب حطة بخلاف تلك المرأة الخراجة الولاجة التى لا تستقر ساعة فى بيتها بل تذهب منه إلى هنا وإلى هناك فى النهار والليل ، وتجتمع بمن يحل ومن لا يحل لها الاجتماع به ، وتأتي الى البيت وقد امتلأ رأسها بالمطالب مما قد رأته وشاهدته فأخذت تكلف زوجها بحصوله ، وقد لا يتسع حاله لاجابة طلبها فتستعر نار الخلاف بينهما ، وتراها لا تعبأ برؤية أمور منزلها ولا تربية أولادها ، ولا تؤدى لربها ولا لزوجها ما هو واجب عليها ، وتهزأ بكتب الدين والأدب إن كانت تقرأ وتكتب ، بل تنكب على قراءة مطبوعات السفاهة والخلاعة ، وإذا نصحها زوجها أخذتها العزة بالاثم وانهالت عليه بالسب والشتم ، وتراها فى كل أوقاتها حرجة الصدر ، ضيقة الخلق ، وهذا جزاؤها بما كسبت يداها فقد قال الله تعالى (ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى) كل هذا سببه الخروج من البيوت وعدم التقيد من الأحكام الشرعية بالقيود ، وأول ما يظهر من مضار الخروج من البيوت وعدم الاستقرار بها ازدراء ما هى فيه من النعمة واحتقارها ، والاستخفاف بزوجها حيث قد تجد أو ترى ما هو أوسع من العيش التى هى فيه ، ومن هو أوقع فى نفسها من زوجها ، لاسيما إذا كان متقدما فى السن ، أو متأخرا فى البذل ، فتدب بينها وبينه عقارب الخلاف والشقاق مما قد يؤدي الى الطلاق والافتراق ، وفى ذلك خراب بيت زوجيتهما ، ونقض حياتهما ، والمرأة

الملازمة لبيتها ترى أنها فى أحسن ما يكون من النعم ، ومع أطيب من يكون من الأزواج ، فلا تمد عينيها الى غيره ، ولا تكفر ما هى فيه من نعمة وإن قلت ، ولا يجد الشيطان سبيلا لاحداث الخلاف بينهما ، فتعيش معه ويعيش معها بهناء وصفاء عيشة راضية ، كل ذلك ببركة لزوم النساء البيوت . فجزى الله تعالى عنا سيدنا محمد النبى الأعظم والمرشد المصلح ﷺ حيث دلنا على الهدى ، وحذرنا عواقب الردى . ومن أحاديثه الشريفة الواردة فى لزوم النساء البيوت قوله ﷺ « أقرب ماتكون المرأة من وجه ربها إذا كانت فى قعر بيتها » . وقال فى حديث آخر « إن من النساء عياً وعورة فكفوا عيهن بالسكوت ، وواروا عوراتهن بالبيوت » - رواه العقيلى عن أنس - وقال فى حديث آخر « ليس للنساء نصيب فى الخروج إلا مضطرة ، وليس لهن نصيب فى الطريق إلا الحواشى » - رواه الطبراني عن عبد الله بن عمر - ومما يدفع المرأة للخروج من بيتها زائرة لمن تعرفه ، أو متفرجة على ما تسمع به من غناء أو تمثيل (محاكاة) أو رقص ، أو غيره وفرة ما عندها من الثياب النفيسة ، فانها تريد أن تصطاد طيرين برمية حجر ، الخروج إلى حيث شاءت ، وإراءة ما عليها من الثياب النفيسة لمن تقصد زيارته . فعلى الزوج أن لا يجعل لها سبيلا الى ذلك كيلا تفسد عليه حياته البيتية فى خروجها كلما أرادت ، وذلك إما بعدم إجابتها إلى ما تطلبه من ثياب مادام عندها ما يكفيها ، وإما أن يشترط عليها أن لاتخرج إلا باذنه وإرادته ، وحينئذ يأتيها بما تطلبه وتتزين به له فى بيتها . وقد استعمل هذه الحكمة بعض العقلاء وذلك أنه لما تزوج قال لزوجته قبل أن يتماسا : تعالى نتفق على ما يديم وفاقنا بيننا فى حياتنا الزوجية هذه ، وأهمه مسألة الملابس والخروج من البيت ، فاما أن يكون خروجك من بيتك بارادتك متى أردت تخرجين ولكن تكون ملابسك على كيفى ، وإما أن تكون ملابسك حسب طلبك وخروجك باذنى وإرادتي ، فاختارت أن يكون خروجها على كيفها وملابسها على كيف زوجها ، فأرادت أن تخرج ذات يوم فقدم لها ملابس دون ما هى تلبسه فأبت أن تلبسها وتخرج بها ثم أنها عدلت طلبها بأن جعلت ملابسها على حسب رغبتها وخروجها

باذن زوجها ، فكان يأتيها بما تريده ولا يسمح لها بالخروج إلا لجلب مصلحة أو دفع ضرورة . وقد اقتبس هذا من الاحاديث الواردة في هذا الخصوص فقد ورد فى الحديث الشريف « أعروا النساء يلزمن الحجال » - رواه الطبرانى عن مسلمة بن مخلد - وفى حديث آخر « استعينوا على النساء بالعرى فان إحداهن إذا أكثرت ثيابها ، وأحسنت زينتها ، أعجبها الخروج » - رواه ابن عدى عن أنس - وقال سيدنا عمر بن الخطاب : أضربوهن بالعرى فان النساء يخرجن الى الاعراس ، ويقمن في المناحات ، ويظهرن في الاعياد ، ومتى كثر خروجهن لا بد أن يراهن من هو من شكلهن ، ولو كان بعلها أتم حسنا وأحسن وجها والذى رأته أنقص حسنا لكان مالا تملكه أظرف عندها مما تملكه وأشد لها اجتذابا . وقال سيدنا معاذ بن جبل رضى الله تعالى عنه : إنكم ابتليتم بفتنة الضراء فصبرتم ، وإنى أخاف عليكم فتنة السراء ، وإن أشدها لكم عندى النساء إذا تحلين الذهب والفضة ، ولبسن ريط الشام وعصب اليمن ، أتعبن الغنى ، وكلفن الفقير مالا يقدر اه والمراد من العرى فى الحديث وقول عمر إلباسهن الملابس العادية التى لا يرين معها الخروج ، لا إعراؤهن من اللباس بالمرة . ولا يجوز للمرأة أن تخرج من بيتها إلا باذن زوجها أو وليها بشرط أن تكون مضطرة للخروج ، وبشرط أن تخرج غير متزينة ولا متعطرة ، ولا بوضعية تلفت نظر الناس اليها قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « ليس للنساء نصيب فى الخروج إلا مضطرة ، فاذا خرجت بغير إذن زوجها أو وليها فقد أثمت ، ولا تزال فى سخط الله حتى ترجع » - رواه الطبرانى عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنهما - وقال فى حديث آخر « أيما امرأة خرجت من بيت زوجها بغير إذنه لعنها كل شيء طلعت عليه الشمس والقمر إلا أن يرضى عنها زوجها » . وقال فى حديث آخر « أيما امرأة خرجت من بيتها بغير إذن زوجها كانت فى سخط الله تعالى حتى ترجع الى بيتها أو يرضى عنها زوجها » - رواه الخطيب البغدادى عن أنس -

ويأثم الزوج باطلاق السراح لامرأته تذهب حيث شاءت ، ولا يدرأ عنها الاثم وسخط الله تعالى إذنه لها بل هى آثمة في خروجها لما لا يحل لها ، وهو آثم باذنه

لهـا إلا أن يكون مغلوبا أمامهـا على أمره لاتعبأ به ولا تحفل باذنه ، كأن تكون شريرة سليطة لاتخليه من شرها في وقت من الأوقات ، فانه يرى الراحة ببعدها عنه وبعده عنها فيطلق لها السراح ليرتاح بذهابها ولو ساعة يجمع فيها شتاته ، ويلم شعثه ، ويصلح فاسده ، حيث لا يجد سبيلا إلى شيء من ذلك بحضورها . فهو باذنه لها معذور ، ولعله عند الله غير مأزور ، والضرر الخاص يتحمل لدفع ضرر عام كما هو مقرر فى علم الأصول . ولعله يريد لها اللعنة والسخط من الله تعالي بخروجها بغير إذنه ففي الحديث الشريف « إن المرأة اذاخرجت من بيت زوجها وهو كاره لعنها كل ملك فى السماء وكل شيء مرت عليه غير الجن والانس حتى ترجع » .

وكفاها هذا الحديث خزيا ونكالا ، وشرا ووبالا ، فلتستكثر من الخروج مهما شاءت ، أولتقبع فى بيتها وتلزم طاعة ربها وزوجها .

ومما يجدر أن يكون قدوة لكل امرأة تؤمن بالله واليوم الآخر ، ومثالا تحتذي عليه كل عاقلة ، ماذكر فى بعض كتب الأدب كما حدثنى به والدي الحاج محمد الأدهمى المتوفى سنة ١٣٢٠ رحمه الله تعالى وجزاه عنى خيرا أن رجلا سافر لأمر اقتضى سفره ووصى زوجته أن لا تخرج من البيت ، وكانت تسكن بطابق عال وابوها يسكن بالطابق الذى تحته هو وزوجته وأولاده ، فمرض أبوها وطلب منها أن تعوده ، فقالت : إن زوجى سافر وأوصانى أن لا أخرج من البيت فلأبعث أستفتي عالما بالخروج لعيادة أبى ، فأفتاها بعدم الخروج فامتثلت ولم تعد أباها ، ثم إنه مات فاستفتت فلم يؤذن لهـا بالخروج قائلا لها : لايحل لك أن تخالفى أمر زوجك فلم تشهد موت أبيها . فرحمة الله على هذه المرأة الصالحة المطيعة لزوجها الممتثلة لأمر ربها ، فقد آثرت رضا زوجها الذى هو من رضا ربها عليها ، ولم تعد أباها ، ولاشهدت وفاته وهى بمنزل وهو بمنزل تحته ، فأين هذه المرأة من نساء هذا الزمان ؟ ! ولعنة الله على كل امرأة فاجرة ماكرة شريرة سليطة سفيهة بذيئة اللسان متطاولة على زوجها مهما كان دونها بالعجب والكبر فى نفسها ، والازدراء والتحقير له بيدها ولسانها ، عليها دائرة السوء وغضب الله تعـــالى عليها ولعنها وأعد لها جهنم وساءت مصيرا .

النساء وسكنى الغرف

لقد بلغ من حرص الشرع الشريف الاسلامى على صيانة النساء وحفظهن من كل ما يلوث عفتهن أن نهى عن إسكانهن فى الغرف ـ جمع غرفة وهي الحجرة العالية فى الدار المطلة على خارجه ـ لئلا يستهويها الشيطان فتشير الى أحد بنظرة ، أو ابتسامة ، أو سلام ، أويشير اليها أحد بذلك . كما قال الشاعر :

ليتني فى المؤذنين حياتى   إنهم يرون من في السطوح
فيشيرون أو تشير اليهم   كل عذراء ذات وجه مليح

وقد جاء فى الحديث الشريف « لاتسكنوا النساء الغرف فيشرفن » .

أى ينظرن لمن هو في خارجها ، فربما تعلق قلبها بمن تراه فتعمل على القرب منه أو القرب منها ، وفى هذا نقص لشرفها ، وخيانة لزوجها إن كانت ذات زوج ، ومجلبة للعار لأهلها مطلقا . وقد كان الصحابة رضى الله تعالى عنهم يسدون النوافذ والثقوب حتى لاتنظر المرأة منها الى من هو خارجها ، ويرون أن رؤية المرأة الرجل أشد من رؤية الرجل المرأة ، ولم تزل هذه الخطة متبعة فى البلاد التى لم تحل بها المدنية الأوربية ، مدنية إفساد الأخلاق وهتك الأعراض .

النساء وحضور الجمعة والجماعات

صلاة الجمعة وحضور الجماعات للصلوات الخمس والعيدين والتراويح ثوابها عظيم ، وفضلها جسيم ، للرجال دون النساء لانتفاء خوف الشبهة والفتنة دون النساء لما فى حضورهن من خوف الفتنة والمفسدة ، فلذلك جاء الشرع الشريف بمنع النساء من حضور الجمعة ، وصلاتهن الأوقات الخمسة مع الجماعة فى المساجد دون البيوت ، على أن جماعة النساء فى البيوت مكروهة لما تقتضيه من الجهر بالقراءة فى الصلوات الجهرية المغرب والعشاء والفجر ، ومايلزم فيها من رفع الصوت بالتكبير ، وصوت المرأة عورة كصورتها . وقد عوضها الشرع الشريف عن حرمانها من الجمعة والجماعات بما جاء فى الحديث الشريف « أقرب ماتكون المرأة من وجه ربها اذا

كانت فى قعر بيتها ، وإن صلاتها فى صحن دارها أفضل من صلاتها فى المسجد ، وصلاتها فى بيتها أفضل من صلاتها فى صحن دارها ، وصلاتها فى مخدعها أفضل من صلاتها فى بيتها » . وفى حديث آخر « صلاة المرأة وحدها تفضل على صلاتها فى الجمع بخمس وعشرين درجة » ـ رواه الديلمى عن عبد الله بن عمر بن الخطاب ـ وقد أجمع العلماء على كراهيـة حضور النساء الجماعات فى كل الصلوات كراهية تحريم ، سواء أكن شابات ، أو عجائز متبرجات أو متسترات ، وأن حديث « لاتمنعوا إماء الله مساجد الله » محمول على ما كان فى أيام حياته ليستفدن من حضورهن مجلس الرسول ﷺ ماينفعهن فى دينهن ودنياهن وأخراهن ، قالت السيدة عائشة رضى الله تعالى عنها : لو رأى رسول الله ﷺ ماعليه النساء اليوم لما أذن لهن فى الخروج . وقولها هذا كان بعد وفاة النبي ﷺ بقليل ، فكيف حالهن فى زماننا هـذا وقد مضى على قولها ثلاثة عشر قرنا ؟ ثم إذا حظر الشرع على النساء حضور الجمعـة والجماعات لأداء عبادة مفروضـة على كل ذكر وأنثى ، فما بالك بخروجهن للمباحات من نحو زيارة الأهل ، بل المحرمات كحفلات الرقص ومراسح التياترو والسينما والتمثيل (المحاكاة) وغير ذلك من بؤر الخلاعة ، وفساد الأخلاق ، وهتك الحرمات .

وذكر أبو بكر الخرائطي المتوفى سنة ٣٢٧ محمد بن جعفر المحدث فى كتابه اعتلال القلوب ، أن عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل كـانت تحت الزبير بن العوام رضى الله تعالى عنه ، فاستأذنته فى الخروج للمسجد فشق عليه استئذانها وكره أن يمنعها لحديث « لاتمنعوا إماء الله مساجد الله » فأذن لها ثم كمن لها فى موضع مظلم من الطريق ، فلما مرت عليه وضع يده على بعض جسـدها ، فكرت راجعة وسبقها الزبير إلى الدار ، فلما دخلت عليه وهي تسبح قال لها : ماردك عن وجهك ؟ قالت كنا نخرج والناس ناس ، وأما اليوم فلا . قال الكمال أحسن الله تعالى اليه : وكثيرا مايقع اليوم أن تمر المرأة ـ وهى بالمعنى المصطلح عليه متبرجة متعطرة متزينة كاسية عارية فاذا لم تكن كذلك فليست فى عرف النساء امرأة ـ فتدخل بين الرجال

وتزاحمهم ، وهذا يمسها ، وذاك يقرصها ، وهى فرحة مبسوطة لانها تحمل ذلك المس والقرص على استحسان الماس أوالقارص لها ، فتزيد رغبتها فى الخروج الى الاسواق ومزاحمة الرجال بالأطراف (قل كل يعمل على شاكلته) امرأة الزبير خرجت لتصلى فى المسجد صلاة العشاء أو الفجر فـكرت راجعة بمجرد ماحصل لها من ذلك المس ، وما كان ليجسر عليها أحد والدين بعد غض طرى فى عنفوان شبابه وعزته وقوته ، فكرت راجعة ولم تخرج بعد من بيتها ، وأما امرأةهذا الزمان فانها تعد ذلك المس والقرص من محسنات الخروج للاسواق ليتبين لرفيقاتها أنها ملحوظة من الشباب بعيون الاستحسان، اللهم سلمنا من نزغات النسوان و نزقات الشبان.

النساء واتباع الجنائز

قلت فى كتابى المسمى (التذكير بالمرجع والمصير) تحت عنوان ـ النساء والجنائز ـ لاعلاقة للنساء بالجنائز من حيث الغسل والتكفين والحمل والتشييع والصلاة عليها ودفنها ، فلذلك نهين عن اتباع الجنائز ، فقد رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم نسوة يتبعن جنازة فقال «هل تغسلنها ؟ » قلن لا ، قال «هل تكفنها ؟» قلن لا ، قال «هل تحملنها ؟» قلن لا ، قال «هل تصلين عليها ؟» قلن لا ، قال «هل تدفنها؟» قلن لا ، قال «ارجعن مأزورات ، غير مأجورات» ـ رواه ابن ماجه عن على وأبو يعلى الموصلى عن أنس ـ فلا ثواب لامرأة فى اتباع الجنائز ، لاسيما اذا اتبعتها بصراخ ونياحة ، بل عليها الوزر كما أنه لاثواب لها أيضا فى زيارة القبور لحديث « لعن الله زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج » ـ رواه أبوداود عن ابن عباس ـ اه منه ـ ورواه الترمذى والنسائى والحاكم عنه أيضا ـ ورأي رسول الله صلى الله عليه وسلم جنازة يتبعها نساء فقال « إما أن ترجعن وإما أن أرجع » فرجعن . وفى حديث آخر «ليس للنساء فى اتباع الجنائز أجر» ـ رواه البيهقي عن عبدالله بن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنهما وكل مايعمله النساء للأموات من مناحات واجتماعات على القبور فى أيام مخصوصة اصطلحن عليها ممنوع شرعا ، ولا فائدة فيها للميت بل فيها الخسارة لأهله الأحياء لاسيما إذا كان مات عن أولاد صغار لم يبلغوا الحلم ، سواء أترك لهم من المال

مايكفي لأعاشتهم ، أم لم يترك ولا ثواب فى ما يعملونه باسم الصدقات اذا لم يتصدق بها على مستحقيها من أصحاب الحاجات . وزيارة القبور كانت ممنوعة فى أول الاسلام لقرب العهد بالجاهلية ، ثم نسخ هذا المنع بقول الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم « كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها » ـ رواه مسلم ـ وفى رواية البيهقى زيادة « فانها ترق القلب ، وتدمع العين ، وتذكر الآخرة ، فزوروها ولا تقولوا هجرا » ـ الهجر القبيح من القول ـ وبفعله صلى الله تعالى عليه وسلم فقد زارها بنفسه وعلم أصحابه كيف يزورونها ، روى مسلم عن عائشة رضى الله تعالى عنها أن رسول الله ﷺ أخبرها أن جبريل جاءه فقال له : إن ربك يأمرك أن تأتى أهل البقيع فتستغفر لهم ، وأنه ﷺ جاء البقيع فقام وأطال القيام ، ثم رفع يديه ثلاثا وقال « اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد » وليست النساء ممنوعات من زيارة القبور إلا بسبب مايكون منهن من منكرات الأقوال والأفعال والأحوال ، وإذا كانت هذه المنكرات حاصلة من الرجال فهم ممنوعون منها أيضا . فالمنع اذن لا لنفس الزيارة بل لما يحدث فيها من الرجال والنساء مما لم يأمر به الشرع ولا يرضاه ، فقد روى مسلم حديث المرأة التي كانت تزور قبر صبي لها وتبكى فلم ينهها رسول الله ﷺ عن زيارته وإنما قال لها «اتقى الله واصبرى » وقال لها أيضا «الصبر عند الصدمة الأولى» وكانت السيدة عائشة رضى الله تعالى عنها تزور قبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، وقبر أبيها أبى بكر وهو خلف قبر الرسول ﷺ وهى واضعة ثوبها عنها وتقول : إنما هو زوجى وأبي . فلما دفن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه معهما حلفت قائلة : والله ما دخلت إلا وأنا مشدودة على ثيابي حياء من عمر ؛ لأن الأموات يرون الأحياء ، وهو أجنبى منها. فهل تفعل زائرات القبور فعل عائشة ؟ كلا راجع كتابى (التذكير)

النساء ودخول الحمامات

لم تكن الحمامات على عهد رسول الله ﷺ وإنما أخبر عنها فى جملة ما أخبر عنه من الحوادث التى ستحصل فيما بعد ، فقد جاء فى الحديث الشريف « إنها ستفتح عليكم الشام وتجدون فيها بيوتا يقال لها الحمامات ، هى حرام على رجال

أمتى إلا بالأزر ، وعلى نساء أمتى إلا لنفساء أو سقيمة » وفى حديث آخر « إنه سيكون بعدى حمامات ولا خير فى الحمامات للنساء وإن دخلنها بازار وخمار ودرع ، وما من امرأة تنزع خمارها فى غير بيت زوجها إلا كشفت الستر فيما بينها وبين ربها » . وفى حديث آخر « الحمام حرام على نساء أمتي » ـ رواه الحاكم عن عائشة ـ وفى حديث آخر « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر من نسائكم فلا يدخل الحمام » وفى حديث آخر « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل حليلته الحمام » . ـ رواه الترمذى والحاكم عن جابر بن عبد الله ـ فمن هذه الأحاديث الشريفة تفهم حرمة دخول النساء الحمام أو الاذن لهن بالدخول إلا لضرورة ، كمرض أو نفاس ، وسبب الحرمة أو الكراهية مايكون فيها من التعرى والصياح وكشف العورات ، والنساء المترجلات اللاتي يدخلن خاصة ليطلعن على أحوال من فيه من النساء فيستغوين من يردن استغواءها لمصلحة أهل الفساد ، فيستملن العفيفة الغافلة ويخدعنها ويصفنها للفسقة فيقفون لها بالمرصاد ، ويأخذون بالتعرض لها ، أو يوسطون من تجمعهم بها ، ويوجد فى الحمامات أيضا المراهقون بل البالغون الذين يغرون من يراهم بقصر قامتهم ، أو نحافة أجسامهم ، أو تدافع عنهم أمهاتهم بأنهم صغار بعد وهم كبار ، وكثيرا ماحدث منهم من المفاسد فى الحمامات . فلذلك نهى حضرة المشرع الحكيم ذى الخلق العظيم وهو بالمؤمنين رؤف رحيم ﷺ عن دخول النساء الحمامات حفظا لشرفهن ، وصيانة لعفتهن ، فهل هن منتهيات ؟ !

النساء والاسفار حتى لأشرف الأقطار

قلنا فيما ذكرنا في هذا الكتاب انه لايجوز للمرأة أن تخرج من بيتها إلا باذن زوجها فيما هو لضرورة لا مندوحة عنها ، فمن باب أولى أن لايجوز لها السفر حتى الى اداء فريضة الحج اذا وجبت عليها لا نافلته إلا إذا كان معها زوجها اوذو رحم محرم منها ، وهو من لا يصح له أن يتزوج بها ، أو تتزوج به ، فاذا سافرت من تلقاء نفسها ولو إلى أداء فريضة الحج فقد عصت الله ورسوله ، ولا يبرر فعلها إذن زوجها لها فما بالك بمن تسافر لغيره من الأقطار ، لا سيما للسفاهة والخلاعة والسرف

والتبذير أو لعقد المؤتمرات والمجتمعات مما لا حاجة به ولا هو من واجبات النساء . نعم إن ذلك يعد فى هذه الأيام نهضة مدنية ؛ ولكنها هيضة دينية ، تذهب بالقائمة بها الى أسفل سافلين ، وتستوجب بها لعنة رب العالمين ، ولتعلمن نبأه بعد حين، إنه لا مجال لامرأة فى أن تخرج من بيتها لغير ضرورة بعد قول الله تعالى (وقرن فى بيوتكن) اللهم إلا أن تكون خارجة عن إطاعة أمر ربها هى ومن يسمح لها بالخروج، فانه ليس له بأن يتحكم فى أوامر الله ويختار منها ما يوافق هواه قال الله تعالى (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا) وقد أصبح السفر بهذا الزمان للنساء من الأشياء السهلة المرغوب بها ؛ فقل أن تكون أنثى واجدة لما تنفقه في سفرها ولا تسافر ووجهة سفرها الى أوربا أو أمريكا ، والحكومة أيضا ترسل على حسابها طائفة من البنات ليتعلمن فى أوربا ما سبب إرسالهن اليها فيذهبن وحدهن أو برفقة شبان مرسلين أيضا لهذه الغاية وهم أجانب عنهن ولكنهن ولكنهم أقارب فيما بينهم بجامعة العلة التى تجمعهم للسفر، وشق عصا التسيار فى مختلف الأقطار، فى البراري والبحار فينزلون معا ويبيتون معا ، ويغدون معا ،ويروحون معا، نعم إن عليهم رقيبا رسميا يراقب حركاتهم فى غاياتهم التى انتدبوا وانتدبن لأجلها كى لا يقال إنهم أو إنهن لا يداومون أو لا يداومن على معاهد العلم التى هى المقصودة من بعثتهم أو بعثتهن ، وغيرهن من النساء كثيرا يذهبن لقضاء فصل الصيف حيث يشتهين من البلاد الأوربية حتى الأمريكية ، وبالطبع أنهن لا يذهبن بقيافتهن الوطنية كى لا يقال عنهن أنهن همجيات غير متمدنات ،بل لا بد من ارتداء اللباس الافرنجى الخاص بالافرنجيات من أهل تلك البلاد وآباؤهن أو أزواجهن أو أبناؤهن لا يحركون ساكنا ، ولا يغارون على انتهاك حرمات الله وهم مسلمون أبناء مسلمين ، إذا كان الاسلام عبارة عن أن يقول المنسوب اليه إنه مسلم وهو لا يعمل بشرعة الاسلام ولا يأتمر بأوامره ، ولا ينتهى بنواهيه ، فما أشبههم بقول الله تعالى (قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان فى قلوبكم) وقال رسول الله ﷺ « ليس الايمان بالتمنى ولا

بالتحلي ولكن هو ماوقر فى القلب وصدقه العمل » ـ رواه ابن النجار والديلمى عن انس ـ وهذا بعض من الأحاديث الواردة بسفر النساء وحكمه .

قال رسول الله ﷺ « لاتسافر امرأة بريدا إلا مع زوج أو ذى محرم » ـ رواه الطحاوى والبيهقى عن أبى سعيد المقبرى ـ والبريد إثنا عشر ميلا ، والميل مسافة نصف ساعة بالمشى الوسط للابل . وقال فى حديث آخر « لاتسافر امرأة إلا ومعها ذو محرم ، ولايدخل عليها رجل إلاومعها ذو محرم » ـ رواه الطحاوى عن ابن عباس ـ وقال في حديث آخر « لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر مسيرة يوم وليلة إلا ومعها ذومحرم لها » ـ رواه الامام احمد ومسلم وابو داود وابن ماجه عن أبي هريرة ـ وقال فى حديث آخر « لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخرأن تسافرمسيرة يوم إلا مع ذى محرم » ـ رواه مسلم عن ابى سعيد المقبرى ـ وقال فى حديث آخر « ليس للمرأة أن تنطلق للحج إلا باذن زوجها ، ولا يحل للمرأة أن تسافر ثلاث ليال إلاومعها ذومحرم تحرم عليه » ـ رواه البيهقى عن عبد الله بن عمر بن الخطاب .. وقال فى حديث آخر « لا يحل لامرأة مسلمة أن تحج إلامع زوج أوذى محرم» فماقول حضرات النساء الحالات المرتحلات بهذه الأحاديث ؛ وما رأى ولاة أمورهن هل يتنصلن أو يتنصلون من الايمان لتنفيذ ما آربهن ؟ !

غلط عالم ولغط واهم

كتب الشيخ محمد بن سليمان عنارة العضو فى المحكمة الشرعية العليا بمصر جملة مقالات فى جريدة المقطم تحت عنوان رسائل سائر عن جولة جالها فى أنحاء سوريا ولبنان وفلسطين استحسن فيها مااستحسن ، وانتقدماانتقد ـ بحسب ما بداله ـ ومن ذلك ماكتبه فيها بتاريخ ١٣ رمضان سنة ١٣٥٠ و٢١ يناير (كانون الثانى) سنة ١٩٣٢ واستطرد الى ماورد في القرآن الكريم من كلمتى (السائحون ـ سائحات) فى قوله تعالى (التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين) وقوله تعالى (عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن مسلمات مؤمنات قانتات تائبات

عابدات سائحات ثيبات وأبكارا) ففسرهما من عنده بمعناهما الظاهر منه وهو السياحة أي الضرب فى الارض والسفر فيها ، وخطأ من فسرهما بتفسيرهما الحقيقى الوارد عن النبي ﷺ والصحابة من أن المراد بهما الصائمون والصائمات كما يقتضيه سياق الأوصاف المسرودة ، فأخطأ وخطىء من وجهين ، الوجه الأول مخالفته للتفسير الوارد عن النبي ﷺ وأصحابه فقد ذكر الألوسى المتوفى سنة ١٢٧٠ فى تفسيره روح المعانى أن النبي ﷺ سئل عن معني (السائحون) الواردة فى الآية المذكورة فى سورة براءة فقال (الصائمون) وإليه ذهب جلة الصحابة والتابعين - والتفسير وهو غير التأويل - أمر توقيفى لاتتحكم فيه اللغة والمنطق ، وهذا أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه سئل عن معنى كلمة (أب) الواردة فى سورة عبس فى قوله تعالى (فأنبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا فاكهة وأبا) فقال : أى سماء تظلني ، وأى أرض تقلنى ، إذا قلت فى كتاب الله مالا أعلم؟! وهو من فصحاء العرب فى الجاهلية والاسلام لا يخفى عليه معنى الأب وهو كلمة عربية ، ولكن لم يجسر أن يقول هو الكلأ لئلا يكون القرآن أراد به معنى آخر . ولكن الشيخ محمد بن سليمان عنارة لم يتورع فى تفسير (السائحون - سائحات) بل بادر الى تفسيرهما بالمعنى المتبادر منهما ترغيبا منه للنساء والرجال بالسياحة والتجول فى أنحاء الأرض كما فعل هو ، فخرج عن تفسير المفسرين جميعهم ، وليس هذا الخروج بمحمود فى الشرع ولعله أن يكون من قبيل قوله تعالى (ومن يشاقق الرسول من بعد ماتبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ماتولى ونصله جهنم وساءت مصيرا)

والوجه الثانى من وجهى خطئه عدم نظره الى نسق الآية ونظمها وهو قوله تعالى (التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله) فما مناسبة السفر مع التوبة والعبادة والحمد والركوع والسجود ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، والحفظ لحدود الله ؟ وكذلك الكلام فى آية (عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن) إلى آخرها ثم يتولد من هذه الآية على تفسير الشيخ محمد عنارة أن الله تعالى وعد

نبيه ﷺ إذا طلق نساءه أن يبدله بنساء رحالات مسافرات ، مع العلم بأن الرسول صلى الله تعالى عليـــه وسلم حجر سفر النساء إلا مع زوج أو ذى رحم محرم . فيلزم من ذلك أن يتبع النبي أزواجـه فى الأسفار تنفيذا لوعـد الله تعـالى ، وفى ذلك تضييع للقيام بما أرسل به ، أو أن يدعهن يسافرن من تلقاء أنفسهن وفيـه تضييع لروابط الزوجية ، وإبطال لـكل ما قاله من نهى النســاء عن السفر إلا مع زوج أو ذى رحم محرم ، فأية الجهتين يختار الشيخ محمد عنارة ويرجحها ويعتمد عليها ؟ وليس منهما جهة مقبولة فى الشرع . نسأل الله تعالى أن يجعلنا من عباده المتبعين ، لا من عبيده المبتدعين ، ماليس له أصل فى الدين .

غض الأبصار وحفظ الفروج

أمر الله تعـالى الرجال والنسـاء بغض الأبصار عما تحرم رؤيتـه ، وحفظ الفروج من استعمالها إلا بحقها وهو الزواج الشرعى لا المدني ، فلا يجوز للرجل أن ينظر الى امرأة أجنبية عنه ، ولا للمرأة أن تنظر الى رجل أجنبى عنها قال الله تعـالى (قل للمؤمنـين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ، وقل للمؤمنـات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها) أى من غير قصد إبداء ويستثنى من ذلك الوجه والـكفان للصلاة لأن كل بدن المرأة الحرة (وليس اليوم فى النساء أمة) عورة ولا يحل لغير الزوج أو ذى الرحم المحرم أن ينظر الى شيء منه إلا للضرورة كأن يكون طبيبا وهى فى حاجة لأن يطلع على قسم من بدنهـا فينظر بقـدر ماتقتضيه الحاجة ، وأما المحرم وهو كل من لا يجوز له أن يتزوج بها كالأب والابن والأخ وابن الأخ وابن الأخت والحفيد والسبط وفى الخـال والعم خلاف وإن لم يجز له أن يتزوج بابنة أخيه أو ابنة أخته فانه ينظر منها الى كل بدنها ماعدا مابين السرة والركبة من أمام وخلف ، وأما الزوج فانه ينظر منها كل شيء من بدنها من غير استثناء ، وهي كذلك مع زوجها وذوى رحمهـا تنظر من زوجها لـكل عضو منـه ، وتنظر من ذوى رحمها لكل جسمه ما عدا مابين السرة والركبة من أمام وخلف ، وذلك كله عند الاقتضاء

إلا مطلقا فقد قالت السيدة عائشة رضى الله تعالى عنها : ما رأى مني ولا رأيت منه تعني النبي ﷺ أى ما رأت عورته ولا رأى عورتها حتى فى وقت الملامسة ، وهذا ما يقتضيه الأدب . ثم إن الله تعالى بين للمرأة من يجوز لها أن تظهر زينتها أمامهم فقال تعالى (ولا يبدين) - أى النساء - (زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو اخوانهن أو بنى أخوانهن أو بنى أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولى الأربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن) وتفصيل ما فى الآية أنه يجوز للمرأة أن تظهر بزينتها أمام زوجها ومن لا يحل له التزوج بها من محارمها كأبيها وأخيها وابن أخيها عمها وخالها وأبي زوجها وابن زوجها من غيرها ، والخال والعم والحمو أى أبو الزوج وابنه وإن كانوا غير مذكورين فى هذه الآية فانهم مذكورون في آية (حرمت عليكم أمهاتكم) الآية فى سورة النساء ، ومنها يفهم من يحل لها الظهور أمامهم ، إلا أن الاحتياط فى الدين والغيرة على صيانة العرض يقضيان بحجب المرأة عن كل فاسد الأخلاق ، غير مبال فى دينه ، ولو كان أقرب الناس اليها فقد سمعنا بأعمام استمتعوا ببنات إخوتهم ، وباخوة هتكوا أعراض اخواتهم ، وبأبناء أزواج شاركوا آباءهم بأزواجهم غير أمهاتهم ، وما دام المرء متجردا من الدين فكل شيء من المنكرات لا يستبعد منه ، ومن الضرر الملحوظ أن تظهر المرأة لابن زوجها وهو شاب وزوجها متقدم فى السن ، فان لمس ابن الزوج رابته أى امرأة أبيه من غير حائل بشهوة يحرمها على أبيه ، والجهل بأمور الدين ليس بعذر للمرأة ولا للرجل ، وأجاز الله تعالى للطفل غير المميز والشيخ الفانى وهو من ليس عنده حس الشهوة أن تظهر المرأة أمامهما متزينة وغير متزينة ، وأما الأعمى والمجبوب أى مقطوع عضو التناسل وهو المسمى بالطواشي فلا يجوز لهما الدخول على النساء ، لأنه وإن عميت العين وقطع الذكر لم تعدم الشهوة ولم تقطع ، قالت أم سلمة زوج النبي ﷺ كنت عند النبي وعنده زوجته ميمونة بنت الحارث ، فأقبل ابن أم مكتوم - وهو كان أعمى - وذلك بعد أن أمرنا بالحجاب فدخل علينا فقال النبي ﷺ «احتجبا منه»

فقلنا يارسول الله أليس هو أعمى لايبصرنا ؟ فقال « أفعمياوان أنتما ألستما تبصرانه » اهـ ولا يجوز للرجل أن ينظر الى أخت زوجته إذ لامحرمية بينهما ؛ و إنما يحرم عليه التزوج بها لحرمة الجمع بين الأختين ، فاذا طلق أختها وانقضت عدتها أو ماتت جازله أن يتزوج بها فلم تكن محرمة عليه حرمة تأبيد كحرمة بنت زوجته من غيره ، أو أمها وهى حماته ، فان حرمتهما عليه أبدية ، ولا يجوز للمرأة أن تنظر الى أخى زوجها وعمه وخاله لأنهم ليس أحد منهم ذا رحم محرم منها ، بل يجوز لهم التزوج بها عند خلوها من زوجها وهذه أحاديث نبوية بغض الأبصار وحفظ الفروج .

قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « إن المرأة سهم من سهام إبليس فمن رأى امرأة ذات جمال فغض عنها ابتغاء مرضاة الله أعقبه الله عبادة يجد لذتها » وقال فى حديث آخر « إن المرأة تقبل فى صورة شيطان وتدبر فى صورة شيطان فاذا رأى أحدكم امرأة فأعجبته فليأت أهله فان ذلك يرد مافى نفسه » - رواه الامام احمد ومسلم وأبوداود عن جابر - وقال فى حديث آخر «إياك والنظرة بعد النظرة فان الأولى لك والثانية عليك » وقال فى حديث آخر « إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لامحالة ، فزنا العين النظر ، وزنا اللسان النطق ، والنفس تمني وتشتهى ، والفرج يصدق ذلك أو يكذبه » - رواه البخارى ومسلم وأبوداود والنسائى عن أبى هريرة - وقال فى حديث آخر «يكره للنساء أن ينظرن الى الرجال كما يكره للرجال أن ينظروا الى النساء » وسأل رسول الله ﷺ ابنته فاطمة رضى الله تعالى عنها «أى شىء خير للمرأة؟» فقالت أن لاترى رجلا ولا يراها رجل ، فضمها الى صدره وقال « ذرية بعضها من بعض »

وكانت الصحابة رضى الله تعالى عنهم يسدون المنافذ والثقوب فى الجدران لئلا يطلع منها النساء على الرجال . وقال سعيد بن مسلم : لأن يري زوجتى ألف رجل على حال تكشف وهى لاتراهم أحب الى من أن ترى زوجتي رجلا مواجهة . وقالت السيدة عائشة رضى الله تعالى عنها : كان الركبان يمرون بنا ونحن مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم محرمات ، فاذا حاذيناهم سدلت إحدانا جلبابها من رأسها على وجهها فاذا جاوزونا كشفناه .

الحجاب والسفور

الحجاب والتستر ولزوم البيوت أمر دينى محض ثابت بالقرآن والسنة وآثار السلف الصالح ، واجب على النساء لا مجال للخلاف والنزاع فيه بين المسلمين حقا وبين مدعى الادراك والصلاح والاصلاح ، ورجال التأمل والتفكر منهم ، فان ديننا مبنى على النقول لا على العقول ، ولا على أن زيدا قال وعمرا يقول ، وإنما يجوز لهم البحث والتفكير فى كيفيته ، وفي الصورة التى يلزم أن يكون الحجاب والتستر بهما حسبما يقتضيه الزمان والمكان ، والقول الفصل فى الحجاب أنه لا يتقيد بشكل مخصوص وزى معين ، بل هو عبارة عن مطلق صورة يحصل بها التستر ويدفع بها الأذى عن النساء وللعرف والزمان والمكان أن يخصه بالشكل اللائق به لا أن يقول بهتكه وطرحه ، فان الحجاب أصل من أصول الأدب ، وأعظم حصن للعفة ، وقد أفاد الله تعالى النساء بإزاء مافرضه عليهن من الحجاب والتستر فوائد جليلة ، فقد أسقط عنهن وجوب السعى فى الكسب الذى يئن الرجال تحت ثقل حمله واستحصاله لاسيما فى هذا الزمن الذى أصبح فيه القابض على دينه كالقابض على الجمر ، وكاد يكون الكسب الحلال فيه متعذرا لكثرة أنواع الحرام فيه ، والمرأة فى مأمن من هذه الأحوال حيث على وليها أو زوجها أن يرزقها ويكسوها ويقوم بكل مايلزمها ، وعليه وزر مايكتسبه ، كما أن له أجر مايكسبه ، وأسقط الله تعالى أيضا عنهن الجهاد الذى هو أشد مايكون على النفوس لما فيه من إزهاق الأرواح وإتلاف الأموال ، وتأييم النساء وتيتيم الأطفال ، وكفى بالحرب العالمية التي نشبت سنة ١٣٣٣ هـ - ١٩١٤ م عبرة وما عهدها منا ببعيد . فما يظنه ضعيف الفكر رقيق الدين من أن الحجاب تشديد على المرأة وتضييق عليها هو خطأ محض ، بل هو تخفيف من الله تعالى لهن ورحمة بهن إذ لا ينكر عاقل عفيف النفس بعيد عن إضاعة الصلوات واتباع الشهوات مافى الحجاب من الفوائد المادية ، والمنافع المعنوية ، التى من أهمها وأعظمها صون الأعراض ، وحفظ الأخلاق ، وبقاء الآداب . وهل

يتعرض السارق إلا لسرقة ماهو سهل الحصول قريب الوصول ، فما دامت المرأة سائرة فى ناحية من الطريق متسترة غير متعطرة ولا متبرجة ولا متزينة فقل أن يتعرض لها متعرض ، أو يتقصدها متقصد ، بخلاف السافرة المتعطرة المتبرجة المتزينة الماشية بعرض الطريق فان لسان حالها يقول هاأنذا من شاء أن يتعرض لى فليفعل ، فانى لاأرد كف لامس . وليس استحسان الحجاب واستهجان السفور مقصوراً على المسلمين باعتبار أنه حكم دينى ، بل الأجانب عنا جنسا ودينا يستهجنون السفور والتهتك والتبرج ، فقد كنت قرأت فى جريدة تصوير أفكار التركية التى كانت تصدر فى استانبول بتاريخ ٢٥ رجب سنة ١٣٣٧ و ٢٦ نيسان (إبريل) سنة ١٩١٩ أنه اجتمع أحد مخبرى تلك الجريدة برجل انكليزى ودارت بينهما محادثة فى أمور شتى الى أن تكلما فيما عليه النساء اليوم من التبرج والتهتك وعدم الاكتراث والمبالاة بالآداب والأخلاق ، فعاب ذلك الرجل الانكليزى على الترك سكوتهم على تلك الأحوال الشائنة وقال : لاينبغى لهم أن يتبعوا مدنية أوربا ولا أن يقلدوها إلا فيما هو نافع لهم ووسيلة لتقدمهم ، وقال : إنى أحذرهم من عاقبة هذا الاسترسال فى هذه المنكرات اه فهذا رجل ليس بينه وبين المسلمين علاقة بدين ولا جنسية ولا وطن ، عاب التهتك وطرح الحجاب وحذر من عواقبه السيئة ، فى حالة أن أصحاب الأقلام الجارية ، والأفكار العالية ، والمدارك الواسعة (بزعمهم) لايحركون أقلامهم للجولان فى ميدان الاستنكار لهذه المنكرات الآخذة بسرعة الانتشار ، بل إن كثيرا منهم يستحسنها ويدعو إليها تحت ستار الترقى والتقدم والتمدن .

يقضى على المرء فى أيام محنتــه حتى يرى حسنا ما ليس بالحسن

وليس الحجاب مانعا للمرأة من تعلم واجباتها البيتية والمدنية ، قالت السيدة عائشة رضى الله تعالى عنها : رحم الله نساء الانصار ، لم يكن الحجاب يمنعهن من أن يتفقهن فى الدين اه

وكم كان من امرأة فى صدر الاسلام اشتهرت بالعلم والفضل والأدب فما كان الحجاب عقبة فى سبيل تعلمها ونبوغها ؛ فلم يبق إلا أن من يشنع على الحجاب

مارق من الدين ، أو شهوانى محض غلبت عليه شهوته فقام يقاتل و يناضل من أجلها ليسهل عليه اقتناص أوابد العفة والصيانة ، إذ كل معروض للمنال سهل الحصول سريع الابتذال. والنساء من سلامة صدورهن ـ أو من ضعف قلوبهن ـ لايعلمن مايراد منهن ، ومن العجيب أن يتجرأ المتجرئون على الوقيعة بالحجاب والطعن فيه والتشنيع عليه ويغزوه بألسنتهم وأقلامهم لتمزيقه وهتك ستر من تستتر به ، والله تعالى يقول قولا واضحا صريحا لا يحتمل تأويلا ولا تعليلا (ياأيها النبي قل لأزواجك و بناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدني أن يعرفن فلا يؤذين) فهل أخطأ الله سبحانه وتعالى أم غلط أم أجحف بحق النساء بهذا الامر الذى أمر به رسوله الأعظم صلى الله عليه وسلم وأصاب ذلك الفاسد الفاسق المغلوب على عقله وإدراكه حيث قام يعلن الحرب على الحجاب و يقاومه بما أوتى من جعجعة وسفسطة ، وإنما هو بالحقيقة يقاوم الله ورسوله وشريعته ويحاربهم ، فلينتظر ليري من هو الغالب ومن هو المغلوب . ويقول الله تعالى (وإذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب ذلك أطهر لقلوبكم وقلوبهن) بين الله تعالى أن الحجاب طهارة من الريبة للرجال والنساء ، أما الذين فى قلوبهم مرض من أصحاب الأهواء الضالة والأفكار الزائغة فانهم لا يريدون تلك الطهارة التى أخبر الله تعالى عنها لأن نجاستهم كلبية لا تقبل الطهارة ، ولو غسلت بمياه الأرض كلها . وتصديقا لقول الله تعالى هذا قال سيدنا على رضى الله تعالى عنه : اكففوا أبصارهن بالحجاب ، فان شدة الحجاب خير لهن من الارتياب . ولسنا فى هذا الموضوع متعرضين لتفنيد أقوال القائلات من النساء بعدم لزوم الحجاب لأنه ليس قولهن منهن بل هو صدى قول غيرهن ، والصدى ليس مما يعبأ به ، أو أنه مثل قول الببغاء التى تلقن بعض كلمات تتقولها من غير أن تعى معناها.

نعم إن الله تعالى رخص للنساء المسنات اللاتى دخلن فى سن الاياس ورغبت الرجال عنهن أن لايتقيدن كل التقيد بالتستر والحجاب فقال جل وعلا (والقواعد من النساء اللاتى لا يرجون نكاحا فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة) رخص الله تعالى لهن أن لا يتسترن بشرط أن لا يكن متبرجات بزينه .

فان فى التزين نوعا من الرغبة ولكن قال الله تعالى بعد ذلك (وإن يستعففن خير لهن) أى لأنه أبعد عن التهمة ، وأحفظ للشرف . وقد كان الامام الشافعى المتوفى سنة ٢٠٤ رضى الله تعالى عنه يقول أولا بجواز ذهاب العجائز الى المساجد للصلاة مع الجماعة دون الشابات ، ففي ذات ليلة بينما كان ذاهبا بغلس لصلاة الفجر رأي رجلا هرما يسعى جهده وراء امرأة عجوز ويناديها قفى واعطينى بوشه - يريد قبلة وإنما سقوط أسنانه من فمه خلط بين السين والشين - فرجع سيدنا الامام الشافعى عن قوله بجواز حضور النساء العجائز الجماعات وقال : رحم الله الامام أباحنيفة فما كان أدق نظره. وذلك أن الامام الاعظم أباحنيفة يمنع مطلقا ، وأنشد الامام الشافعى يقول:

لكل ساقطة فى الحى لاقطة … وكل كاسدة يوما لها سوق

قال صديقنا العالم الفاضل الشيخ ابو الفضل محي الدين افندى الملاح حاكم الصلح فى لواء نابلس وهو اليوم أول عشر السبعين من سنى حياته :

إن السفور من النساء وسيلة … لتعارف الفتيان بالفتيات
وبه تباريح الغرام تثور من … وهج الصدور بلاعج الزفرات
حتى إذا تمت مراتبه وما … قد عدها شوقى (١) من الحالات
هجم الفجور على الصيانة والحيا … ورمى العفاف بأسهم الشهوات
مافى الرجال على النساء مؤمن … كم من ثقاة فتكوا ببنات
فتحجبى بنت العفاف ترفعا … عن أعين الفساق فى النظرات
إن الحجاب وقاية الأعراض من … سفه السفور وذلة اللذات
لا تسمعى إفك الكلام بذمه … من كل أفاك كثير هنات

وقال أمين الدين ناصر اللبناني فى ديوانه المسمى صدى الخاطر :

قل لمن بعد حجاب سفرت … أبهذا يأمر الغيد الشرف
أسفور والحيا يحظره … وتقى الله وآداب السلف

---

(١) يريد قول احمد شوقى بك الشاعر المصرى الشهير المتوفي سنة ١٣٥١ من قصيدة

نظرة فابتسامة فسلام … فكلام فموعد فلقاء

ليست المرأة إلا درة　　أيكون الدر إلا فى الصدف

وقال العالم الفاضل الشاعر البارع وطنينا عبد الحميد افندى الرافعى المتوفى آخر سنة ١٣٥٠ رحمه الله تعالى من قصيدة طويلة :

بنت الحجاب ترينهم ظلموك　　والصون أمك والعفاف أبوك
ستروك عن مقل الرجال وليتهم　　حتى عن الجارات لو ستروك
قد لذ عيشك بالعفاف وإنه　　شرف توارث مجده أهلوك
ومن العجائب أن بعض بنيك فى　　هذا الزمان برأيه الموعوك
قد رام كشف الستر عنك سفاهة　　يا بئس مارام الغداة بنوك
قالوا الحجاب ظلام ظلم للنسا　　وتشدقوا بالعلقم المعلوك
راموا بمثلك خطة بل خزية　　من دونها خوض الدم المسفوك
ما شم ريح الدين يوما من يرى　　فضلا على المستور للمهتوك
يدعو النسا لوظائف قد خصها　　برجالها رب بغير شريك
متحككا بعوائد البعداء لم　　يبرح بها متمحنكا يهجوك
ويرى التبرج كالمباح وذاك ما　　يأباه بين العالمين ذووك
والناس أكثرهم عبيد فروجهم　　من مالك منهم ومن مملوك
إن قيل إن الوجه ليس بعورة　　ومرادهم هذا بلا تشكيك
فثقي بأن الوجه أكبر فتنة　　ولو انجلى لملائك وملوك
ومصائب التقليد قد كثرت ومن　　ذا الداء غير الستر ليس يقيك
والدين والناموس يأبى كل ما　　جاءوا به من ذلك التأفيك
ردت رجال الدين زخرف قولهم　　ولو انهم نجحوا إذن فضحوك
إن الحجاب يصون من عين الفتى　　بنت الغنى وزوجة الصعلوك
وترى ابتذال الوجه منه مجففا　　ماء الحياء فويل كل هتوك
بالله يا ذات النقاب تثبتي　　ودعى أقاويل الألى امتهنوك
زعموا بأن تتهذبي فى كشفه　　وتهذبي كذبوا ودين أبيك

إن كان تعليم النسا يتوجل فالجهل عندى موجب التبريك
عز الفتاة هى الصيانة وحدها وكما لها بالستر لا التهتيك
يكفيك بعد الدين أن تتعلمى تدبير منزلك الذى يؤويك
لا الناس فى هذا الزمان كما نرى نلس وليس النهج غير مشوك
ساروا على سنن الألى من قبلهم شبرا فشبرا فالزمى ناديك
وتمسكى بحمى الحجاب على المدى وسلى الاله هداية لبنيك

جزاه الله تعالى عن قوله هذا خيرا ورحمه رحمة واسعة .

فصل فى حكمة وجوب الحجاب وذكر بعض القبائح التى تحدث من السفور ومخالطة الرجال الاجانب

هذا فصل نفيس من فصول الرساله الحميدية لمؤلفها العلامة الجليل الشيخ حسين افندي الجسر الشهير المتوفى سنة ١٣٢٧ رحمه الله تعالى بين فيه حكمة وجوب الحجاب على المرأة وكونه من أشرف نعوتها وليس ظلما لها بل هو صيانة وحفظ لها من الفساق ، وذكر بعض القبائح التي تحدث من خروج المرأة بلا ستر ومخالطتها للرجال الأجانب ، وخطأ من يبيح اتخاذ أماكن للزواني تردها الفساق ، ودحض حجتهم بذلك فقال جزاه الله تعالى عن المسلمين والمسلمات خيرا :

وحيث أن المرأة غير مضطرة للخروج من بيتها (أى بسبب أن زوجها أووليها قائم بما يلزم لها) وهى محل الشهوة ومطمح نظر الرجال فلأجل سد باب الفتنة وكف دواعى الزنا الممقوت شرعا وعقلا أمرتها (أي الشريعة الاسلامية) بالحجاب والستر ، وكان ذلك من أشرف نعوتها وأكرم مفاخرها تتباهى به كلما استكمل فيها الحجاب صيانة لها ومحافظة عليها كالشيء النفيس الذى يضن به على الانظار ، ويحجب بالحجب والأستار ، وليس هو كما يظن بعض الجهلاء أنه لظن السوء بها فان ذلك يقال لو أمرت بكف بصرها عن رؤية الرجال فى كل حال ، وأمرت الرجال بالحجاب عن النساء ، وليس أيضا كما يزعم بعض الأغبياء أن حجابها هو حبس وتضييق عليها وملاشاة لحريتها ، فان المرأة المسلمة تشب على الحجاب من أول

نشأتها ، وتألفه من بادىء فطرتها ، فتجده كاللازم لطبيعتها ، وتعتاده اعتيادا محبوبا مألوفا ، وتعير من يتساهل فيه من النساء وتنسبهن للطيش والوقاحه وقلة الحياء ، على انها تقبله بانه حكم الشريعة الالهية فترجو به الثواب ، ونوال الأجر من الملك الوهاب . فكيف مع جميع ما ذكر يقال إن المرأة فى الشريعة المحمدية مظلومة أو محبوسة !! حاشا لله ما عليها من الحيف أدنى شيء ، إنها فى هذه الشريعة محفوظة مصونة من أنظار الفسقة ، وأميال الفجار ، وألسنة السفهاء ، يغار عليها من مرور النسيم . على أنه لايخلو الأمر من وجود امرأة غير كاملة فى الآداب والتدين فبالحجاب لاترتاب النفوس بأمانتها على نسب ذريتها ، فلا يدخل الشك على زوجها فيعلم أن من تلده هو ولده ، مطمئن القلب لذلك ليس للشيطان عليه سبيل فى الوسوسة التى يتوصل اليها فيما لوكانت المرأة تخرج غير متسترة ، وتخالط الأجانب ، ومع ذلك كله فالشريعة المحمدية قد أجازت للمرأة الخروج لبعض أمور ضرورية من زيارة أرحامها ، وتعلم أحكام دينها إذا لم يعلمها الزوج ، ونحو ذلك . ومع التستر الذى يمنع نظر الفساق ويهيج النفوس المغتلمة للتعرض لها بما يشين العرض والدين ، والذى يحكم به العقل السليم الخالى عن التعصب الدنىء : أن الحجاب للمرأة من أحسن الأحكام ، وأنفع الوسائل لصالح الزوج والمرأة بل لعموم الأمة فانه يقطع مادة الفساد من البلاد . ومن هنا ترى البلاد التى تحتجب نساؤها لايهتم رجال السياسة فيها بتخصيص أماكن للزوانى يردها الفساق ، لأن شهوات فساقها غير مهيجة برؤية النساء ، ولا طامحة لمنازعة أهل العرض فى نسائهم . وأما البلاد التى لاتحجب نساؤها فترى رجال السياسة فيها يرتكبون تخصيص أماكن للزوانى ولا يمنعون الفساق عنهن ، حتى صار والعياذ بالله تعالى الأولاد النغول يقاربون فى العدد أولاد النكاح هناك ، ويحتج أولئك السياسيون لارتكاب هذا الأمر الفظيع بأنه حصن للحرائر ، فلولا خشيتهم وخشية أهل العرض على نسائهم من منازعة الفساق الذين تتهيج شهواتهم برؤية النساء المتبرجات وخوفهم أن يغلبوهم عليهن لما ارتكبوا

ذلك الأمر القبيح ، فياللعار وياللشنار على أولئك السياسيين الذين يسوسون بلادهم ، ويحصنون نساءهم بأعمال البهائم ، فلو أخذوا بحجاب النساء لكان يغنيهم عن ذلك الأمرالممقوت ، فقد ظهرأن خروج المرأة غير متسترة ضررعظيم ، ولو سلم أن الحجاب ضرر عليها لكان عدمه أضر وارتكاب أخف الضررين هو الموافق للمعقول والمنقول ، فما بالك وقد ظهر أنه لا ضرر عليها فى الحجاب كما يحكم به ذووا الالباب اه

فصل اختلاط النساء بالرجال ومافى ذلك من الضرر والوبال

إن الله تعالى اختار لكل دين خلقا ، وجعل خلق الاسلام الحياء ، واختلاط النساء بالرجال مخالف لذلك الحياء ، وسبب للشقاء والبلاء . والتربية مهما كملت لا تقوي على صد تيار الهوى ، وبلية اختلاط النساء بالرجال جاءت من الأجانب الذين يأتون بلاد الاسلام بعاداتهم ، ولم يبق مكان خاليا منهم إلا ماندر . وبعض المسلمين يذهبون لبلادهم ويجاورونهم ويعاشرونهم ويأخذون بعاداتهم لأنها محبوبة للنفوس كى لا يقال عنهم إنهم غير متمدنين والمدنية الغربية التى يتبجح بذكرها المتفرنجون ويظنونها منتهى الكمال قاتلة للفضيلة ، جالبة للرزيلة ، وقد دلت الاحصاآت فى بلاد فرنسا على أن النساء اللاتى يحترفن حرف الفحش بجواز من الحكومة يبلغن أربعين في المئة ، فما بالك بمقدارمن يتعاطينه خفية عن الحكومة ؟! وأن أكثر من ربع المواليد من الزنا ، وانه يقتل كل عام نحو خمسة عشر الف نفس وقت الوضع أو أثناء الحمل خيفة من الفضيحة ، فهذه هي نتائج المدنية الأوربية التى يرغب بها المتفرنجون ويدعون أن الاسلام مانع من الترقى لأنه يمنعها ويمنع أشباهها من كل ما فيه إخلال بالعفة وابتذال للشرف ، بسبب اختلاط النساء بالرجال الذى هو أمر جسيم الخطب ، عظيم الضرر ، وفيه فساد الدين والدنيا والعرض والمال والأخلاق والعقل والنسب ، وتفريق شمل الأهل والعيال ، وحصول الشك والشبهة فى العفة والنسل ، وينشأ عنه الزهد فى الزواج وقلة النسل حيث يجد الواحد من الجنسين مايسد حاجته ويسكن حدته ، فلا ينهض الى التزوج

وتشكيل العائلة وحصول الولد . ويكثر عن الاختلاط بالجنسين الأمراض المعدية والسرف والتبذير والوقائع الجنائيـة ، فلا نامت أعين السفهاء الذين يسعون وراء الجمع بين الرجال والنساء الذى هو أشبه بأفعال القواد والديوثين . وقد ذكرت جريدة المقطم بتاريخ (٩) إبريل (نيسان) سنة ١٩٣٢م و٣ذى الحجة سنة ١٣٥٠ﻫ عن أحوال إيطاليا ان الفرق بين الجنسين لا يزال عظيما فلا تجد شيئا من اختلاط الشبان بالشابات فى جزيرة صقلية سواء أكانت متزوجة أوعزباء ، وأنه لايسمح لشابة أن تخرج وحدها من منزلها ، ولا أن تنفرد برجل ليس من أهلها اه أفلا يجدر بالمسلمين والمسلمات أن يتشبهوا بهؤلاء الأوربيات ماداموا يجرون وراء تتبع سننهم شبرا بشبر، وذراعا بذراع ؟ ومن شأن التابع أن يقلد متبوعه فى كل شىء لا بشىء دون شىء ، فما للمسلمين والمسلمات يقلدون الأوربيين فى سفاسف الأمور ودنيئات الأحوال ، ويعرضون عن تقليدهم فى معالي الأمور وشرائفها ، فهل بلغت بهم الخسة والضعة الى هـذه الدركة السفلى ! ! وقد ذكر المؤرخون أن كاترين زوجة بطرس الأكبر قيصر الروس المتوفى سنة ١٧٢٥م ١١٣٨ﻫ شكت كسل رعيتها وماهم عليـه من العطلة والبطالة والقعود عن السعي والعمل ، فأرشدت الى حمل النساء على الاختلاط بالرجال والتهتك والخلاعة معهم ، ففعلت ذلك فتعلق الشبان بهن ونهضوا للعمل ليقدروا على القيام بما تقتضيه معاشرة أولئك المتهتكات فتضاعفت واردات خزانة الحكومة فى بضع سنوات ، ورجال جمعية الاتحاد والترقى الذين كانوا قابضين على زمام أمور الحكومة العثمانية اتبعوا خطوات كاترين فبعثوا من سلانيك وغيرها كثيرا من النساء الدونمة وبثوهن فى أنحاء بلاد السلطنة العثمانية فوجدن رواجا وقبولا من السفلة الذين كان يحجزهم عن سفاهتهم شرف الحكم العثمانى قبل استيلاء الاتحاديين فاتسع نطاق الخلاعة والسفاهة فى البلاد التى انتشر فيها الدونمة ، حتى كانت عاقبة الدولتين الروسـية والتركية الخسر والوبال ، والنكال والزوال ، وهـذا جزاء كل من بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار . والدونمة هم اليهود في سلانيك وغيرها من بلاد الروم ايلى كان محجورا

عليهم من لدن السلطان عبد الحميد أن يخرجوا من بلادهم ويأتوا استانبول إلا بشروط شديدة ، فاحتالوا وتظاهروا بالاسلام ليتمكنوا من السفر حيث يريدون ، فأسلموا رسميا ولكنهم بقوا على ما كانوا عليه من الأحوال التى نشئوا عليها وتسموا بالدونمة أى المهتدون وكان لهم نفوذ واسع فى أيام الاتحاديين بعد إعلان الحرية فى البلاد العثمانية سنة ١٩٠٨ م ١٣٢٧ ﻫ وكان بسبب تدخلهم فى الحكم وأمور الدولة ما كان من السياسة الخرقاء ، والفكرة العوجاء ، حتى زالت الدولة العثمانية وقامت على أنقاضها الجمهورية التركية بعد تلك الحرب العامة التى حصلت. وقد بلغ من توسع السفلة فى سفاهتهم أن كثرت السرقات ، وتنوعت الجنايات وامتلأت السجون بالمسجونين ، وما منهم إلا كل سارق أوجان أو محتال فى سبيل الحصول على المال ليصرفه على فلانة التى عرفها ، أو فلانة التى تعرف بها ليقضى أربه منها ، حتى أن الواحد منهم كان يسرق حلى أمه أو أخته أوزوجته أو ماتصل اليه يده من غير أولئك بل زاد ببعضهم الأمر فقتل أمه أو ضرب أباه لمنعهما له مما يريد منهما ، وقلت الرغبة بالزواج ، ونقص عدد النفوس ، وكثرت الأمراض وانتشرت عدوى الزهرى بين الرجال والنساء الى غير ذلك من المفاسد والمضار التى نشأت عن اختلاط النساء بالرجال . وهذه أحاديث نبوية فى التحذير من الاختلاط بالنساء قال رسول الله ﷺ « باعدوا بين أنفاس الرجال والنساء فانه إذا كانت المعاينة واللقاء كان الداء الذى لادواء له » . وقال فى حديث آخر « إياكم والدخول على النساء » قيل يا رسول الله أفرأيت الحمو ؟ قال « الحمو الموت » - رواه البخارى ومسلم واحمد والترمذى عن عقبة بن عامر - وقال في حديث آخر « إياك والخلوة بالنساء ، والذى نفسى بيده ما خلا رجل بامرأة إلا دخل الشيطان بينهما ، ولأن يزحم رجل خنزيرا متلطخا بطين وحمأة خير له من أن يزحم منكبه امرأة لا تحل له » - رواه الطبرانى - . وقال فى حديث آخر « ألا لا يخلون رجل بامرأة إلا مع ذى رحم محرم » . وقال فى حديث آخر « لأن يطعن فى رأس أحدكم بمخيط من يديه خير له من أن يمس امرأة لا تحل له » - رواه الطبراني عن معقل بن

يسار - وقال فى حديث آخر «اذا استقبلتك المرأتان فلا تمر بينهما، خذ يمنة أو يسرة» - رواه البيهقى عن عبد الله بن عمر بن الخطاب - وقال فى حديث آخر «إياكم ومحادثة النساء فانه لايخلو رجل بامرأة ليس لها محرم إلا هم بها» - رواه الحكيم الترمذى عن سعد بن مسعود - . وقال فى حديث آخر «ليس للنساء سلام ولا عليهن سلام» - رواه أبو نعيم فى الحلية عن عطاء الخراسانى مرسلا - وعن عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما أن رسول الله ﷺ «نهى أن يمشى الرجل بين المرأتين» - رواه أبو داود والحاكم - . وقال الحسن السبط بن على رضى الله تعالى عنهما : لاتدعوا نساءكم يزاحمن العلوج فى الأسواق قبح الله من لايغار. العلوج جمع علج وهو الكافر مطلقا، وأراد به مطلق الفاسد الأخلاق أيا كان . وقال سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه : لايخلون رجل بمغيبة فان النساء لحم على وضم أى لايخلو رجل بامرأة غاب عنها زوجها فانها كاللحم الناض الحاضر يسهل تناوله، وليس قوله بمغيبة قيدا أو شرطا لما فى الأحاديث الشريفة من النهى عن الخلوة بالمرأة مطلقا، وإنما أراد أن المرأة الغائب عنها زوجها ألين وأسهل على من يريدها ممن زوجها حاضر. ورأى قوما يتناضلون أى يترامون بالسهام قريبا من البيوت فقال : انتسئوا أى ابتعدوا عن البيوت فان للرجال كلاما لا يصلح أن يسمعه النساء . وقال سيدنا عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه : من أراد أن يكرم دينه فلا يخلون بالنساء * وذكر الجاحظ المتوفي سنة ٢٥٥ فى كتابه المحاسن والأضداد أنه قيل لهند بنت الخس الايادية وكانت من حكيمات العرب : لم زنيت بعبدك ولم تزنى بحر؟ فقالت : طول السواد (بضم السين) وقرب الوساد . تعنى قرب مضجعه منها وطول محادثته لها . وقال بعض الحكماء : امش خلف الأسد والأسود (الحية) ولا تمشى خلف المرأة - أى لاتتبعها - وقال بعض الشعراء :

لايأمنن على النساء اخ أخا ما فى الرجال على النساء أمين

وقال أبو العلاء المعرى المتوفى سنة ٤٤٩ فى لزومياته :

إذا بلغ الوليد لديك عشرا فلا يدخل على الحرم الوليد
وإن خالفتنى وأضعت نصحى فأنت وإن رزقت حجى بليد
ألا إن النساء حبال غي بهن يضيع الشرف التليد

فصل فى التبرج والترجل

التبرج إظهار المرأة زينتها للأجانب عنها ، والترجل تشبه المرأة بالرجل فيما هو خاص به ، وهما مذمومان منهى عنهما فى الشرع الشريف الاسلامى ، منفور منهما عند كل ذى عقل سليم ولا يأنس بهما ولا يميل إليهما إلا كل ساقط الهمة ، سافل الطبع ، بهيمى العادة ، وقد نهى الله تعالى النساء عن التبرج فقال (ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى) قال المرحوم محمود شكرى الألوسى المتوفى سنة ١٣٤٢ فى كتابه بلوغ الأرب: كانت المرأة تلبس الدرع المزين باللؤلؤ غير مخيط الجانبين ، وتلبس الثياب الرقاق التى لا توارى بدنها ، وتمشى وسط الطريق تعرض نفسها على الرجال . وكانت النساء تظهر ما يقبح إظهاره حتى إن المرأة كانت تجلس مع زوجها وصاحبها فينفرد أحدهما بالاستمتاع بما فوق الازار والآخر بما دونه اه وقد لعن رسول الله ﷺ المترجلات والمخنثين . وفى كتب الفقه لايجوز دخول المرأة المترجلة على النساء لاسيما فى الحمامات، لانها كالرجل الأجنبي بسبب مخالطتها للرجال فتصف لهم ما تراه من النساء فيحصل من وصفها ما لاخير فيه . وهذه أحاديث نبوية فى النهى عن التبرج وتوعد فاعلاته ولعن المترجلات من النساء والمخنثين من الرجال

قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : « صنفان من أهل النار لم أرهما قط ، قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات رؤسهن كأسنمة البخت لايدخلان الجنة ولايرحن ريحها وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا » ـ رواه الامام احمد ومسلم عن أبى هريرة ـ أراد رسول الله ﷺ بالقوم الذين معهم سياط الشرطة أى رجال البوليس الذين يمرون فى الأسواق فيضربون بعض الباعة فيها أو بعض المارة بحجة أنهم يصدونهم عن الاخلال بالطريق ، والبخت الابل العجمية . وقال فى حديث آخر « لعن الله القاشرة والمقشورة » ـ رواه الامام احمد عن عائشة ـ قال ابن الأثير الجزرى المتوفى سنة ٦٠٦ فى كتابه النهاية : القاشرة التى تعالج وجهها أو وجه غيرها بالغمرة

ليصفو لونها ، والمقشورة التى يفعل بها ذلك كأنها تقشر أعلى الجلد . قال الكمال أحسن الله تعالى اليه : والنساء اليوم يستعملن العقيدة وهو السكر المعقود يضعنه على وجوههن ، وعلى منابت الشعر من أجسامهن ليزلن مافيه من شعر أو وبر ، وليس هذا داخلا تحت حديث اللعن بل هو أمر حسن لما فيه من النظافة والنعومة الموجبة لازدياد رغبة الزوج بها . وقال فى حديث آخر « لعن الله الواصلة والمستوصلة ، والواشمة والمستوشمة ، والنامصة والمتنمصة ، والمتفلجة للحسن المغيرة خلق الله » ـ رواه البخارى ومسلم واحمد بن حنبل عن عبد الله بن مسعود ـ قال في النهاية : الواصلة التي تصل شعرها بشعر آخر زورا ، والمستوصلة التى تأمر من يفعل بها ذلك لتغش من يراها فيظن أنها ذات شعر طويل فيرغب بها حيث كان الشعر الطويل مرغوبا به ، وأما اليوم فقد أخذ النساء المسلمات يتشبهن بالافرنجيات فى قص شعورهن حتي إنه تخصص لذلك حلاقون يقصون للنساء شعورهن فيصبحن بلا شعور ولاشعور ، وقد كان الشعر الطويل من أول الزينة والجمال فى المرأة فحرمت منه بسبب الموضة واتباع الافرنجيات في حالة أن كثيرا من النساء الذميات لايزان محافظات على شعورهن يربينها ويباهين بطولها ، أفلا يجدر بالمرأة المسلمة أن تتشبه على الأقل ببنت وطنها من غير دينها فتحافظ على شعرها كما حافظت هى عليه ؟ ولكن يا للأسف ماأسرع تردى المسلمين والمسلمات فى مهاوى التقليد الأعمى للأفرنجيات من غير تعقل ولاتبصر ولا إعمال روية ، والواشمة هى التى تغرز الجلد بابرة ثم تحشوه بكحل أو نيل فيزرق أثره أو يخضر ، والمستوشمة المفعول فيها الوشم وهو فى النساء القرويات أكثر منه فى المدنيات لاسيما في مصر ، والنامصة التى تنتف الشعر من وجهها والمتنصمة التى يفعل بها ذلك ، والمتفلجة التي تفرق بين أسنانها الثنايا والرباعيات رغبة فى التحسين ، والمغيرة لخلق الله هى التى تضع على وجهها الاصباغ من بياض وحمرة وخطوط لتخفى لونها الطبيعى فيظن الرائى له أنها حسنة اللون فيرغب بها . وقال فى حديث آخر « كل عين زانية والمرأة اذا استعطرت فمرت بالمجلس فهى زانية » ـ رواه الامام احمد والترمذى عن أبي موسى

الأشعرى - وقال فى حديث آخر « إذا تطيبت المرأة لغير زوجها فانما هو نار وشنار » - رواه الطبرانى عن أنس - الشنار العيب الذى فيه عار. وقال فى حديث آخر « أيما امرأة وضعت ثيابها فى غير بيت زوجها فقد هتكت ستر ما بينها وبين الله عز وجل » - رواه الامام احمد بن حنبل وابن ماجه والحاكم عن عائشة - وضع ثيابها فى غير بيت زوجها كناية عن تزينها فى خارجه كما يكون فى الأعراس والأفراح . وقد اعتاد النساء فى هذا الزمان تبعا للفاجرات والمومسات أن لايلبسن السراويل (اللباسات) أو إنهن يلبسنها صغيرة قصيرة ضيقة كأنها رقعة على خرق لا يستر من عورتهن الغليظة إلا ماهو قدر أصابع معدودة وتبقى أفخاذهن بادية عارية من أصولها إلى نهاية أرجلهن ومن الغريب ان الرجال أخذوا يتشبهون بالنساء بقصر سراويلهن (لباساتهن) وأكثر مايظهر هذا فى لابسى القفاطين والجلاليب فى مصر فان الهواء يكشف قفاطينهم فتظهر لباساتهم الى ما فوق ركبهم وهو شيء ممنوع شرعا ومنفور منه طبعا ، وقد دعا رسول الله ﷺ للنساء المتسرولات لو انهن يقبلن بركة دعائه عليه الصلاة والسلام فقال « رحم الله المتسرولات من النساء » - رواه الدارقطني والحاكم والبيهقي والخطيب والعقيلى عن مجاهد بلاغا - قال أبو الحجاج يوسف بن محمد البلوى المتوفى سنة ٦٠٥ فى كتابه الف باء : والنساء في زماننا متبرجات متفلجات محتفلات غير تفلات تشاهد إحداهن الأعراس والحمامات ، وتساعد جارتها فى مأتم حميمها اذا مات ، لا تقعد عن ترح ولا تبعد عن فرح ، واما فى الاعياد فالكلام فيه مزداد لاحس عند الزوج ولا غيره ، ولا خشية أن ترى فى طريقها غيره فتعلقه وتهواه فتقع فى مهواه ، وأن تبغض الأول وتفركه وتنهض الى الآخر فلا تتركه اه قال الكمال أحسن الله تعالى اليه : هذا ما حكاه عن النساء فى زمانه وهو القرن السادس حيث الاسلام غض طرى متين قوى لم يدنس بدنس تدخل الافرنج فى بلاده ، ولا أحد من أهله يذهب الى ديار الكفر فماذا يقول لو رأى نساء زماننا ونحن فى القرن الرابع عشر الهجري، أى بعده بثمانية قرون تقريبا ، فان النساء فوق ما ذكر عنهن فى زمنه يحضرن مسارح

اللهو ، و بيوت الفسق ، وبؤر الخلاعة ، ويشربن الخمر ، ويرقصن مع الرجال ويلبسن لباس الافرنج ، ويسافرن بلا زوج ولا محرم من أدنى البلاد الى أقصاها ويشتركن مع الرجال بالبعثات العلمية أو الفنية الى أوروبا وأميركا ، ويبتن ويقمن معهم ، ويحضرن الدروس جنبا الى جنب ، ولم يبق فى النساء شيء من أنوثتهم إلا استعملته فى مشاركة الرجال إلاما لا بد لهن من استعماله . فهذا باق على ماهو عليه وهو كونها أنثى خلقة اذليس بمقدورها أن تكون ذكرا ، ولو قدرت عليه لما تأخرت عنه . وآباؤهن وأولياء أمورهن يرون أحوالهن وأفعالهن فيسكتون عليها بل يساعدونهن على أهوائهن ، ويفتخرون اذا برعن فى الخلاعة ، ويتقبلون تهانى المهنئين لهم إذا برعت لأحدهم بنت بدق العود ، أو العزف على البيانو ، أو اذا مهرت فى الرقص ، ويقيمون الحفلات الراقصة لذلك وهم يدعون أنهم مسلمون بل مصلحون ، ألا إنهم هم المفسدون ولكن لايشعرون . قال الجاحظ المتوفى سنة ٢٥٥ : روى أنه اذا أغير الرجل فى أهله فلم يغر بعث الله اليه طيرا يقال له القرقفنة حتى يسقط على عارضة بابه ثم يمهله أربعين صباحا يهتف به إن الله غيور يحب كل غيور ، فان هو تغير وأنكر ذلك وإلا طار حتى يسقط على رأسه فيخفق بجناحيه على عينيه ثم يطير عنه فينزع الله منه روح الايمان وتسميه الملائكة الديوث اه وأما ماورد من الأحاديث فى لعن المترجلات والمخنثين فهذا بعضها، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليس منا من تشبه بالرجال من النساء ولا من تشبه بالنساء من الرجال » ـ رواه الامام احمد عن عبد الله بن عمرو ـ وقال فى حديث آخر «لعن الله المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال » ـ رواه الامام احمد وأبوداود والترمذى وابن ماجه عن عبد الله بن عباس ـ وعنه أيضا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن المخنثين من الرجال والمترجلات من النساء وقال « أخرجوهم من بيوتكم » ـ رواه البخارى فى الأدب المفرد والترمذي ـ وقال فى حديث آخر « لعن الله الرجلة من النساء » ـ رواه ابوداود عن عائشة ـ وقال فى حديث آخر « ثلاثة لايدخلون الجنة ، العاق لوالديه، والديوث ، ورجلة النساء» ـ رواه الحاكم والبيهقى

عن عبد الله بن عمر بن الخطاب ـ وقال فى حديث آخر « أربعة لعنوا فى السماء رجل خلقه الله ذكرا فتأنث ، وامرأة خلقها الله أنثى فتذكرت تتشبه بالرجال والذى يضل الاعمى ، ورجل حصور ولم يجعل الله حصورا إلا يحيى بن زكريا عليه السلام » (الحصور الذى لم يتزوج مع القدرة على الزواج)

باب ٢١

فى بيان أن غاية أمر المرأة الزواج وأن هناءها بما يكون منها من نتاج

وذلك أنها مهما مكثت فى بيت أبيها أو وليها فانها تعد نفسها ضيفا فيه ، وأنها ستنقل الى بيتها الحقيقى وهو بيت زوجها ولو كان دون بيت أبيها ، ولو كان زوجها أيضاً دون أبيها حالا ومالا ، فهى تنتظر ذلك اليوم السعيد الذى تعلن فيه خطبتها وتحصل فيه زوجيتها ، لعلمها أن هناءها وسعادتها منوطان بالزواج والزوج ، فهى تستعد له منذ ماتفتح عينيها وتعقل . ومايرى من تبرج النساء وتزينهن ، وغشيانهن المجتمعات ، وذهابهن الى محل اللهو والنزه والمسارح ، فهو محمول بحسن الظن على أن القصد منه الحصول على زوج حيث ترى الرجال ويرونها ، فعسى أن يحصل لها نصيب من ابن حلال يراها فيستحسنها فيطلبها من أهلها فيجاب الى طلبه نظراً لما فى الشريعة الاسلامية من وجوب التستر ولزوم البيوت ، وبسببهما يخفين على الناس ولا يعلمن فيبقين فى بيوتهن الى ماشاء الله تعالى . ومهما كانت المرأة غانية فى جمالها مستغنية بمالها ، معتزة بأهلها ؛ فهى محتاجة الى رجل يقوم عليها بما يلزم لها أكثر من احتياج الرجل اليها . قال بزرجمهر (بضم الباء والزاء وفتح الهاء وكسر الميم وسكون الراء ين والجيم) وزير كسري (خسرو) نوشيروان المتوفى قبل الاسلام أوفر مايكون من الدواب لابد له من سوط أو عصا ، وأعقل ما يكون من النساء لاغنى لها عن الزوج ، وأعقل مايكون من الرجال لاغنى له عن مشورة ذى عقل .
وقال الكمال أحسن الله تعالى اليه :

لابد للمرأة الحسناء من رجل مهما اغتنت واكتفت فى حسنها الذاتي

فانه هو مرآة لصورتها ولا ترى نفسها إلا بمرآة

وقد جاءت أحاديث كثيرة فى الحث على تزويج البنت متى جاءها الطالب الكفء والنهى عن عضل النساء - أى منعهن من الزواج - لأسباب وغايات كحديث « إذا جاءكم الأكفاء فأنكحوهن ولا تربصوا بهن الحدثان ». رواه الديلمى عن عبد الله ابن عمر بن الخطاب - وحديث « إذا أتاكم من ترضون دينه وأمانته فزوجوه إلا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض وفساد عريض » - رواه الترمذى وابن ماجه والحاكم عن أبى هريرة - وحديث « مكتوب فى التوراة من بلغت له ابنة اثنتى عشرة سنة فلم يزوجها فأصابت إثما فاثم ذلك عليه » - رواه البيهقى عن عمر وأنس - وحديث « زوجوا أبناءكم وبناتكم وحلوهن بالذهب والفضة وأجيدوا لهن الكسوة وأحسنوا إليهن بالنحلة ليرغب فيهن » - رواه الديلمى عن عبد الله بن عمر - ويجب على أبى البنت أو وليها أن يراعى خصال الزوج ، وينظر لكريمته فلا يزوجها ممن ساء خلقه ، أو ضعف دينه ، أو قصر عن القيام بحقوق الزوجية ، أو لم يكن كفؤا لها فى نسبها ، ففى الحديث عن عائشة رضى الله تعالى عنها « النكاح رق فلينظر أحدكم أين يضع كريمته » فان زوج ابنته لظالم أو فاسق أو مبتدع أو شارب خمر فقد جنى على دينه ، وتعرض لسخط الله تعالى لما قطعه من حق الرحم بسبب سوء الاختيار . وقال رجل لسيدنا الحسن السبط بن سيدنا على رضى الله تعالى عنهما : إن لى بنتا فمن ترى أن أزوجها له ؟ قال : زوجها ممن يتقى الله ، فانه إن أحبها أكرمها ، وإن أبغضها لم يظلمها اه والزواج من ضروريات النساء مهما أظهرن التمنع عنه ، حتى أن كتب الأدب مملوءة بحكايات رغبتهن به ، فقد ذكر الفيروز آبادى المتوفى سنة ٨١٧ فى مادة القناف من القاموس أنه كان لهمام بن مرة التغلبى ثلاث بنات فأبى أن يزوجهن ، فلما عنسن قالت إحداهن وأسمعته متجاهلة أنه يسمعها

أهمام بن مرة إن همى لفى اللائى يكن مع الرجال

فأعطاها سيفا وقال هذا يكون مع الرجال ، فقالت الأخرى ماصنعت شيئا ولكنى أقول :

أهمام بن مرة إن همي لفى قنفاء مشرفة القذال

فقال وما قنفاء ؟ تريدين معزى ؟ فقالت الصغرى ماصنعتما شيئا ولكني أقول : (وصرحت بأنها تريد زوجا ولا يمكن نقل ماقالته وإن ذكره صاحب القاموس) فقال : أخزاكن الله ، وزوجهن . وكتب الأدب كالمستطرف للأبشيهى المتوفي سنة ٨٥٢ وغيره تذكر هذه الحكاية بصورة أنهن قعدن معه للشرب ، فلما أخذتهن نشوة السكر تكلمت كل واحدة منهن بما في ضميرها كما سبق ، وهو الأقرب للوقوع لأن الخمر تخامر العقل أي تغطيه فيتكلم كل ثمل بما فى نفسه حقيقة من غير كناية ولا إيماء ، على أنه قد يشير أو يرمز الى ما يريده من ليس بسكران أيضا كما قالت قسمونة بنت إسماعيل الأندلسية وقد بلغت سن الزواج فلم يجئها طالب :

أرى روضة قد حان منها قطافها ولست أرى الجانى يمد لها يدا
فوا أسفي يمضى الشباب مضيعا ويبقى الذى ماإن أسميه مفردا

وكم مثلها من آنسة أمست لعدم الرغبة بها عانسة لا لعلة فيها بل لقسمتها وطالعها . فكم من درة فى مزابل ، و بعرة في محافل ، فليس الأمر بالجمال ، ولا بنعومة الحال ، بل ذلك بالقسمة والنصيب ، وهو أمر عجيب . فاذا تزوجت البنت وقضت مع زوجها شهر العسل أخذت تتوقع الحبل ، وكلما تأخر زمان حبلها كثر اشتغال بالها ، فأخذت تبحث عن الوسائل التى تسرع فى حملها ، مستعينة بمعرفة صاحباتها وأهلها ، لعلمها أن هناءها وسعادتها لايحصلان إلا اذا رأت ولدها فى حجرها ، فاذا حصلت عليه أخذت ترغب فى الثانى ، وهكذا حتى تصبح أم أولاد بنين و بنات ، وكلما زاد ولدها قوي ظهرها وزاد تأثيرها على زوجها ، إذ تأثيرها عليه بالأولاد أقوى من تأثيرها عليه بالجمال أو المال ، فانها تملكه بأولادها أكثر مما تملكه بغيرهم ، فان زوجة بلا أولاد كعالم بلا شمس ، وحصير بائر خير من زوجة عاقر ، وفى الحديث «سوداء (وفى رواية) سوداء ولود خير من حسناء عقيم» وسئل نابليون عاهل الفرنسيس المتوفى سنة ١٢٣٧ هـ ١١٨٣ م أي النساء أعظم بنظرك ؟ فقال: أكثرهن أولاداً . وفي الأمثال: كثرة الأولاد زينة الوالدات ولا فرق بين أن يكون الأولاد بنين أو بنات ، وإن كانت رغبة الآباء بالبنين ورغبة الأمهات بالبنات ، فالكل نعمة من الله للوالدين ، وشرح صدر وقرة

عين . وفى القرآن الكريم (ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنالهم أزواجاوذرية)
وفيه أيضا (المال والبنون زينة الحياة الدنيا) وفى الأحاديث الشريفة مايدل على عظم
فائدة الأولاد كحديث « الولد من ريحان الجنة » وحديث « الولد ثمرة القلب »
وحديث « ماولد فى أهل بيت غلام إلا أصبح فيهم عز لم يكن » وفى مادة النطاق من
القاموس قال سيدنا على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه : من يطل هن أبيه
ينتطق به ، أى من كثر بنو أبيه تقوى بهم . وفى الأمثال الحكمية : بقاء الاسم في
البرية ، بتخليف الذرية ، والوسيلة الموصلة الى حصول النتاج هو الزواج ، فلنتكلم عليه
مبينين الأقوال فيه ما بين مرغب ومنفر ، وميسر ومعسر .

باب ٢٢

فى التزوج والعزوبة ، وما فيهما من مرارة وعذوبة

اتفقت الأمم كلها على أنه لابد من تكثير أفراد العالم لعمارة الكون ، وإدامة
الحياة ، واستكمال أسباب المعيشة ، بل اتفقوا على وجوب تكثير أفراد جميع
المخلوقات من حيوانات وطيور وحشرات ، لأن فى كل شىء مزية حتى فى الحية
والله تعالى لم يخلق شيئا عبثا ، وقد جعل الله فى كثير من الضعفاء تسلطا على كثير
من الأقوياء ، كالديك مثلا فانه على ضعفه وتسلط البشر و بعض الحيوان عليه جعله
الله موضع الخوف والمهابة من النمر على كبره وعتوه وغطرسته ، حتى إنه ليضرب به
المثل فى عزته ومنعته فيقال أحمى من إست النمر ، ولكنه إذا رأى الديك خاف منه
وولى هاربا ، ولذلك تصطحبه القوافل فى الفيافى والقفار التي يكون فيها النمورة - ولكنهم
أى الأمم - اختلفوا فى صفة الاكثار من عدد المخلوقات مع علمهم بأنه لا يكون
إلا باتصال الذكر بالأنثي والأنثى بالذكر ، والشرع الاسلامى جعله بايجاب وقبول
من المتعاقدين أصالة أو وكالة بلفظ الماضى : كزوجتك نفسى أو موكلتى ، وقول
الزوج أو وكيله : قبلت منك تزويجك لى أو لموكلى ، أو تزويجك موكلتك لى أو
لموكلى ، مع رعاية الكفاءة وعدم وجود المانع الشرعى بأن تكون ذات رحم

قريبة منه لا يحل له التزوج بها ، أو الطبيعي بأن يكون فيها موانع تمنع من حصول الزوجية أو المانع النظامي كان تكون دون السن التي رخصت به الحكومة المحلية مع العلم بأن كل مانع غير شرعي لا يمنع من صحة العقد ؛ وإنما المحاكم لا تقره ولا تعتبره امتثالا لأمر الحكومة . وهذا التعاقد بين الطرفين بالايجاب والقبول بالصيغة الماضية أو مضى إحداهما يسمي بعرف الشرع نكاحا وتثبت به الزوجية وتجب فيه مبادلة الحقوق بين الزوجين ، كما قال الله تعالى (ولهن مثل الذى عليهن) وما كان على غير وجهه الشرعى فهو سفاح محرم توعد الله عليه بالنكال فى الدنيا والعذاب فى الآخرة ، والنكاح سنة ماضية وخلق من أخلاق الأنبياء معين على الدين ومهين للشياطين ، وحصن من الفحشاء ، وسبب لتكثير النسل ، وكاسر لحد الشهوة ، ومعين على تدبير أمور المنزل ، ومكثر للعشيرة ؛ ومسبب لجهاد النفس بالقيام على نفقة الأهل والعيال وفى ذلك الثواب ، والقصد منه بقاء نسل العالم الى آخر أيامه المقررة له عند الله تعالى . والشهوة باعثة له ، وفى حصول الولد قربة من أربعة أوجه ؛ موافقة محبة الله بالسعى وراء حصوله لبقاء الجنس الانسانى ، وطلب محبة رسول الله ﷺ فى تكثير من يباهى به يوم القيامة ، ففى الحديث الشريف «تناكحوا تكثروا فانى أباهي بكم الأمم يوم القيامة حتى بالسقط» ـ رواه عبد الرزاق عن سعيد بن أبي هلال مرسلا ـ وطلب التبرك بدعاء الولد الصالح لأبيه بعد وفاته ، ففي الحديث الشريف «إذا مات الانسان انقطع عمله إلا من ثلاث ؛ صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له» ـ رواه البخاري فى الأدب المفرد ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى ـ وطلب الشفاعة بموت الولد الصغير قبل والديه ، ففى الحديث الشريف عن أبى هريرة «إن الطفل يجر بأبويه الى الجنه» وفى حديث آخر إن المولود يقال له ادخل الجنة فيقف على باب الجنة فيظل محبنطئا ويقول لا أدخل إلا وأبوايا معى ، فيقال ادخلوا أبواه معه فى الجنة» ـ محبنطئا ممتلئا غيظا وغضبا ـ وقد مدح الله تعالى التزوج والمتزوجين فقال فى وصف الرسل عليهم الصلاة والسلام (ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية) ومدح عباده الصالحين بسؤال الأزواج والذرية فى الدعاء فقال عنهم فى القرآن الكريم (والذين يقولون ربنا هب لنا من أزاجنا وذرياتنا قرة

أعين) وقال سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه : لا يمنع من النكاح إلا عجز أو فجور . وقال سيدنا عبد الله بن عباس رضى الله تعالي عنهما : لا يتم نسك الناسك حتي يتزوج. وكان سيدنا عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه يقول : لو لم يبق من عمرى إلا عشرة أيام لأحببت أن أتزوج لكى لا ألقى الله عزبا . وماتت امرأتان لسيدنا معاذ بن جبل رضى الله تعالى عنه فى الطاعون ، وطعن هو أيضا بعد موتهما فقال : زوجوني فاني أكره أن ألقي الله عزبا. وكان سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه يكثر النكاح ويقول : ما أتزوج إلا لأجل الولد . وتزوج الامام احمد بن حنبل رضى الله تعالى عنه فى اليوم الثانى من وفاة زوجته أم ولده عبد الله وقال : أكره أن أبيت عزبا .وفى الحديث الشريف « شراركم عزابكم » ـ رواه أبو يعلى والطبرانى وابن عدى عن أبي هريرة ـ وفى رواية « أراذل الموتي عزاب البشر» .

ومن فضيلة النكاح أن المتزوج يسعى فى طلب الرزق لنفسه ولغيره ، والنفع المتعدى أكثر ثوابا من النفع القاصر. وفى الآثار :إن فضل المتأهل على العزب كفضل المجاهد على القاعد ، وإن ركعة من متأهل أفضل من سبعين ركعة من عزب . والتزوج عبادة وقربة لما فيه من الاحصان عن الوقوع فى المحرمات ، وكف الفرج والعين عن الوقوع فيما لا يجوز ، ولما فيه من النفقة على العيال . وينبغى لمن يتزوج أن يقصد بتزوجه النسل وتكثير عدد أمة النبي محمد صلى الله عليه وسلم والقيام بما يتولاه النساء من تدبير أمور المنزل لا أن يقصد به مجرد الاستمتاع وقضاء الشهوة فقط فانه مذموم لما فيه من التشبه بالحيوانات ، إلا أن يفعل ذلك لكسر حدة شهوته، وتسكين ثائر غلمته ، حتى لا تطمح نفسه للوقوع بريبة . ومع هذه الفوائد والمنافع الحاصلة فى الزواج للمتزوجين والترغيب الوارد فيه فقد كره التزوج وما يترتب عليه من حصول الأولاد ، واستدل على كراهيته بآيات وأحاديث وأقوال علمية وحكمية وشعرية قال الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم) وقوله تعالى (إنما أموالكم وأولادكم فتنة) وقد أثنى الله تعالى على نفسه فى القرآن الكريم بكونه لم يتخذ زوجة ولا ولدا فقال تعالى (وقل الحمد لله الذى لم

يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك) وقوله تعالى(وأنه تعالى جد ربنا ماتخذ صاحبة ولا ولدا) الصاحبة هى الزوجة وقوله تعالى (قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد) وفى الحديث الشريف « خير الناس بعد المئتين الخفيف الحاذ » وفسره بقوله « الذى لا أهل له ولا ولد » وفى حديث آخر « يأتى على الناس زمان يكون هلاك الرجل فيه على يد زوجته ، وأبويه ، وولده يعيرونه بالفقر ، ويكلفونه مالايطيق ، فيدخل المداخل التي يذهب فيها دينه فيهلك » وفى حديث آخر « ليس عدوك الذى إذا قتلك أدخلك الجنة ، وإذا قتلته كان لك نورا ، ولكن عدوك نفسك التى بين جنبيك ، وامرأتك التى تضاجعك على فراشك ، وولدك الذى من صلبك، فهؤلاء أعدى عدو هو لك » ـ رواه الديلمى عن أبى مالك الأشعرى ـ وفى حديث آخر « قلة العيال أحد اليسارين ، وكثرتهم أحد الفقرين » وقال أبو سليمان الداراني المتوفى سنة ٢١٥ ـ وهو من الصوفية ـ : الصبر عن النساء خير من الصبر عليهن. وقال أيضا : الوحيد يجد حلاوة العمل ، وفراغ القلب ، مالا يجد المتأهل . وقال أيضا : ثلاث من طلبهن فقد ركن الى الدنيا ، من طلب معاشا أو تزوج امرأة ، أو كتب الحديث . وقال الحسن البصرى المتوفى سنة ١١٠ : إذا أراد الله بعبد خيراً لم يشغله بأهل ولا مال . وقيل لبشر الحافى المتوفى سنة ٢٢٧ ـ وهو من الصوفية ـ إن الناس يتكلمون فيك لتركك النكاح ، يقولون هو تارك للسنة ؟ فقال : قولوا لهم هو مشغول بالفرض عن السنة . وعوتب مرة أخرى على ترك النكاح فقال : ما يمنعنى من التزوج إلا قوله تعالى (ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف) وامتنع كثير من الصالحين من التزوج اقتداء بابنى الخالة يحي بن زكريا ، وعيسى ابن مريم عليهما الصلاة والسلام . ويقول الكارهون للنكاح أيضا : إن التخلى لعبادة الله تعالى أفضل من التزوج ، لما فيه من التخلى عن الشواغل ، والاتجاه لعبادة الله تعالى ، لاسيما أن الكسب الحلال متعذر فى هذا الزمان ، وأخلاق النساء ليست مرضية فى الغالب ، فيخشى على المتزوج أن يقع فى الاثم بسبب زواجه ، إلا اذا خاف الفتنة على نفسه لما يجد فيها من التوقان الى ملامسة النساء فانه حينئذ يكون

واجبا عليه أن يتزوج . وقال بعض الصالحين : ضاع العلم بين أفخاذ النساء . وقال الفيلسوف جيجه رون : لا تجتمع الحكمة والمرأة . وقال خالد بن صفوان : لا تتزوج واحدة فتحيض أنت اذا حاضت ، وتنفس اذا نفست ، وتمرض اذا مرضت ، ولا تتزوج اثنتين فتقع بين جمرتين ، ولا تتزوج ثلاثا فتقع بين الأثافى ، ولا تتزوج أربعا فيحقرنك ويهرمنك ويفلسنك . فقيل له حرمت ما أحل الله ؟ فقال : طمران ، وكوزان ، ورغيفان ، وعبادة الرحمن . وقال بعض القلندرية : مالى ومال من تحيض وتبيض ، وتوقعنى فى الطويل والعريض ، حتى اذا أتتنى بولد ، أتتنى بنكد ، يبكى فيبكيني ، وأغذوه ولا يغذونى ، فاذا كبر وترعرع ، وقوى منه المبلغ ، أخذ يكلفنى ويتجهمنى ويعنفني ، فان كنت غنيا تمنى زوالى ، ليتصرف فى أموالى ، وإن كنت فقيرا أوسعني تحقيرا ، ومن أين أؤمل أن يكون ولدى كيحيي بن زكريا ، برا بوالديه تقيا ولعله أن يكون ذا سفاه : كابن بسام الشاعر (المتوفى سنة ٣٠٣) اذ هجا أباه فقال :

هبك عمرت عمر عشرين نسرا ⁂ أترى أنني أموت وتبقى

فلئن عشت بعد موتك يوما ⁂ لأشقن جيب مالك شقا

أو كالحطيئة ، مقترفا للخطيئة ، إذ هجا أمه فقال — وما أذمه — :

تنحى يادفار فلست منى ⁂ أراح الله منك العالمينا

أغربالا إذا استودعت سرا ⁂ وكانونا على المتحدثينا

ومن العقل ، أن يكون من النسل بلا عقل ، كما قال أبو الفتح البستى المتوفى سنة ٤٠٠ :

يقولون ذكر المرء يبقي بنسله ⁂ وليس له ذكر إذا لم يكن نسل

فقلت لهم نسلى بدائع حكمتي ⁂ وإنا بها عن كل ذي ولد نسلو

وبالغ أبو العلاء المعرى المتوفى سنة ٤٤٩ فى التنفير من الزواج وحصول الأولاد وعد أن مجيئهم جناية عظيمة عليهم من الآباء فلذلك لم يتزوج ، وأوصى إذا مات أن يكتب على قبره :

هذا جناه أبي علـــى وما جنيت على أحد

وقال : تواصل حبل النسل مابين آدم ... وبيني ولم توصل بلامى باء
تثاءب زيد إذ تثاءب خالد ... بعدوى فما أعدتنى الثؤباء
على الولد يجني والد ولو انهم ... ملوك على أمصارهم خطباء
وزادك بعدا عن بنيك وزادهم ... عليك حقودا أنهم نجباء
يرون أبا ألقاهم في مؤرب ... من العيش ضلت حله الأرباء

العيش المؤرب الشديد من أرب الشاة اذا قطعها إربا إربا ، والأرباء جمع اريب وهو المدرب الماهر البصير. وقال شاعر :

الزوج شؤم وفى الأولاد منقصة ... والله فرد يحب الفرد فانفرد
لو كان فى الزوج والأولاد منفعة ... ما قيل ما اتخذ الرحمن من ولد

وقال الكمال (مؤلف هذا الكتاب) أحسن الله تعالى إليه فى كتابه ثمرات التجاريب : الزواج فرحة شهر ، وترحة دهر وغرامة مهر ، وكسر ظهر ، ولو كان على نهر ، فى رياض ثمر وزهر ، السر بالسر والجهر بالجهر . وقال عفا الله تعالى عنه :

أخا العقل إنى لا أريد زواجا ... ولا أبتغى إما نكحت نتاجا
أرى هذه الدنيا عظيما بلاؤها ... فداخلها لا يستطيع خراجا
أراها وعاليها وسافلها سوا ... لقد أصبحت فيها الأمور خداجا
فدعنى أكن فردا أعيش براحة ... أعد لحالى فى المعاد رواجا
إذا انسلخ الانسان عن قشر شهوة ... تساوى لديه الكل غير مداجى

إلا أنه غلب عليه القدر المتاح ، فأوقعه فى شرك النكاح ، وجاءه البنون والبنات ووقع فى فخ تعدد الزوجات ، وكل ذلك بعد أن طرق باب الأربعين ، ولا معين لديه ولا معين ، والله غالب على أمره ، لا يجرى إلا ماهو بمشيئته وإرادته . وقال أيضا من قصيدة له طويلة تبلغ نحو ثلاثمائة بيت جامعة لكثير من النظرات الفلسفية والتفكرات العلمية من البحر السريع :

إن الزواج أصل كل البلا ... على رقيق الخلق أو حره
بل هو ثمرات على جمرة ... أعوذ بالرحمن من ثمره

جناية يجني بها والد ... على بنيه وهو لم يدره
تسوقه فيها له شهوة ... تكسر منه العظم فى ظهره
من أجلها يلقى بأيديه فى ... قفر ببلقع وفى وعره
تجيئه بعيلة غيلة ... تعدمه المحبوب من صبره
فيسخط الله ويا ربما ... أدته فى السخط إلى كفره
وكل طفل ولدته النسا ... فهو لكرب الدهر أو قهره
وقل أن يلقى من ابن أب ... على الجميل الجزء من بره
وأية النساء فيها الوفا ... لزوجها فى اليسر أو عسره
أليست المرأة احدى الثلا ... ث فى حديث الشؤم فاستقره (١)
فاكبح جماح النفس عن شهوة ... تذهب بالمرء إلى ضره
مكرم نوع بنى آدم ... وهو يهين النفس فى عره
وما عليه لو تأنى فلا ... يبوء عند الله فى وزره
اذا تخلى المرء عن شهوة ... تساوت الأشياء فى سبره
فخف مايلقاه من ثقله ... وسال ما استجمد من صخره
وما مكان المرء إلا الذى ... ينزل من حاليه أو قفره
لا سيما فى زمن شره ... أقرب للانسان من سره
زماننا هذا الذي منه شا ... هدنا نجوم الظهر في عصره
وانما المسعد فيه الذى ... كان خفيف الحاذ أي ظهره
لا ولد عق ولا زوجة ... سليطة منه على فكره
وليس في الزوجات إلا البلا ... وأول البلاء فى مهره
وكثرة العيال جهد البلا ... تذهب بالمثرى الى فقره
وقلة العيال أحد اليسا ... رين فزد يا رب فى يسره

وقال أمين ناصر اللبنانى فى ديوانه صدى الخاطر :

---

(١) يريد ما جاء فى الحديث « الشؤم في ثلاث ، المرأة والدابة والدار »

اذا كان يبغى المرء كربا معجلا فان الزواج اليوم مجلبة الكرب
به المرء يمسى مجرما نحو نسله بوضعهم فى موضع العيشة الصعب
أليس أبو الابناء علة كونهم يعانون أهوال الحياة بلا ذنب
وما دام تزويج الرجال مسببا شقاء بنيهم فليحاذره ذو اللب

وقال ابن الشبل البغدادى المتوفى سنة ٤٧٤ من قصيدة :

قبح الله لذة لاذانا نالها الأمهات والآباء
نحن لولا الوجود لم نألف الفقد فايجادنا علينا بلاء

وقال أبو الطيب المتنبي المتوفى سنة ٣٥٤ :

هل الولد المحبوب إلا تعلة وهل خلوة الحسناء إلا أذى البعل
وقد ذقت حلواء البنين على الصبا فلا تحسبنى قلت ماقلت عن جهل
وما الدهر أهلا أن تؤمل عنده حياة وإن يشتاق فيه الى النسل

وقال آخر : المرأة الجميلة توقعك فى الشبهة ، والقبيحة تغمك والفقيرة تخرب بيتك والغنية تستأسرك وتتحكم فيك والشابة تستنفد قواك والمسنة تنهك صحتك، فاذا أردت السلامة من ذلك فعليك بالعزوبة والسلام .

قال الكمال أحسن الله تعالى اليه : مامن شىء إلا هو قابل للمدح والقدح فيه لذاته ، والزواج وحصول النتاج من هذا القبيل ، ولكن سنة الله جارية على سنن الاقبال عليه والاكثار منه لحفظ العالم وبقائه الى آخر اليوم المحدد له ، فلا بد منه لافراد البشر ، بل لكل ما خلق الله من حيوان وحجر ، وشجر (ولن تجد لسنة الله تحويلا) (ولن تجد لسنة الله تبديلا) والكون فى رقيه سائر ، وبكل شىء من الموافق والمضاد عامر ، فاذا زهد بالزواج وحصول النتاج قوم لايستلزم منه زهد غيرهم ، كيف والأحاديث الشريفة فى الترغيب فيه والحث عليه كثيرة وهاك بعض منها : قال رسول الله ﷺ « النكاح سنتى فمن رغب عن سنتى فقد رغب عنى » وقال فى حديث آخر « النكاح سنتى فمن أحب فطرتى فليستن بسنتى» وقال فى حديث آخر « التمسوا الرزق بالنكاح » ـ رواه الديلمى عن ابن عباس ـ

وقال فى حديث آخر « من كان على دينى ودين داود وسليمان وابراهيم فليتزوج » وقال في حـديث آخر « من كان له ما يتزوج فلم يتزوج فليس منا » وقال فى حديث آخر « من ترك التزويج مخافة العيلة فليس منا » وقال فى حديث آخر « من تزوج فقد أحرز شطر دينه فليتق الله فى الشطر الآخير » وفى رواية « من تزوج فقد استكمل نصف الايمان فليتق الله فى النصف الباقى » ـ رواه الطبراني عن أنس ـ وقال فى حديث آخر « من كان ذا طول فليتزوج » وقال فى حديث آخر « من استطاع منكم الباءة (النكاح) فليتزوج فانه أغض للبصر ، وأحصن للفرج ، ومن لا فليصم فان الصوم له وجاء » وقال فى حديث آخر « حق على الله عون من نكح التماس العفاف عما حرم الله » ـ رواه ابن عدى عن أبى هريرة ـ وقال فى حديث آخر « تناكحوا تكثروا فانى أباهى بكم الأمم يوم القيامة حتى بالسقط » ـ رواه عبدالرزاق عن سعيد بن أبى هلال مرسلا ـ وقال فى حديث آخر « تزوجوا بالنساء فانهن يأتين بالمال » ـ رواه البزار والخطيب عن عائشة وأبو داود عن عروة مرسلا ـ وقال فى حديث آخر « تزوجوا فانى مكاثر بكم الأمم ولا تكونوا كرهبانية النصارى » ـ رواه البيهقى عن أبى أمامة ـ وقال فى حديث آخر « اذا تزوج أحدكم عج شيطانه يقول ياويله عصم ابن آدم منى ثلث دينه » وفى رواية « أيما شاب تزوج فى حداثة سنه عج شيطانه ياويله عصم منى دينه » ـ رواه أبو يعلى عن جابر ـ وقاله فى حديث آخر « اذا حرم أحدكم الزوجة والولد فعليه بالجهاد » ـ رواه الطبرانى عن محمد بن حاطب ـ وعن عكاف بن وداعة الهلالى أن رسول الله ﷺ قال له « ياعكاف ألك امرأة ؟ » قال لا ، قال « فأنت اذن من إخوان الشياطين ، إن كنت من رهبان النصارى فالحق بهم ، وإن كنت منا فانكح فان من سنتنا النكاح »

ونقلت جريدة الاهرام بتاريخ ٢٠ ذى القعدة سنة ١٣٥٢ بعنوان وفيات المتزوجين والعزاب مانصه : يموت ٤٢ متزوجا و ٦٦ أعزب فى المئة مابين سن ٢٠ و ٣٠ و ١٨ متزوجا و ٢٧ أعزبا فى المئة مابين سن ٣٠ و ٤٥ و ٣٥ متزوجا و ٨٥ أعزب فى المئة مابين سن ٥٠ و ٦٠ أما فى الستين وما بعدها فلا سبيل الى المقارنة بين الفريقين إذ لا يبقى من العزاب أحد .

باب ٢٣

فى المهر ووجوبه معجلا ومؤجلا

المهر واجب على الزوج للزوجة بمقابلة تملك البضع حسب أمثالها من قوم أبيها والزوجة أن تمنع نفسها عن زوجها حتي يؤديها المهر المتفق على معجله ، ولها أن تهبه المهر كله أو بعضه ، ويسقط عنه بعد الهبة فلا يحق لها أن تعود مطالبة به ثانى مرة ولا تعد ناشزة فيما لو منعت نفسها عنه حتى يعطيها المهر المعجل ، وعليه نفقتها حسب وسعه ومقدرته ، ففى الحديث الشريف « ما من امرأة تصدقت على زوجها بشيء من صداقها قبل أن يدخل بها إلا كتب الله لها بكل دينار عتق رقبة » وقد جاء الشرع الشريف بالوعيد الشديد لمن يتزوج امرأة ولا يعطيها مهرها ، ومن ذلك حديث « أيما رجل تزوج امرأة فنوى أن لا يعطيها من صداقها شيئاً مات يوم يموت وهو زان » - رواه أبو يعلى والطبراني عن حبيب - وفى حديث آخر « إن أعظم الذنوب عند الله رجل تزوج امرأة فلما قضى حاجته منها طلقها وذهب بمهرها »

والمتعارف عليه منذ القديم أن المهر قسمان ، معجل ، ومؤجل ، فالمعجل يدفعه الزوج عند العقد أو بعده قبل الدخول بالزوجة ، والمؤجل يبقى فى ذمته دينا عليه الى أن يفارقها بطلاق أو موت ، فاذا طلقها وجب عليه أن يدفع مالها بذمته من المهر المؤجل و نفقة عدة الطلاق ، وإذا مات عنها كان مهرها المؤجل دينا في التركة يبدأ بأدائه بعد تجهيزه و دفنه وقبل تنفيذ وصيته ، لأنه حق ثابت فى ذمة المتوفى كالديون الأخر ، فاذا ماتت قبله فهو ميراث متروك عنها لمن يرثها وزوجها من جملتهم ، وله النصف إذا لم يكن لها ولد مطلقا منه أو من زوج آخر قبله ، والربع اذا كان لها ولد منه أو من زوج آخر قبله ، والباقى لبقية الورثة الأقرب فالأقرب كما هو مبين فى كتب الفرائض وأحكامها . وللزوج أن يخلص من التبعة فيعطيها وهو فى حياته وهى تحت عصمته مؤجل صداقها الذى تستحقه بطلاقها أو بموته تخلصاً من تبعة الدين الثقيلة الوطأة على المدين (المديون) ولها أن تسقط عنه مهرها المؤجل كله أو بعضه في حياته وبعد موته ، وعليه أن يوصى به أى بلزوم دفع مؤجل مهرها ، وليست هذه وصية صدقة بل وصية تأدية حق كالديون

الآخر ، يسأل عنها فى قبره و يعذب على سكوته عليها ، قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « لتؤدن الحقوق الى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء تنطحها » - رواه احمد والبخارى ومسلم والترمذى عن أبي هريرة - وقال فى حديث آخر « نفس المؤمن معلقة بدينه حتى يقضى عنه » - رواه الامام احمد والترمذى وابن ماجه والحاكم عن أبى هريرة - وقال فى حديث آخر « صاحب الدين مأسور بدينه يشكو الى الله الوحدة » - رواه الطبرانى وابن النجار عن البراء - وقال فى حديث آخر « والذى نفسى بيده لو قتل رجل فى سبيل الله ثم عاش ثم قتل ثم عاش ثم قتل وعليه دين ما دخل الجنة حتى يقضى دينه » .

٢٤ باب

فيما يلزم من العناية في التزوج والتزويج

المرأة بضعة - أى قطعة - من أبويها ، وأنموذج لأمها ، فكيفما كانا كانت ، وصلاح الأبوين أو فسادهما مؤثر فى الأولاد ولو بعد حين ، كما أن للرضاع تأثيراً في الأخلاق والطباع ، والولد فى الغالب ينزع الى أصل أمه وطباعها وشكلها ، ففى الحديث الشريف « كادت المرأة تلد أباها أو أخاها » وفى حديث آخر « الناس معادن والعرق دساس ، وأدب السوء كعرق السوء » - رواه البيهقى عن ابن عباس - وقال بعض الشعراء :

إذا أردت زوجة تبغيها كريمة فانظر الى أخيها

ينبيك عنها والى أبيها فان أشباه أبيها فيها

والأتراك يقولون (كنارينه باق آل بزي) (اناسنه باق آل قيزى) أى انظر الى الحاشية ثم خذ القماش ، وانظر الى الأم ثم خذ البنت . وفى كتاب إحياء علوم الدين للغزالى المتوفى سنة ٥٠٥ فى كتاب النكاح منه مانصه : وأما الخصال المطيبة للعيش التى لابد من مراعاتها فى المرأة ليدوم العقد وتتوفر مقاصده فثمانية ، الدين ، والخلق والحسن ، وخفة المهر ، والبكارة ، والولادة ، والنسب ، وأن لاتكون ذات قرابة قريبة منه اه وفى الحديث الشريف « تنكح المرأة لأربع ، لجمالها ولمالها ولحسبها ولدينها فعليك بذات الدين تربت يداك » - رواه البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى وابن ماجه

عن أبى هريرة - وفى حديث آخر « إياكم وخضراء الدمن ، المرأة الحسناء فى المنبت السوء » وقال أكثم بن صيفى حكيم العرب المتوفى سنة (٩) لولده : يابني لايحملنكم جمال النساء عن صراحة النسب ، فان المناكح اللئيمة مذهبة للشرف . وقال أبو الأسود الدؤلى المتوفى سنة ٩٩ لبنيه : يابنى قد أحسنت إليكم صغاراً وكباراً وقبل أن تولدوا قالوا كيف أحسنت إلينا قبل أن نولد ؟ قال اخترت لكم من الأمهات من لاتسبون بها اه وفى الأمثال : المناكح الكريمة مدارج الشرف ، فلا تغتر بمن يقول النساء أوعية ، كلا . فان الولد قطعة من كبد أبيه وأمه ، وعلى فرض أنها وعاء فان للوعاء تأثيرا على مافيه ، وابن أخت القوم منهم . وقدمر آنفا حديث « كادت المرأة تلد أباها أو أخاها » فلا تتزوج بمن يعيب ابنك بخاله ، فان الولد قد يعير به كما يفتخر بخاله . قال الشاعر :

خالى لأنت ومن جرير خاله ينل العلاء ويكرم الأخوالا

وفى الأمثال : قيل للبغل من أبوك ؟ قال خالى الحصان . وقال الأصمعى المتوفى سنة ٢١٣ : مارفع أحد نفسه بعد الايمان بالله تعالى بمثل منكح صدق ، ولا وضع نفسه بعد الكفر بالله تعالى بمثل منكح سوء اه قال الكمال أحسن الله تعالى إليه : وقد يجنى على المرء اجتهاده فى طلب الزوجة الموافقة لينفذ فيه قضاء الله وقدره . قال الجاحظ المتوفى سنة ٢٥٥ فى كتابه المحاسن والأضداد : روى أن رجلا أتى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله إنى أريد أن أتزوج فادع الله أن يرزقنى زوجة صالحة ؟ فقال « لو دعا لك جبريل وميكائيل وأنا معهما ما تزوجت إلا المرأة التى كتب الله لك ، فانه ينادى فى السماء ألا إن امرأة فلان بن فلان فلانة بنت فلانة » اه فليرض كل شخص بما قسم الله تعالى له ، فان كان خيرا فعليه بالشكر ، وإن كان شرا فعليه بالصبر ، حتى يجعل الله له من أمره فرجا ومخرجا . قال سيدنا الحسن السبط بن سيدنا على رضى الله تعالى عنهما : من اتكل على حسن اختيار الله تعالى لم يتمن أنه فى غير الحالة التى اختارها الله تعالى له . ويجب على أبى البنت أو وليها أن يراعي خصال الزوج وينظر لكريمته فلا يزوجها من سىء الخلق ، أو ضعيف الدين ، أو ممن يعرف عنه تقصيره فى القيام بحقوق الزوجية ، أو ممن كان دونها فى الشرف والحيثية . ففى الحديث الشريف

عن عائشة رضى الله تعالى عنها « النكاح رق فلينظر أحدكم أين يضع كريمته » فان زوج ابنته من ظالم أو فاسق ، أو مبتدع ، أو شارب خمر ، أو مراب ، فقد جنى على ابنته ، وعلى نفسه وعلى دينه ، وتعرض لسخط الله تعالى ، فانه مسئول أمامه عما فعل . وقال رجل لسيدنا الحسن السبط بن سيدنا على رضى الله تعالى عنهما : إن لى بنتا فمن ترى أن أزوجها له ؟ قال : زوجها من يتقي الله تعالى فانه إن أحبها أكرمها وإن أبغضها لم يظلمها . وكان رسول الله ﷺ اذا أراد أن يزوج امرأة من نسائه يأتيها من وراء حجاب فيقول لها « يا بنية إن فلانا قد خطبك فان كرهته فقولى لا فانه لا يستحيي أحد أن يقول لا ، وإن أحببت فان سكوتك إقرار » وفى الحديث أيضا « آمروا النساء فى أنفسهن فان الثيب تعرب عن نفسها ، والبكر رضاها صمتها » - رواه الطبراني والبيهقى عن الغرس بن عمير - وفى حديث آخر « آمروا النساء فى بناتهن » - رواه أبو داود والبيهقى عن ابن عمر - وفى أخبار الخنساء أنه خطبها دريد بن الصمة من أبيها وكان طاعناً فى السن ، فقال له أبوها إنك الكريم الذى لا يطعن فى حسبه ، ولكن لهذه المرأة فى نفسها ماليس لغيرها ، وإنما أذكرك لها . ثم دخل عليها وقال : ياخنساء أتاك فارس هوازن ، وسيد بنى جشم ، دريد بن الصمة يخطبك وهو من تعلمين ؟ فقالت : يا أبت أتراني تاركة بني عمى مثل عوالى الرماح وناكحة شيخ بنى جشم هامة اليوم أو غد ؟! وأبت أن تتزوج به . فلا بد من أخذ رأى البنت فيمن يعرض عليها لتكون معه على حب وائتلاف هذا وقد اعتاد مريد الزواج أن يرسل من قبله من يعتمد عليها من أهله كأمه وأخته وغيرهما لتنظر له واحدة مناسبة أو ربما خصص واحدة فيبعث بمن تراها وتكلم أهلها بخصوصها فتذهب الأم مثلا الى بيت أهل المطلوبة وتدخل عليهم وهم لا يعرفونها من قبل ، أو بينهم وبينها معرفة ضعيفة ، فاذا لم يكن لهم رغبة فى أن يعطوا بنتهم اعتذروا وليس فى ذلك كبير ضرر وأما اذا أرادوا أن يعطوا فهنا المعركة ، فان البنت قد تكون مؤدبة في ذاتها ، موافقة فى طباعها ، وهذا لا ضرر فيه . ولكن قد تكون على غير المطلوب طبعاً ووصفاً ويريد أهلها أن يدفعوها عنهم بمجرد خاطب يخطبها ، أو طالب يطلبها ، فحينئذ يصنعونها ويجملونها ويعلمونها شيئاً من حسن الملاقاة ، فتتقدم نحو الزائرة الخاطبة بالقهوة أو ما يعتاد تقديمه وهى فى غاية من

الحياء المصطنع، والحشمة المزورة ، وتبادر الى تقبيل يدها وترجع الى ورائها واقفة واضعة يداً على يد ، او حاملة الصينية تنتظر تلك الحماة المستقبلة ان تفرغ من شرب ماقدم إليها ، وتلمحها بل تنظرها تلك الزائرة الخاطبة بكل مافى عينيها من قوة ، وبكل مافى قلبها من حب ، وتعطف عليها وقد شغفتها حبا بالنظر لما رأت من ادبها وحشمتها وتعد نفسها أنها هى ومن أرسلها سعيدان حيث ظفرت بهذه الدرة الحرة ، وبالحقيقة ماشغفها وران على قلبها إلا تقبيل تلك الكنة المستقبلة يدها ، فان هذا التقبيل قد جمع كل أنواع الأدب ، والتربية ، والحشمة ، والوقار ، واللطف ، والظرف ، وما الى ذلك من الصفات الحسنة ، وانطلقت تنهب الأرض نهبا بسرعة مشيها حتى تصل الى من أرسلها ولو قبل ثانية ، فتحكى له عن إعجابها بتلك البنت ، ولا ينتهى لها كلام ولا ينشف لها ريق من كثرة ما تطنب فى وصفها ومدحها حتى اذا قدر الله أن تتم الخطبة ويحصل الزواج فلا تمضى مدة قليلة إلا وقد انكشف المخبأ وظهرت تلك البنت ذات الأدب المصطنع بمظهرها الحقيقى ، فقامت الحماة تكيل ماعندها لمن أعجبت بها جزافا ، وأخذت نار الشقاق تستعر ، ومحجة الوفاق تعر ، الى أن يكون ما يكون من قتل وضرب ، وشتم وسب ، وفراق ونزاع ، وشكاوى قد تصل الى المحاكم تنتهى بالطلاق ، وتحميل الزوج أعباء النفقة لاسيما إن كانت علقت منه بولد ، وهذه نتيجة تلك القبلة التى طبعتها تلك البنت المؤدبة على ظهر يد تلك الخاطبة الغافلة ، وقد صور هذه الحالة صديقنا الشاعر البارع ، وطنينا جمال الدين افندى الملاح فقال بعنوان الزواج المغشوش فى قصيدة له :

ومسلم عزب فى أنف صبوته	رام الزواج لشر ليس يدريه
مرأى الخطيبين سنته شريعته	وظلت العادة الصماء تلغيه
فألجأته الى إرسال والدة	له لتبحث عن حسناء ترضيه
لم تصبها فاتنات خرد عرب	نسين لثم يديها وهى تبغيه
حتى اذا لثمت كفا لها نصف	حمقاء فى الوجه منها بعض تشويه
ضاءت كشمس الضحى فى عينها لهوى	أضلها والهوى فى المرء يعميه
فأسرعت لابنها المخدوع واصفة	لها بأكمل وصف بات يغريه

وراح يخطبها من أهلها وبه شوق المحب الى لقيا محبيه
فكان عقد عليها منه كلفه بذل القناطير من مال ينميه
بنى عليها بليل فيه قد عرفا أن النزاع سيشقيها ويشقيه
رأى بها فوق عيب الجسم جربذة وخفة أورثتها عجب ذى التيه
وجملة من عيوب ليس يهضمها تضر تدبير بيت رئست فيه
وأبصرت فيه أنواع المعايب من خلق وخلق فظلت مثل مشدوه
دار الزمان على الزوجين دورته ولج بينهما بالخلف داعيه
كلاهما ضاق ذرعا من معاشره حتى نعى البين بالتطليق ناعيه
وظل أرمل لاحال تساعده على الزواج ولا مال يواتيه
ماتا ولم يبلغا من وصلة أربا سوى شقاء أذيبا فى مقاليه
ماتا ضحية عادات مذممة وجهل أرباب دين فى معانيه
أمسى الزواج الذى ترجى سعادته ضرب المقامر خانته مراميه

وهذا كله بسبب تهاون الطرفين فيما يلزم العناية والتدقيق فيه ، وسذاجة الواسطة التى ران على قلبها قبلة فى يدها أنزلتها شفاه تلك الخادعة المخدوعة ، وعدم تحرى أهلها عن أحوال من سيكون رفيق حياتها الى مماته أو مماتها . نعم نحن لانقول بما يفعله غير المسلمين من عشرة بعضهم لبعض ومخالطتهم فى أعمالهم وحركاتهم وسكناتهم بزعم أن كلا يختبر حال من سيكون رفيقه وعشيره ، إن ذلك منهم حيث لاطلاق عندهم بل تبقى زوجته ويبقى زوجها حتى يفرق الله بينهما ، أو حتى تأتى منكرا فى دينها يثبته عليها زوجها فيحكم رئيس دينهم بالفرقة بينهما ، وإنما نحن معشر المسلمين لنا دين يأمر بالنصيحة وينهى عن الغش والخديعة ، فمن أراد أن يتزوج ببنت الناس عليه أن يبحث عن حقيقة أمرها بحثا دقيقا ، وعلى من أراد أن يزوج بنته أن يبحث بحثا دقيقا عن حال خاطبها وطالبها من غير أن يغتر أحد الطرفين أو كلاهما بزخرف القول وكذب الادعاء ، والا وقعا فى البلاء .

٢٥ باب

فيما يحبه النساء من أزواجهن وما يكرهنه

تحب المرأة أن يكون زوجها غنيا فتيا قادرا على القيام بالوظيفة الزوجية من كل جهاتها ، لاعاجزا عنها ، ولا فقيرا ، أو غنيا مقترا عليها ، وأن لايكون مانعا عنها كل ماتطلبه سواء أكان فى مقدرته القيام به أم لم يكن ، من غير أن تنظر فى نفسها ودرجتها ودرجة زوجها بين الناس ، لأن المرأة والطفل الصغير يحسبان ان الرجل على كل شيء قدير ، ثم تريده أن يكون حسن الرواء والبزة لا تقتحمه العيون ، ولا تتجهمه النفوس ، وهذا الذى تريده من واجب الزوجة وحقوقها كما انه يريدها كذلك فقد قال سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه : تصنعوا لنسائكم فانهن يحببن منكم ماتحبونه منهن . وقال عبد الله بن عباس رضى الله تعالى عنهما : أحب أن أتزين لزوجتي كما أحب أن تتزين لى . وكان الامام محمد المتوفى سنة ١٨٩ يلبس الثياب النفيسة ويقول : إن لى نساء وجوارى فأزين نفسى كى لا ينظرن إلى غيرى . وقد تريد المرأة أن يكون زوجها عظيما أو وجيها . أو أميرا كبيرا ، أو غير ذلك ، ولكن فتوة السن ووفرة المال هما فى مقدمة كل مطلوب لها ، ولو أنها أكبر منه سنا ، وأصغر منه قدرا ، وبقدر ما تكون الجامعة بينهما متعددة تكون الرغبة متأكدة ، والعلاقة متوطدة ، والعكس بالعكس . ومن الضرر البين أن يتزوج مسن شابة ولو كان غنيا فان تباين السن من أقوى عوامل النزاع بين الزوجين لما في كبر السن من الضعف والعجز عن القيام بالوظيفة الزوجية التى هى الغاية الوحيدة للمرأة من زواجها ، بدليل أنها تترك بيت أبيها وقد يكون أحسن حالا وأكثر مالا ، وتنتقل الى بيت زوجها وهو دونه فيهما . ولكن عنده ما ليس عند أبيها فاذا لم تجده كما حسبت اختلت حالتها معه ، وانتقضت عليه ، وجرى بينهما مالا خير فيه من غير انقطاع ، فاما أن تبقى معه ويبقى معها على هم وغم وكدر ونغص عيش ، وأن تطلب منه أن يطلقها وقد يكون فى تطليقها ضرر عليها وعليه أيضا إذ يحتمل أن تبقى أرملة (عزباء) الى ماشاء الله لأن المرأة ليست سلعة تعرض فى الأسواق

لكل من يراها حتى يرغب بها فيشتريها ؛ بل هى درة محفوظة فى صدف بيتها لا يتفطن لها إلا القليل ، وقد تصبر على البقاء معه مع الكره له إما لضرورة منها في نفسها ، و إما لطمع لها فيما عنده إن كان عنده ما تطمع فيه ، أو لعدم تمكنها من مفارقته لسبب من الأسباب ولكنها تحدث له كل يوم مايغمه ويكدره لأدني سبب حتي وبلا سبب ، فيدخل البيت مستعيذا من شرها ، ويخرج مستجيرا من ضرها ، والسبب الوحيد الذى أوصله الى هذه الحالة السيئة ضعفه وعجزه عن القيام بما يكفى ، أو يسد حاجتها الطبيعية ، فما لذلك الزوج الغبي وذلك الزواج وهو أعلم بنفسه من غيره بما عنده وبما هو موجود فيه قال الشاعر :

أرى شيب الرجال من الغوانى　　بموضع شيبهن من الرجال

أى ان النساء يكرهن الرجل الأشيب كما يكره هو المرأة الشيباء ، بل التى فى رأسها بعض الشيب . وقال شاعر آخر :

من كان آدم جملا فى سنه　　هجرته حواء السنين من الدمى

أى من كان مجاوزا للأربعين من سنه كما هو عدد حروف آدم بحساب الجمل لاترغب به من كانت شابة دون العشرين كما هو عدد حروف كلمة حواء بحساب الجمل . وقال أبو الشمقمق الشاعر :

شيئان لاتصبوا النساء اليهما　　حلى المشيب وحلة الأنفاض

ولا عبرة بقول مهيار الديلمى الشاعر المعروف المتوفى سنة ٤٢٨ :

يا للواتى كرهن الشيب وهو الى　　بياضهن من الألوان منسوب

فان بياض الشيب من بياض القطن الذى تسد به منافذ الشخص بعد أن يموت ويغسل ، والنساء لسن بحاجة اليه وهن فى عنفوان شبابهن . وتكره المرأة أن يكون زوجها تقيا صالحا متوقيا للحرام ، مشتغلا بقراءة كتب العلم الديني ، وكم من قيامة تقوم بين امرأة ورجل هو من هذا القبيل لأنه يمنعها بسبب تقواه ودينه وعلمه من أن تعطى لنفسها هواها من نحو حضور مراسح اللهو ، وغشيان محل الخلاعة وقراءة المجلات المخلة بالعفة والأدب ، والمرأة لاتقدم على شهوتها شيئا ، ولا يردعها عنها رادع معنوى من تخويف بالله ، أو تذكير بآياته . وتكره أن يكون زوجها بزى

العلماء وسيما الصالحين من نحو العمامة واللحية والجبة ولو كان عالما حقيقيا ، ولو كانت هى أيضا بنت عالم أو شيخ ، بل تريد زوجها أن يكون بطربوش (ولا مانع عندها أن يكون ببرنيطة أيضا) وأن يكون حليق اللحية (ولا مانع عندها أن يكون أيضا حليق الشاربين) وأن يكون باللباس الافرنجى من نحو السترة والبنطلون ولو كان متقدما فى السن لعلمها بأن الزى العلمى مانع من إجابتها، لما تتطلبه من حرام بخلاف ذلك الزى المدنى (سيفيل) فان من لازمه أن لا يكون المتزى به متمسكا بدينه إلا ماقل وندر ، بل هو عون على اتباع هوى النفس بقدر ماتساعده عليه قوة المال فلذلك هى تحبه وتكره الزي العلمى ولو كانت من بيت العلم والدين كما قلنا آنفا وهذا ماعرفته مما يكرهه النساء بالتجربة والاختبار . على انه لايخلو الأمر من وجود امرأة صالحة تصبر على مالاتحبه من زوجها ، إما لطيب أصلها، أو لقوة دينها ، أو لوفرة عقلها ومعرفتها بأن ماهي عليه مما هو معلوم خير لها من غيره وهو مجهول. فالنساء أقسام جواهر ، وكوافر ، وعواهر ، وإن لم يختلفن فى الطباع والعادات . قال الشاعر :

قالت بنات العم يا سلمى وإن　　كان فقيرا معدما قالت وإن

فان هذه المرأة تطلب زوجها كيفما كان . قال الفيروز آبادى صاحب القاموس المتوفى سنة ٨١٧ فى مادة الجمد منه : خطب خداش بن حابس الرباب فرده أبوها فأضرب عنها زمانا ثم أقبل حتى انتهى الى حلتهم فقال أبياتا منها :

ألا ليت شعرى يارباب متى أرى　　لنا منك نجحا أوشفاء فاشتفى

فلما سمعت الرباب الأبيات أرسلت اليه أن قد عرفت حاجتك فاغد خاطبا ، ثم قالت لأمها : هل أنكح إلا من أهوى ، وألتحف إلا من أرضى ؟ قالت لا ، قالت فانكحيني خداشا ، قالت مع قلة ماله ؟ قالت اذا جمع المال السيء الفعال فقبحا للمال، فأتى خداش وسلم على من بالمجلس وقال : العود أحمد ، والمرأة ترشد ، والورد يحمد ، ثم طلب الرباب فزوجه أبوها اياها . والمثل المشهور وهو (الصيف ضيعت اللبن) كاف فى بيان غاية المرأة من الرجل ، وذلك أن امرأة كانت تحت رجل غنى ولكنه مسن فكرهته لكبر سنه وأصرت عليه أن يطلقها إذلم تجد فيه مايقوم بسد حاجتها الطبيعية فطلقها فتزوجت بشاب فقير ، فلما جاء الشتاء واشتد البرد ولم يكن عندهما مايسد

رمقها قال لها زوجها هذا : لو ذهبت الى زوجك الأول فطلبت لنا منه شيئا من اللبن نتقوت به فقد أجهدنا الجوع ؟ فذهبت اليه تستميحه فقال لها : الصيف ضيعت اللبن . فانصرفت من عنده قائلة له : هو وفقره خير منك ومن غناك . فانظر كيف تركت زوجها الغنى لأنه طاعن فى السن ، وتركت ماعنده من الخير والسعة ، ورغبت بفقير ليس يملك شيئا من أجل أنه شاب قوى الحركة ، كثير البركة . وليست هذه الحكاية واحدة فى بابها ، بل لها من أمثالها كثير . وقال رجل أشمط أي خالط سواد شعره بياض:

سألتها قبلة فى ثغرها ورأت شيبى وقد كنت ذامال وذا نعم
فأعرضت عن سؤالى وهى قائلة أفى الحياة يكون القطن حشو فمى

فخضب لحيته وجاءها فقالت له : ما هذا العيب والريب ، وسواد وجه الشيب ؟ فقال :

قالت أراك خضبت الشيب قلت لها سترته عنك ياسمعى ويا بصرى
فقهقهت ثم قالت إن ذا عجب تكاثر الغش حتى صار فى الشعر

وعاهات الرجل من أدرة - أي انتفاخ فى الخصية أو ماهو أشد من ذلك كالفتق - وبخر الفم ، وغير ذلك من العوارض مستكره عند النساء ، منفر لهن من أزواجهن . فعلى من كان به شيء من ذلك أن لا يكتمه قبل التزوج حتى يكون أهل الزوجة على علم به فلا يحصل بعد الزواج خلاف ونزاع بينهما بسببه ، فقد سمع عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه امرأة تنشد :

فمنهن من تسقى بعذب مبرد نقاخ (١) فتلكم عند ذلك قرت
ومنهن من تسقى بأخضر آجن أجاج فلولا خشية الله فرت

فأمر باحضار زوجها فوجده أبخر ، فخيره بين جارية من المغنم ، أو خمسمائة درهم على طلاقها . فاختار الدراهم وطلقها .

وقالت امرأة من العرب لزوجها وكان أبخر :

يا حب والرحمان إن فاكا أعدمنى فولنى قفاكا
اذا غدوت فاتخذ سواكا من عرفط إن لم تجد اراكا
إني اراك ماضغا خراكا

(١) النقاخ بالضم الماء العذب الذي ينقخ الفؤاد ببرده .

فائدة لعلاج البخر

البخر هو نتن الفم من فساد فى المعدة ، او إنه خلقة طبيعية وهو اقبح مافى المرء من العيوب الظاهرة ، ويداوى بالاكثار من استعمال السواك ، وبمضغ الآس مع زبيب بلا بذر ، ومضغ الكرفس ، والنعنع ، والتمضمض بالخردل فى كل ثلاثة ايام بعد مثلها على الريق ، اى قبل أكل شىء ما ، ووسط النهار ، وعند النوم وبالصبر فى كل ثلاثة ايام نوع من ذلك ، وبامساك الذهب بالفم اه من كتابي (الفوائد الكمالية فى المنافع الدينية والدنيوية) نقلا عن كتاب الفروع فى الفقه الحنبلى فى باب النكاح منه .

(عود على بدء) وأراد قبيح دميم الصورة ان يتزوج جميلة ، فلما رأته قالت : ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا . واراد رجل آخر دميم ان يتزوج جميلة فقالت :

بكى الحسب الزاكى بعين غزيرة   من الحسب المنقوص أن يجمعا معا

وقال أبو الحجاج يوسف بن محمد البلوى المتوفى سنة ٦٠٥ فى كتابه الف باء : وما زال الشيخ المسكين اذا قلت بركته ، وضعفت حركته تدعو عليه امرأته لاسيما إذا كانت فى السن شابة ، وفى السمن دابة . وفى الجزء الثاني من كتاب حياة الحيوان للدميرى المتوفى سنه ٨٠٨ : تزوجت صبية برجل مسن فكرهته وقالت فيه :

فقدت الشيوخ وأشباههم   وذلك من بعض أقواليه

ترى زوجة الشيخ مغمومة   وتمسى لصحبته قاليه

فطلقها وقال : ساق الله إليك زوجا شابا يسكر ويقىء فى حجرك ، فتزوجها شاب اسمه فيض فكان يسكر ويقيء فى حجرها ويسلح أيضا فى فسحة الدار ، فكانت تقول : ياويلى استجيبت فى دعوة زوجى الأول رحمه الله تعالى ، وقالت تهجو زوجها الثانى :

سميت فيضا ولا شىء تفيض به   إلا بسلحك بين الباب والدار

وتلك دعوة شيخى الزوج أعرفها   عليه رحمة ربى الخالق البارى

ونظر عمران بن حطان السدوسى المتوفى سنة ٨٩ الى امرأته وكانت من أجمل النساء وهو من أقبح الرجال فقال : أنا وأنت فى الجنة إن شاء الله تعالى فانى أعطيت

مثلك فشكرت ، وأعطيت مثلي فصبرت ، والصابر والشاكر فى الجنة * وذكرنا قبلا أن الخنساء الصحابية الجليلة المتوفاة سنة ٢٤ خطبها دريد بن الصمة وكان طاعنا فى السن ، فقال له أبوها إنك الكريم الذى لا يطعن فى حسبه ، ولكن لهذه المرأة فى نفسها ماليس لغيرها ، وإنما أذكرك لها. ثم دخل عليها وقال : ياخنساء أتاك فارس هوازن وسيد بنى جشم دريد بن الصمة يخطبك وهو من تعلمين ؟ فقالت: ياأبت أترانى تاركة بنى عمى مثل عوالى الرماح وناكحة شيخ بنى جشم هامة اليوم أو غد ؟! وأبت أن تتزوج به .

وفى الجزء الثالث من الأغانى لأبى الفرج الأصبهاني المتوفى سنة ٣٥٦ فى أخبار ذى الأصبع العدواني ماحاصله : انه كان له أربع بنات ، وكان يمتنع من تزويجهن الى أن سمعهن ذات يوم يتحدثن وكل منهن تذكر رغبتها بالتزوج وهن لا يعلمن بسماعه لهن ، فقالت الكبري :

الا ليت زوجي من اناس ذوي غني حديث شباب طيب الريح والعطر
طبيب بأدواء النســـاء كأنه خليفة جان لاينـــام على وتر

تعنى انها تريد ان يكون زوجها شابا غنيا ترفا نظيفا عليما بما تطلبه النساء لايضع عصاه عن كتفه ، وقالت الثانية :

الأهل أراها ليلة وضجيعها أشم كنصل السيف غير مبلد
لصوق بأكباد النساء وأصله اذاماانتمى من سر أهلي ومحتدى

تعنى أنها تريد أن يكون زوجها طويل القامة ، ماضى العزيمة ، مغرما بحب النساء وهو من بنى عمها . وقالت الثالثة :

ألا ليته يملا الجفان لضيفه له جفنة تشقى به الثيب والجزر
به محكمات الشيب من غير كبرة تشين ولا الفاني ولا الضرع الغمر

تعنى أنها تريد أن يكون زوجها كريما مضيافا ـ مستجمعا لصفات الرجال المسنين من العقل والوقار والتجارب ، من غير أن يكون كبيرا كبرا يقعده عن القيام بما يجب عليه لزوجته ، ولا ذليلا ولا جاهلا . وقالت الرابعة وهى الصغرى : زوج من

عود ، خير من قعود . تريد مطلق زوج من غير أن يكون مقيدا بوصف. والقعود بفتح القاف الجمل (١) فلما سمع ابوهن ما قلنه زوجهن ، وبعد برهة - اى زمان طويل - اجتمعن اليه فقال للكبرى : يابنية ما مالكم ؟ قالت الابل . قال كيف تجدونها ؟ قالت خير مال نأكل لحومها مزعا ، ونشرب ألبانها جرعا ، وتحملنا وضعيفنا معا : فقال كيف تجدين زوجك ؟ قالت خير زوج يكرم الحليلة ، ويعطى الوسيلة . فقال : مال عميم ، وزوج كريم . ثم قال للثانية : يابنية ما مالكم ؟ قالت البقر، قال فكيف تجدونها؟ قالت خير مال ، تألف الفنا، وتودك السقاء ، وتملأ الاناء ، ونساء مع نساء. قال فكيف تجدين زوجك؟ قالت خير زوج يكرم اهله ، وينسى فضله . قال : حظيت ورضيت . ثم قال للثالثة ما مالكم ؟ قالت المعزى ، قال فكيف تجدونها ؟ قالت لا بأس بها ، نولدها فطما ، ونسلخها ادما . قال فكيف تجدين زوجك ؟ قالت لا بأس به ، ليس بالبخيل الحتر ولا بالسمح البذر . قال جدوى مغنية ثم قال للرابعة : يابنية ما مالكم ؟ قالت الضان ، قال وكيف تجدونها ؟ : قالت شر مال جوف لا يشبعن وهيم لا ينقعن وصم لايسمعن وأمر مغويتهن يتبعن . قال فكيف تجدين زوجك ؟ قالت شر زوج يكرم نفسه ويهين عرسه قال اشبه امرأ بعض بزه .

٢٦ باب

فى حساب الوفق بين الزوجين

من الخرافات السارية بين كثير من الناس أن يعمد مريد التزوج بفلانة مثلا الى بعض الجهلة الذين يدعون أو يزعمون مشاركتهم لله تعالى بعلم الغيب فيطلب منه أن ينظر في أمر زواجه بفلانة هل هو موافق أم لا ، فيأخذ ذلك الجاهل بحساب الجمل بين اسم فلانة وطالبها ، ويسقط المجموع تسعة تسعة فان بقى واحد فهو فراق ، وإن بقى اثنان فهو أنس وبركة ، وإن بقى ثلاثة فهو بين بين ، وإن بقى أربعة

(١) والذى اراه انها تريد قعودا مصدر قعد يقعد اى زوج من عود احسن من مكثها بلا زوج اه مصححه .

فهى نحسة ، و إن بقى خمسة فهى مال وبنون ، و إن بقى ستة فهى نحسة ، وإن بقى سبعة فهى سعد أكبر ، وإن بقى ثمانية . فهى باب رزق ، وإن بقى تسعة فهى لاخير فيها . ويعتمد الطالب على هذا الحساب من غير نظر فى شىء من موجبات الطلب من نحو العفة ، والصيانة ، والدين ، والمال ، والجمال ، والحسب ، كأن مجرد موافقة حساب الوفق كاف فى انتقاء الزوجة ، وتنظيم حياة البيت ، وسعادة العائلة . وهذا من السخف بمكان لايختلف فيه اثنان ، ولا ينتطح عنزان . وقد قلت فى كتابى (ثمرات التجاريب فى كل قول مصيب) موافقة البروج ، مع النساء لايروج ، من أراد نيل الوطر ، من ذوات الخفر ، فعليه أن يكون قريب الشباب بعيد الطفر (الافلاس) وهو معهن بخير مادام قوى الظهر كثير الخير :

أحلى الرجال من النساء مواقعا من كان أشبههم بهن خدودا

إن ذلك فبها والا ، لايرعين له عهدا ولا إلا ، ولايحلنه منهن محلا . فليأت البيوت من أبوابها ، ليكون من أربابها ، وان خالف بين متقابلين ، رجع بخيبة وخفى حنين .

باب ٢٧

فى تعرض النساء للزواج

كلما كبرت البنت وترعرعت ، وشبت وأدركت علمت أن بيت أبيها ليس بيتها ، بل هى ضيف فيه مهما كانت عزيزة مكرمة . وأن بيتها الحقيقى هو بيت زوجها المنتظر ، فلذلك هى ترقبه بفروغ صبر ، لاسيما اذا كان لها إخوة حان وقت زواجهم . ومن المتعارف عليه أن لايتزوج الواحد منهم مادام فى بيته أخت أو أخوات وكلما طال عليها أمد الانتظار أخذ اليأس يدب منها ، فاما أن تجد فى وقت من الأوقات زوجا ، وإما أن تبقى آنسة عانسة الى ماشاء الله وما نراه من تزين النساء وخروجهن الى الأسواق والمجتمعات العامة فهو محمول بحسن الظن بهن على انهن يردن من خروجهن على تلك الصورة أن تقع عليهن عين راغب بهن ، فيتزوج بمن تعجبه ، وترضى هى بمن يعجبها ، على أنه لايخلو الأمر من غير ذلك . وقد ذكر

العلامة محمود شكري الألوسى المتوفى سنة ١٣٤٢ فى كتابه بلوغ الأرب فى معرفة أحوال العرب : أن المرأة منهم اذا عسر عليها الزواج نشرت جانبا من شعرها وكحلت إحدى عينيها ، وحجلت على إحدى رجليها ، وخرجت ليلا وهى تقول : يالكاح ، أبغى النكاح ، قبل الصباح . فيسهل أمرها وتتزوج عن قريب . قال شاعر في امرأة تفعل ماذكر مقنطا لها من التزوج :

تصنعى ما شئت أن تصنعى   وكحلى عينك أولا فدعى

ثم احجلى فى البيت أوفى المجمع   مالك فى بعل أرى من مطمع

قال الكمال أحسن الله تعالى اليه : وليس السر فى تسهيل أمر زواجها فعلها ماذكر ، بل هو فى خروجها وصياحها طالبة النكاح . والافمن يرى كحل أحد عينيها ونشر جانب من شعرها ، وحجلها على إحدى رجليها فى الليل . وليس في بلاد العرب وبواديها مصابيح تضاء بالليل كما هى فى البلاد المتمدنة فى زماننا ؟ هذا لا ما قبله ، وإنما صياحها هو الذى يسهل عليها حيث يكون الرجال مجتمعين للسمر والحجل هو أن يرفع الماشى رجلا ويمشى متريثا على رجله الأخرى كما يحجل البعير العقير على ثلاث ، والغلام على رجل واحدة .

٢٨ باب

فى التزوج من الغرائب

التزوج بالغرائب سبب فى حصول النجابة في الولد ، نظرا لاختلاف الدم . والعرب يقولون اغتربوا ولاتضووا . أى تزوجوا ببعيدات النسب عنكم كى لا يأتى الولد مهزولا قال الشاعر :

تجاوزت بنت العم وهى حبيبة   مخافة أن يضوى على سليلها

وفى نكاح البعداء أيضا بهاء الخلقة ، وتقريب البعيد ، وتألف المخالف ، وهذه أمور حسنة يتحمل معها التعب من اختلاف العادات بين الزوجين وبحسن المداراة يمكن تلافى المجافاة .

قال الكمال أحسن الله تعالى اليه : ولكن الذى أراه مع التسليم بصحة ما قيل ونقلته آنفا ، أن تزوج الرجل بمن هى من أهله فى بلده أهنأ لعيشته ، وأهدأ لباله وأسلم لحاله ، وأحفظ لشرفه ، وأوفق لعاداته ، فى مأكله ومشربه وملبسه ، وقيامه ومنامه ويقظته ، وفى كل حال من أحواله ، وعمل من أعماله ، وأبعد عن الخلاف فى شىء من ذلك مع زوجته. فقد يريد ولا تريد ، أو تريد ولا يريد ، وما كل خلاف يمكن أن يتلافى أو يتحمل ، فاذا لم يتزوج من أهله الذين هم فى بلده ، فليكن تزوجه بمن تتيسر له من أهل بلده ، فاذا كان فى ديار الغربة وأراد التزوج فليتزوج بمن هى من أهل بلده أيضا من اللائى هن متغربات ، فاذا لم يمكن فممن هى من أهله ولو انها غريبة . وأما تزوجه بالغريبة عنه قرابة وبلدا فالغالب فيه أن لا يكون مرتاحا معها إلا اذا تبين له أنها محتاجة اليه ، ومقتصرة عليه ، ليس لها من تشمخ عليه بأنفها بسببهم من أهل ، وإلا فالغالب على الغريب المتزوج بمن هو فى بلدها أن يكون مهانا محقرا ، مضغوطا على حريته ، مغلوبا على أمره معها ، وربما كانت شريرة سليطة فتلعن أبا زوجها وأمه ، وأصله وفصيلته ، وتغمزه بكل عيب ، وأهون ماتقوله له لو كان فيك خير ماتركت بلادك . وكذلك الغريبة اذا تزوجت بمن هى فى بلده فانها تكون مهانة مضطهدة عنده وعند أهله ، إلا اذا كان يخاف الله ويتقيه . وأهون مايقال فيها ان لا أحد يدرى قرعة أبيها ماهى ، ولو كان لها أهل يعتد بهم لما سمحوا بتزويجها ، فهى مغمومة لتزوجها من غير أهل بلدها ، وهو مهموم كذلك . وأما مسألة نبوغ الولد ونجابته ، وسلامة بنيته ، فهى مواهب من الله تعالى لا يشترط فيها الابعاد فى التزوج . على أن مجرد صحة أبويه وسلامتهما وبعدهما عن استعمال مايضر بعقليهما وجسميهما من مسكرات ومخدرات ومكيفات ومغيبات كاف بنشء الولد ونموه نشأ طيبا ، ونموا حسنا ، لاسيما اذا كان أبواه صالحين متقيين ، وهذا مما أراه والسلام على من اتبع الهدى .

٢٩ باب

فى التزوج من غير المسلمات

تزوج الرجل المسلم بغير المسلمة كالنصرانية ، أو اليهودية فقط ، جائز شرعا ولكن ليس كل ماجازشرعا وجب فعله ، كلا بل المقصد بيان الحكم لمن ابتلى بمثل ذلك فقد قدمنا فى فصل سابق ما يلزم من العناية فى التزوج والتزويج ، وتكلمنا على ماينبغي فعله فى هذا الخصوص ومن مراجعته يفهم أن تزوج المسلم بغير المسلمة مهما كانت جميلة ، أو غنيـة ، أو ذات وجاهة ونفوذ ، جناية عظيمة من الزوج على أولاده الذين يحصلون له منها ، وسبة وعار عليهم ، ووصمة فى الأخلاق وثلمة فى الدين . وكيف يستحل المسلم مضاجعة امرأة ومعاشرتها وهى تقول له بلسان حالها ، إن نبيك الذى تعتزى اليه وتفخر به وتحترمه وتعد الايمان به واجبا عليك ، وترجو فى الدنيا معاونته ، وفى الآخرة شفاعته ، هو كاذب عندى وفى اعتقادى ليس بنبي ، ولا دينه بدين حق والعياذ بالله تعالى. ومن تفكر فى هذا ولا ترتعد فرائصه ، ولا يذهل عقله ليس بانسان . حتى ولا بحيوان ولا حجر! (وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء وإن منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما يعملون) والداهية الدهياء بعد ذلك الزواج ماهو متعارف عليه بين المسلم وغير المسلمة التي يريد أن يتزوج بها أن الأولاد بينهما قسمان ، الذكور يتبعون أباهم فى دينه وقيده بسجلات النفوس فى حكومته ، والأناث تبع لأمهم أي أنهن يكن غير مسلمات بل تابعات لدين أمهن ، يهودية كانت أو نصرانية. وفى أكثر الأحوال تنتهى هذه الصلة بين الرجل المسلم وزوجته غير المسلمة بافتراق أليم ، حيث يفرغ منها حبه ، أو تفرغ منه شهوتها ، فتأخذ بناتها منه وتذهب الى بلادها التى جاءت منها ، فتنشأ تلك البنات كافرات وأبوهم مسلم ، وكثيراً ماقتلت تلك الزوجة الكافرة زوجها المسلم ، أو تركته بعدما سلبت نعمته . ولكن البلاء الذى لايدفع ولا يمنع ، هو حصول النسل منها كما ذكرنا على أن الأولاد مطلقاً يتبعون أمهم فى أخلاقها وعاداتها وطباعها ، حيث هى المربية لهم ، ومن لازم تربيتها لهم أن يكونوا

فى مدارس الأجانب ، فهى تربيهم وهم أطفال بحسب مافطرت عليه ، والمدارس تربيهم حتى يترعرعوا ويوفعوا وجناب الوالد الماجد ينفق عليهم فى ذلك السبيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم (إنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي فى الصدور) نعم أنه ورد فى الأحاديث النبوية ثواب من يتزوج بغير مسلمة فيكون وسيلة لاسلامها ، وأى ثواب أعظم من ثواب من سعي فى خلاص نفس من عذاب النار الأبدى ، ولكن فاعل ذلك أقل من القليل . ومن الغريب أن من يتزوج بأولئك الكافرات ، أكثرهم من ذوى المظاهر والحيثيات ، ومن الوجاهة بمكانة لو طلب معها من أفضل الأسر وأعرقها فى الشرف والمجد لما رد طلبه . ولكن ران على قلبه ، وزين الشيطان له سوء عمله ، فعاد من أوروبا وهو مصطحب امرأة منها الله أعلم بجنسها ونوعها ، ويكثر أن يكون اتصاله بها مدنيا - أي على غير وجه شرعى - فيعيش معها عيشة الزناة ، وتلد له الأولاد سفاحا بغير نكاح ظلمات بعضها فوق بعض ، لاجرم أنه يصدق عليه قوله تعالى (الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات) .

٣٠ باب

فى بناء صرح الزواج على قواعد الحب

هو بناء على شفا جرف هار ، يهوى بمن بناه الى هوة من الخراب والدمار مالها من قرار ، وذلك مايحصل بين شاب وشابة فى الغالب من مسارقة نظرات ، ثم ابتسامات وإشارات ، ثم كتابات بمواعيد ملاقاة ، كما يقول احمد شوقى بك شاعر مصر المتوفى سنة ١٣٥١ :

نظرة فابتسامة فسلام فكلام فموعد فلقاء

وعند اللقاء ينكشف الغطاء ، ويصارح كل واحد الآخر بما عنده من الحب الصحيح ، والود الصريح ، والوفاء الأكيد ، والثبات العتيد ، الذى تزول عنده الجبال وهو لا يزول ، ويشهد ضميره وذمته ووجدانه على صحة مايقول ، لأن مرجل الشهوة يغلى ويفور ، وثورة الغلمة تهيج وتثور ، وكل من الطرفين - بل العاشقين الغرين - ينظر

تقابله بأعين لا بعين ، حتى اذا أخذت المحبة بينهما تزيد وتتأكد ، والقوى عندها تخور من كثرة ماتقاوم وتتجلد ، طلبها من أبيها ، أو أهليها وذويها ، وهنا المعركة فاما الفوز باجابة الطلب أو الخيبة والخسران ، فان كانت الثانية أخذ يعمل وتعمل هى أيضاً بكل ماعندهما من حيلة ودهاء ، فان كان الوصول للحصول فقد خرجت من أهلها بكل معنى الخروج ، واكتفت بذلك الزوج المحب المخاص ، وكل الصيد فى جوف الفرا ، حتى اذا حصل الاتصال ، وانفصل الانفصال ، وبلغت الشهوة مقرها المعلوم وأخذت تتصرف تصرف الموهوم بالمعلوم ، فهدأت بعد الثوران ، وسكنت بعد الهيجان تحول نظر العيون من الخيال الى الحقيقة ، فأخذ ينظر كل منهما عشيقه بغير العين التى كان ينظرها بالأمس ، فاذا هو ليس من شكلها واذا هى ليست من شكله ، فاخذت تدب بينهما عقارب النزاع والخلاف ، والتلون والاستخفاف ، وأخذ كل واحد يسلق الآخر بلسان من حديد ، بعد أن عاهدته أن تكون له جارية وعاهدها أن يكون لها من جملة العبيد. لأن الحب اذا نكح فسد ، وصار حبله الذهبى حبلا من مسد . وهذه عاقبة كل زواج بني صرحه على قواعد الحب ، من غير أن ينظر فيه عن بعد وقرب. ووقائع هذه المناكحات والزيجات كثيرة ، وعندى عن كثير منها علم بالسماع والعيان أكد لى أن الزواج الحاصل عن حب وعشق فاسد سريع التغير ، لايلبث أن يتبدل وينغص عيش من أقدم عليه ، ويندم ولكن بعد خراب البصرة .ولست أعنى بذم الزواج الحاصل عن حب مفهومه ، وهو الزواج الذى يحصل عن بغض وكراهية ؟ كلاوإنما أريد الزواج الخالص من كل شهوة بهيمية ، وذلك بأن يتطلب مريد الزواج بنت حلال بحسب شروطه التى يشترطها ، ويتوسط بذلك أهله أو من يعتمد عليه . فهذا هو الزواج الذى هو أقرب الى السلامة ، بلا ندامة ولا ملامة . لاالزواج الحاصل بسبب الحب والعشق ، وقد ذكرنا كيفيته بالرغم عما تبجح به الشبان عشاق الأوهام ويدافعون عنه ويؤيدونه بعقد المحاضرات ، ويجعلون له طرفين طرفا يؤيده وطرفا يفنده وهم شبان عزاب أغرار ، لامعرفة لهم بالزواج ، ولا بما تقتضيه الحياة البيتية ، ولا فى مقدرة واحد منهم أن يتولى أموره الذاتية بنفسه ، مما هو بدهى وعادى كقلى بيضة وخياطة زر انقطع . فما أكثر الدعوى ممن هو خال من كل علم ، وممتلىء بكل وهم

غير عارفين بالقول الذى لا يفند ولا ينتقد (اذا نكح الحب فسد) وفى الأقوال الافرنجية ، الزواج القائم على أساس الحب شؤم على الزوجين ، ومنها : محبة النساء كورد الرياض حسن المنظر ، سريع الذبول . ومنها : مهما أحبتك المرأة فهى رقيبة عليك . ومنها : ومما يدل على حماقة النساء قول بعضهن لمن يدعى حبه لها ، احلف لى أنك تحبنى دائما وأحمق منها التى تصدقه . ومنها : محبة المتحابين قبل الزواج عرض زائل ليس تحته من طائل .

باب ٣١

فى تزويج المرأة نفسها من غيرها

لا صلاحية لأية امرأة أن تتولى عقدا من العقود بنفسها ، من دون إشراف ولى على أعمالها ، نظراً لما اتصفت به من نقص العقل والدين . فانها بسبب ذلك لا تعرف عاقبة ما تريد أن تعمله أخير هو أم شر ؟ ومن ذلك الزواج ، فليس للمرأة أن تزوج نفسها بغير إذن وليها ولو من كفؤ ، لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم «أيما امرأة نكحت بغير إذن وليها فنكاحها باطل ، فنكاحها باطل ، فنكاحها باطل » - رواه الطبرانى عن عبد الله بن عمرو بن العاص - فان حصل شىء من ذلك ودخل الرجل بها فعليه لها المهر بما استحل من الاستمتاع بها ، وعلى من له بنت أو أخت أو غيرهما ممن له ولاية عليها أن يستأمرها فى الزواج ، أى أن يعرض عليها قائلا يا فلانة إن فلانا جاء يطلبك ويذكر لها ما يعلم عنه ، ولها أن تراه ، فان كانت بكراً فاذنها سكوتها ، وإن كانت ثيبا فلابد من موافقتها بالقول اذا أرادته ، وعليهما أن يصرحا بالرد بالقول اذا لم يرغبا به ، فان المرأة إذ استحيت من القول بالرضا ولو بالسكوت ، لا تستحى من الرد والامتناع بالقول ومن الأمثال التركية : لو تركت المرأة وشأنها لتزوجت طبالا أو زمارا

٣٢ باب

فى خصائص النساء

من الأقوال الحكيمة المأثورة قول : إن لله خواص فى الأزمنة والأمكنة والأشخاص . وللنساء نصيب وافر منها بحسب جنسهن ونوعهن ، سواء أكانت تلك الخاصة ممدوحة أومذمومة . قال الأصمعى المتوفى سنة ٢١٣ : بنات العم أصبر على عشرة أزواجهن ، والغرائب أنجب ، وماضرب رؤس الأبطال كابن الأعجمية . وقال ابن عبد ربه المتوفى سنة ٣٢٨ فى كتابه العقد الفريد : أنجب النساء الفروك - وهى المرأة المبغضة لزوجها - وذلك بسبب أن الرجل يغلبها على الشبق لزهدها في زوجها فما تمكنه من نفسها إلا بالغلبة والقوة . وقالت العرب : إن الرجل اذا أكره المرأة على وطئها وهي مذعورة فولدت ذكرا كان نجيبا وداهية لايطاق . وقال بعضهم: إذا أردت أن تنجب المرأة فاغضبها ثم قع عليها . قال الشاعر :

تسنمتها غضبى فجاء مسهدا وأنفع أولاد الرجال المسهد

وقال سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه : تزوجها سمراء ، ذلفاء ، عيناء فان أبغضتها فعلى صداقها (الذلفاء الصغيرة الأنف مع استواء الأرنبة والعيناء الواسعة العين) وقال الحجاج بن يوسف الثقفى المتوفى سنة ٩٥ من تزوج قصيرة فلم يجدها على ما يريد فعلى صداقها اه وقال محمد بن أبي طالب الأنصارى المتوفى سنة ٧٢٧ فى كتابه السياسة فى علم الفراسة : النساء الشاميات أوسط النساء وأعدلهن ، وأودهن ، وأطوعهن لأزواجهن . والبغداديات أجلب لشهوة الرجال وأحسن عشرة واستمتاعا . والحجازيات والفارسيات أحسن أحوالا ، وأنجب أولادا ، وأحلى منطقا ، وأطيب خلقا ، وأحفظ من غيرهن لعرضهن ، وأشكرهن لأزواجهن . والتركيات أطيب استمتاعا الى خمس وعشرين سنة ، حسان الوجوه نجباء البنين . والروميات أطهر أرحاما ، حسان الوجوه ، جيدات الخدمة . والأرمينات أحسن تربية وإرضاعا . والحبشيات والزنجيات أطيب نكهة ، وأنعم

أبدانا ، وأرق نفوسا ، وأشد طاعة . وقال غيره علاوة على قوله وذيلا له : والمصريات أكثر جاذبية للرجال وأشد رغبة بهم وأخف روحا ، وأمرح نفوسا ، وأطيب عشرة ، وأعطف على الأولاد ولكنهن مسلطات على رجالهن لا يرضين منهم بقليل ولا يقنعن بكثير . ونساء الافرنج لا خير فيهن ، ولا يوثق بهن ، ولا دوام لعهدهن ولا يتزوجن برجل إلا لطمع لهن به ، وهن أسرع تفلتا وانقلابا ، وكثيرا ما يعتدين على أزواجهن بالقتل .

٣٣ باب

فى الثيبات والأبكار

من الناس من يرى تقديم البكر على الثيب ، ومنهم من يرى تقديم الثيب على البكر لاعتبارات يجدها كل منهما فيمن يرى تقديمها ، وقد ذكر الله تعالى الأبكار فى معرض الامتنان على عباده الصالحين فقال (حور مقصورات فى الخيام كأنهن اللؤلؤ والمرجان ، لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان) وقدم الثيبات على الأبكار في آية (عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات - أي صائمات - ثيبات وأبكارا) وقد تزوج رسول الله ﷺ إحدى عشرة امرأة ليس فيهن بكر غير عائشة بنت أبى بكر الصديق رضى تعالى عنه وعنها ، ومع هذا فقد وردت أحاديث فى الحث على تزوج الأبكار منها حديث « عليكم بالأبكار فانهن أعذب أفواها ، وأنتق أرحاما ، وأقل خبا (مكرا) وأرضى باليسير من العمل » - رواه الطبرانى وغيره عن جابر - يعنى بقوله أعذب أفواها ، عفة لسانهن وصيانته من البذاءة فان البكر خفرة حيية لم تلتق بشخص غير محارمها فهى عفيفة القول والفعل ، وقوله أنتق أرحاما أى أكثر أولادا ، وقوله وأرضى باليسير من العمل أي انها تقنع بما قل من اقتراب زوجها منها حيث لم تعتد عليه من قبل فتطلب الزيادة منه ، ولحيائها من أن تطلبه . وقال معاذ بن جبل رضى الله تعالى عنه : عليكم بالأبكار ، فانهن أكثر حبا ، وأقل خبا . - الحب معلوم

والخب بفتح الخاء المعجمة وكسرها الخداع والخبث والغش. والعرب يقولون : إن المناكح خيرها الأبكار . ويرغبون بالحداثة والبكارة لأنها أخص بالولادة وهي عند العجم كذلك قال الشيخ مصلح الدين سعدى الشيرازى المتوفى سنة ٦٩١

باكيره بخير أكرجه كوراست
شوديده مخواه أكرجه حوراست

وتفسيره بالعربية: تزوج البكر ولو انها عمياء ، وإياك والثيب ولو انها حوراء . وبلغ النبي ﷺ أن رجلا من أصحابه تزوج ثيبا فقال له « هلا بكرا ـ أى لماذا لم تتزوج بكرا ـ تلاعبها وتلاعبك » فاعتذر اليه ﷺ عن تزوجه بالثيب بأن له بنات صغارا يحتجن لمن تقوم عليهن ، وتصلح من شأنهن ، فعذره. ومن هذا يفهم ترجيح التزوج بالثيب لادارة أمور البيت والقيام على مافيه من الأطفال مقام أمهم ، فان الغالب فيمن يتزوج الثيب إنما يتزوجها وهو أرمل ذو أطفال صغار ماتت أمهم ، فهو أحوج الى امرأة سبق لها إدارة البيت ورؤية أموره ، وهذا فى الثيب أكثر منه في البكر ولأن الغالب فى الثيب أن تكون متقدمة فى سنها ، والبكر صغيرة بعد ، والأكبر سنا ، أكثر علما ، وأوسع خبرة . وقد يصعب على الأرمل أن يتزوج ببكر حيث لايوافقه أهلها على تزويجهم لها منه بحجة أنها صغيرة بعد تريد أن تتمتع بزوجها ويتمتع بها ، لا أن تكون رابة لأولاد ، وقيمة على بيت. والحصول على الثيب أسهل تناولا ، وأقل كلفة ، وربما كانت تعبة من زوجها الأول فترتاح مع الثانى وتتجنب معه أسباب كل اختلاف ، ففى الثيب منافع وفى البكر فوائد . منها أنها أكمل فى المودة ، وأحب للزوج ، لأنه أول واحد عرفته ولا تطمع نفسها بأن تعرف غيره بعده ، بخلاف الثيب فانها قد تطمع فى زوج ثالث ورابع وهلم جرا ، خصوصا إذا كانت من أهل بلاد يكثر فيها الطلاق والاتجار بالأزواج ، فانها ماتكاد تستقر مع زوج حتى تحدث بينه وبينها خلافا ونزاعا وشقاقا وبقدر ماعندها من الوقاحة وما عند زوجها من السكون والدعة تكون الغلبة لها فتفارقه وما أسرع ماتتزوج بغيره . وقد ورد فى الحديث الشريف مدح الأرملة ـ وهى التي مات عنها زوجها ـ اذا صبرت واحتسبت مصابها بزوجها عند الله تعالى ، قال

رسول الله ﷺ « الأرملة الصالحة سميت فى السماوات شهيدة » وقد أبدع الحريرى المتوفى سنة ٥١٦ رحمه الله تعالى فى مدح كل من البكر والثيب وذمهما حيث قال فى المقامة البكرية في مدح البكر: أما البكر فالدرة المخزونة ، والبيضة المكنونة والباكورة الجنية ، والسلافة الهنية ، والروضة الأنف ، والطوق الذى ثمن وشرف لم يدنسها لامس ، ولا استغشاها لابس ، ولا مارسها عابث ، ولا وكسها طامث . لها الوجه الحيي ، والطرف الخفى ، واللسان العيي ، والقلب النقى . ثم هى الدمية الملاعبة ، واللعبة المداعبة ، والغزالة المغازلة ، والملحة الكاملة ، والوشاح الطاهر القشيب والضجيع الذى يشب ولا يشيب * وقال فى ذمها : - هى المهرة الأبية العنان والمطية البطيئة الاذعان ، والزندة المتعسرة الاقتداح ، والقلعة المستصعبة الافتتاح ثم إن مؤنتها كثيرة ، ومعونتها يسيرة ، وعشرتها صلفة ، ودالتها مكلفة ، ويدها خرقاء وفتنتها صماء ، وعريكتها خشناء ، وليلتها ليلاء ، وفى رياضتها عناء ، وعلى خبرتها غشاء وطالما أخزت المنازل ، وفركت المغازل ، وأحنقت الهازل ، وأضرعت الفنيق البازل . ثم انها تقول أنا ألبس وأجلس ، فأطلب من يطلق ويحبس * ومدح الثيب فقال: وأما الثيب فالمطية المذللة ، واللهنة المعجلة ، والبغية المسهلة ، والطبنة المعللة ، والقرينة المتحببة ، والخليلة المتقربة ، والصناع المدبرة ، والفطنة المختبرة ، ثم إنها عجالة الراكب ، وأنشوطة الخاطب ، وقعدة العاجز ، ونهزة المبارز ، عريكتها لينة وعقلتها هينة ، ودخلتها مبينة ، وخدمتها مزينة * وذمها فقال : أترغب فى فضلة المآكل وثمالة المناهل ، واللباس المستبذل ، والوعاء المستعمل ، والذواقة المتطرفة ، والخراجة المتصرفة ، والوقاح المتسلطة ، والمحتكرة المتسخطة ، كلمتها كنت فصرت ، وطالما بغي على فنصرت ، وشتان بين اليوم وأمس ، وأين القمر من الشمس اه وفى كتاب أساس الاقتباس لاختيار الدين الحسيني المتوفى سنة ٩٢٨ : أن على بن الجهم الشاعر المتوفي سنة ٢٤٩ تزوج صبية على امرأته فعاتبته فقال :

قالت عشقت صبية فأجبتها أشهي المطى الى مالم يركب
كم بين حبة لؤلؤ مثقوبة لبست وحبة لؤلؤ لم تثقب

فاجابته امرأته على الفور وكانت ثيبا لما تزوج بها :

إن المطية لايطيب ركوبها مالم تذلل بالزمام و تركب
والدر ليس بنافع أصحابه مالم ينظم في العقود ويثقب

وعزا صاحب العقد الفريد ابن عبد ربه المتوفي سنة ٣٢٨ هذه الحكاية الى غير علي بن الجهم فقال : كانت فضل المتوكلية (جارية المتوكل) الشاعرة ثيبا ، فأراد ابو دلف العجلي أن ينكت عليها فأنشد ذينك البيتين ، وأجابته هي بما ذكر . وفي العقد الفريد أيضا : قال رجل اردت النكاح فاستشرت من أأتمنه فقال : البكر لك والثيب عليك ، وذات الولد لاتقربها ، وتزوج امرأة تنظر فى يدك لاتنظر فى يدها - أى تزوجها فقيرة تري أنها محتاجة اليك لا غنية تراك محتاجا اليها - وحذر بعض الشعراء من التزوج من الاثنتين البكر والثيب فقال :

توق النساء على عفة ليجزيك الواحد القيم
فأبكارهن ابتكار البلاء وأيمهن هى الأيم

البكر هى العذراء التى لم تتزوج ، والبقرة الفتية . قال الله تعالى (لافارض ولا بكر) والسحابة الغزيرة ، واول مولود لأبويه ، ويقال صبي بكر ، وبنت بكر بلفظ واحد فيهما والجمع أبكار ، وأول كل شيء ، والضربة البكر القاطعة القاتلة ، والأيم بفتح الهمزة وتشديد الياء المكسورة كالقيم المرأة التى فقدت زوجها ، والرجل الذى فقد زوجته أيضا والجمع أيائم وأيامى للنساء والرجال ، وأيمون للرجال ، وأيمات للنساء خاصة ، والأيم آخر البيت هى الحية ، والعزب كسبب الرجل الذى ليس له زوجة أى لم يتزوج بعد وهو أيضا المرأة كذلك ، ويقال فيها عزبة ايضا ، وأهل مصر يقولون العازبة لمن كان لها زوج وطلقها ، وبالحقيقة هي أرملة أى كان لها زوج وفقدته بطلاق أو موت أو غيبة منقطعة ، والرجل أرمل كذلك ، والجمع أرامل . قال الشيخ امين الجندى المتوفى سنة ١٢٥٧ :

وفى العيد عادات الكرام لقد جرت ببر اليتامى وافتقاد الأرامل

باب ٣٤

فى وصايا العرب لمن يزوجون

مابلغنى ولا علمت عن اهل بيت اذا زوجوا بنتالهم اوصوها بمايلزم لها فى عشرة زوجها ورفاقته ، ومايجب ان تقابله به لينتظم الشمل بينهما ، ولاسمعت عن اب اوام اوصت ولدها بما يلزم اتخاذه من المعاملة الحسنة لزوجها ، لاسيما فى ليلة زفافها له وبنائه بها ، كلا بل انهما كهم فى العرس وما يكون فيه شغلهم عن كل ما سواه ، حتى لا يخطر لهم شيء من مقتضيات حسن المعاشرة يوصى به كل من الزوجين كأن الزواج لمجرد قضاء الشهوة لا لتأليف الشمل ، وتكثير الأهل ، وحسن المعاشرة ، وسعادة العائلة . ولكن العرب فى صدر الاسلام وقبله فهموا وعرفوا الغاية من الزواج اكثر مما عرفناه نحن معاشر المسلمين المتأخرين فى كل شيء. فقد كانوا يوصون من يريدون تزويجها فيقولون : احسني خلقك ، واكرمى زوجك ، وتحببى الى احمائك فان لهم عينا ناظرة إليك ، واذنا سامعة عليك وليكن طيبك الماء ـ يعنون المبالغة فى النظافة ـ ولما زوج عوف بن محلم الشيباني ابنته ام إياس من عمرو بن حجر جد امريء القيس الشاعر المشهور المتوفى قبل الاسلام بنحو مئة وعشرين سنة خلت بها امها ليلة بنائه بها فقالت لها اي بنية إنك قد فارقت بيتك الذى منه خرجت ، وعشك الذى فيه درجت الى رجل لم تعرفيه ، وقرين لم تألفيه ، فكونى له امة يكن لك عبدا ، واحفظي له عشر خصال يكن لك ذخرا ، الخشوع له بالقناعة ، وحسن السمع والطاعة ، والتفقد لموضع عينه وانفه ، فلا تقع عينه منك علي قبيح ، ولا يشم منك إلا اطيب ريح ، والتفقد لوقت منامه وطعامه ، فان تواتر الجوع ملهبة ، وتنغيص النوم مغضبة ، والاحتراس على ماله ، والارعاء على حشمه وعياله ، وملاك الأمر فى المال حسن التقدير ، وفى العيال حسن التدبير ، ولا تعصين له امرا ، ولا تفشين له سرا ، فانك إن خالفت امره اوغرت صدره ، وإن افشيت سره لم تأمنى مكره ، ثم إياك والفرح بين يديه اذا كان مغتما والكآبة بين يديه اذا كان فرحا اه قال الكمال أحسن الله تعالى اليه : لله ما أحسنها من وصية جامعة لكل أسباب الهناء والرخاء ، والسعادة بين الزوجين لو عملا بها ما حصل

خلاف بينهما على وجه الأرض أصلا . وعن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه: كان أصحاب رسول الله ﷺ اذا زفوا امرأة على زوجها يأمرونها بخدمة الزوج ومراعاة حقه. وأوصى سيدنا عبد الله بن جعفر بن ابى طالب رضى الله تعالى عنه ابنته فقال: إياك والغيرة فانها مفتاح الطلاق، وإياك وكثرة العتب فانه يورث البغضاء، وعليك بالكحل فانه أزين الزينة وأطيب الطيب الماء . وقال ابو الدرداء رضى الله تعالى عنه لامرأته: إذا رأيتيني غضبت فرضيني، وإذا رأيتك غضبت رضيتك وإلا لم نصطحب . وقال رجل لزوجته :

خذى العفو منى تستديمي مودتى ... ولا تنطقي فى سورتي حين أغضب
ولا تنقريني نقرك الدف مرة ... فانك لا تدرين كيف المغيب
ولا تكثرى الشكوى فتذهب بالقوى ... ويأباك قلبى والقلوب تقلب
فانى رأيت الحب فى القلب والأذى ... اذا اجتمعا لم يلبث الحب يذهب

فهل فى نسائنا الراقيات ، ورجالنا المتمدنين ، بل المسلمين الذين هم متمسكون بالدين من ينحو نحو من ذكر ، فى الوصايا بهذه ؟ !

٣٥ باب

فى التهنئة بالزواج

يهنىء الأدباء من يعرفونه ممن يتزوج فيقولون له : جمع الله شملك ، وأدام طولك وأقر عينك، وحسن حالك. ويقولون: على الرفاء والبنين والبنات، والتيسير والبركة وسعد السعود، وأيمن الجدود وجعلها الله ودودا ولودا وجمع شملكما على الخير والبركة ولا زال هذا الزواج موصولا بنماء العدد . وزكاء الولد ، واتصال الحبل ، وتكثير النسل ، وهنأ ايوب بن القرية البليغ المتوفى سنة ٨٤ بعض اصحابه بزواجه فقال له باليمن والبركة ، وشدة الحركة والظفر بالمعركة . وهنأ بعضهم معرساً فقال : بالرفاء والثبات والبنين والبنات. اى بالتئام الشمل ، وكثرة النسل ، ودوام الوصل ، واحسن من هذا كله اتباع ماورد فى السنة السنية ففي الحديث الشريف «اذا تزوج أحدكم فليقل له بارك الله لك وبارك عليك » - رواه الطبرانى عن عقيل بن ابى طالب - وفى

حديث آخر « اذا تزوج أحدكم أو اشترى جارية أو فرسا فليضع يده على ناصيتها وليدع بالبركة » وأخرج ابو داود والترمذي وابن ماجه عن ابي هريره رضى الله تعالى عنه أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان اذا رفأ إنسان (أى تزوج) قال « بارك الله لك وبارك عليك ، وجمع بينكما فى خير » وأخرج الطبرانى عن هبار أن النبي صلى الله عليه وسلم شهد نكاح رجل فقال « على الخير والبركة ، والألفة والمحبة والطائر الميمون ، والسعة فى الرزق بارك الله لكم » واخرج ابن ماجه وابو يعلى عن عقيل بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه انه تزوج فقيل له : بالرفاء والبنين . فقال : لا تقولوا هكذا ، ولكن قولوا كما قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، على الخير والبركة بارك الله لك وبارك عليك . والعرب تهنىء الزوجة فيقولون لها : أيسرت وأذكرت وجعل الله منك عددا ، وعزا وخلدا .

وليمة العرس

يسن إعلان النكاح والضرب فيه بالدف وذلك لدفع الشبهة ، وللترغيب بالتزوج وتسن الوليمة وهى الاطعام فى العرس كل بحسب طاقته . وهى سنة عند الامام الأعظم ابى حنيفة رضى الله تعالى عنه ، وعند الامام مالك ، والامام احمد بن حنبل ، وعند الامام الشافعى فى احد قوليه ، وواجبة فى القول الثاني . قال الشاعر :

طعام العرس منـــدوب اليه وبعض الناس صرح بالوجوب

ولا يكره النثار فى العرس ولا التقاطه عند ابى حنيفة واحمد ، وقال مالك والشافعى يكره .

أنواع المطاعم وأسماؤها

وبمناسبة ذكر الوليمة وهى طعام العرس نذكر انواع المطاعم عند العرب واسماؤها فنقول : القرى بكسر القاف وفتح الراء ما يقدم للضيف من الطعام والمأدبة طعام الدعوة والتحفة طعام الزائر والشدخية طعام الاملاك بكسر الهمزة وهو عقد النكاح والوليمة طعام العرس والخرس طعام الولادة والعقيقة طعام

يعمل فى اليوم السابع من ولادة الطفل والعذيرة طعام الختان وهي مستحبة عند أبي حنيفة ومالك والشافعي والوضيمة طعام المأتم والنقيعة طعام القادم من سفر والوكيرة طعام البناء والعسلفة واللهنة طعام المتعلل قبل الغداء والعجالة طعام المستعجل قبل إدراك الغداء والقفى والزلة طعام الكرامة اه

العرس والعروس والعريس

تطلق العامة وصف العروس على المتزوجة فى الأسبوع الأول من زواجها ووصف العريس على المتزوج كذلك ، ولكن الصحيح ان العرس بكسر العين وسكون الراء امرأة الرجل ورجلها ، يقال هو عرسها . وهى عرسه - اى امرأته - وهما العرسان والعرس الرجل والمرأة ماداما فى أعراسهما ، وهم عرس بضم العين الراء وهن عرائس ولا يستعمل العروس للمرأة خاصة . والعريس للرجل مولدة أى ليست بعربية صحيحة ، ولا يقال للمرأة عروسة إلا فى لغة قليلة ، والعروس بضم العين ، وسكون الراء حفلة الزواج وما يكون فيها مما هو متعارف عليه فى البلاد كل بحسبه ، وفى الأمثال العربية كاد العروس يكون أميرا ، لاعطر بعد عروس .

أسماء الزوجة

يقال هى حليلته وقرينته ، ورفيقته ، وظعينته ، وقعيدته ، وقعيدة بيته ، وحنته وربضه ، وعرسه ، ولباسه ، وإزاره ، وبيته ، وفراشه ، وطلته بفتح الطاء ، وزوجه وزوجته فى لغة قليلة ، وقد اتبعتها فى كتابى هذا فى كل ماتذكر فيه الزوجة رعاية للعرف الشائع فى كل البلاد ، مع علمى بأنها فى لغة قليلة وهى كذلك مستعملة فى اصطلاح علم الفرائض .

٣٦ باب

فصل فى أن الرجل سيد زوجته وليست هى سته

الزوج سيدزوجته بنص القرآن الكريم قال الله تعالى حكاية عن امرأة عزيز مصر (وألفيا سيدها لدى الباب) أى زوجها ، وله عليها العلو والسيادة ، وهى لها التحتية منه . قال الله تعالى (ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما) ويجوز للرجل أن يحترم زوجته قولا وعملا ، بل هو أدعى للألفة بينهما ، فله أن يقول لها فى النداء : ياست لأنهاسيدة من فى البيت ، وفى الأخبار بأن يقول : جاءت الست ، والست غائبة ، وأما نداؤها أو الاخبارعنها بالاضافةالى ياء المتكلم فهو من صنيع المصريين خاصة ، اخذوه بالتوارث المتصل الى زمن الفراعنة. قال الشيخ احمد بن سلامة القليوبى المتوفى سنة ١٠٦٩ فى كتابه المسمى نوادر القليوبى ماحاصله : ولما أغرق الله فرعون وجنوده فى اليم بقيت النساء بلا أزواج فعمدن الى التزوج بخدمهن ،فكان الخادم مع كونه زوجا لايخرج عن مقام الخدمة بل كان خادما يؤدى الواجب عليه ، ويعبر عن زوجته بلفظ ستي ، واستمر هذا الخطاب جاريا الى زماننا هذا اه ولا تجد كبيراً ولا صغيراً يتحاشى اويترفع عن أن يقول عن زوجته ستى نداء واخباراً،وهو تواضع منه فى غير محله ، وتغيير لوضع الله تعالى كما ذكرته آنفاً من الآيتين (١) ولكن بالنظر لتسلط النساء على الرجال وهو فى مصر اكثر منه فى غيرها لم يجد الرجال تملصا ولا تخلصا من قول ستى مهما كان الرجل عظيما ، وهو مالا يتوافق مع مقام الرجولة ولكن :

وما المرء إلا حيث يجعل نفسه   فان شاء اعلاها وإن شاء سفلا

---

(١) لم أدر من أين جاء حضرة المؤلف بذلك ونحن فى مصر نشاهد رجالها ونساءها ولم نسمع أن أحد الأزواج يقول لزوجته ياستي بل الغالب نداؤها باسمها المجرد إلا ان يحكى عنها فيقول : الست بتاعتى . وللخادم ارسل هذا للست واما اعتماده على ما ذكره القليوبى فقد يكون فى غير محله اه مصححه

باب ٣٨

فى يمن المرأة وشؤمها

جمع الله فى المرأة الخير والشر، والنفع والضر، والحلو والمر، والعسر واليسر بحسب ماشتملت عليه طبيعتها، وقامت به تربيتها، قال رسول الله ﷺ «فجور المرأة الفاجرة كفجور الف فاجر، وبر المرأة الصالحة كعمل سبعين صديقا» - رواه ابو الشيخ عن عبد الله بن عمر بن الخطاب - وقد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم يمنها بقوله «يمن المرأة أن يتيسر فى خطبتها وأن يتيسر صداقها، وأن يتيسر رحمها» وقال فى حديث آخر «من يمن المرأة تبكيرها بالأناث» - رواه ابن عساكر عن واثلة بن الاسقع - وذكر شؤم المرأة ولم يبين نوعه لاحتمال أن يكون فى أشياء كثيرة، فقال: «إن كان الشؤم فى شىء ففى المراة والدار والفرس» - رواه الامام احمد ومالك والبخاري ومسلم والنسائى عن سهل بن سعد وابن عمر وجابر - وهذا الحديث ظاهر الصدق فى مدلوله، فكم من امراة مطلقا سواء أكانت غنية أو فقيرة، رفيعة او وضيعة، كانت يمنا على زوجها فحسن حاله بعد سوئه وظهر شأنه بعد خموله، وغنى بعد ما كان فقيرا. وكم من امرأة كانت شؤما على زوجها فساء حاله وخمل، وافتقر واصبح عبرة لمن اعتبر. وقد صدق هذا الحديث ايضا قول العوام: اعتاب وابواب ونواص واقدام وكذلك قل فى الدار والفرس ولا ادرى بماذا يعلل به هذا الشؤم منهما، والبيت من مقولة الجماد، والفرس من مقولة الحيوان؟ ولئن قلت إن الفرس قد يجمح براكبه فيرديه، او يصيب احدا بسوء يعود شره على راكبه فما هو سبب الشؤم فى الدار؟ ذلك مالم أجد له تعليلا وهو أمر واقع.

٣٨ باب

فى طاعة الزوج وعصيانه وشكره وكفرانه

هذا بحث هام يجب على النساء أن يقرأنه أو يقرأ لهن بدقه واعتناء ، لما يترتب عليه من الخير لهن ، والشر عليهن . وذلك بسبب أن ليس لأحد حق على أحد كما للرجل على زوجته ، فانه ولى أمرها ، وصاحب عصمتها ، والقائم عليها بما يلزم لها ، والساد لحاجاتها ، والمتكفل بكل ماهى محتاجة إليه ، فلا مرجع لها سواه ولا اعتماد لها بعد الله تعالى إلا عليه ، وبمجرد ماتزوجت به فقد انقطعت الرابطة بينها وبين أبويها وإخوتها ، واتصلت بذلك الزوج الجديد الذي عرفته بحكم الشرع وسنة النكاح ، فأصبحت تنسب إليه ، فيقال زوجة فلان ، وشاركته فى نسبه وتخلت عن نسبها لأبويها ، فقيل فلانة الفلانية ، نسبة الى زوجها لانسبة الى أسرة أبيها أو أمها ، وليس معني ذلك التخلي والتبرى من نسبها لأبيها كلا وإنما معناه قوة رابطتها بزوجها ، سواء أكان رفيعاً أو وضيعا ، وفى مقابلة ذلك كله لم يكلفها الله تعالى إلا اتباع أمره ، واجتناب نهيه ، فى كل مايجوزه الشرع ويمنعه . ولهذا الوعد بالثواب العظيم للمرأة المطيعة لزوجها ، والوعيد بالعقاب الأليم للمرأة التى تعصيه ، قال رسول الله ﷺ « يامعشر النساء التمسن مرضاة أزواجكن ، فان المرأة لو تعلم ماحق زوجها لم تزل قائمة ماحضر غداؤه وعشاؤه » ـ رواه أبو نعيم عن على ـ وقال فى حديث آخر « لو كنت آمر أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها » ـ رواه النسائى عن أبى هريرة ـ وقال فى حديث آخر « أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة » ـ رواه الترمذى وابن ماجه والحاكم عن أم سلمة ـ وقال فى حديث آخر » المرأة لاتؤدى حق الله حتى تؤدى حق زوجها كله » ـ رواه الطبرانى عن زيد ابن أرقم ـ وقال فى حديث آخر « انه ليس من امرأة اطاعت ربها ، وأدت حق زوجها وتذكر حسنه ولا تخونه فى نفسها وماله ، إلا كان بينها وبين الشهداء درجة واحدة فى الجنة ، فاذا كان زوجها مؤمنا حسن الخلق فهى زوجته فى الجنة ، والا زوجها الله من الشهداء » وقال فى حديث آخر « اذا صلت المرأة خمسها ، وصامت شهرها ، وحفظت

فرجها ، وأطاعت زوجها، قيل لها ادخلي من أي أبواب الجنة شئت » - رواه ابن حبان عن أبي هريرة - وقال في حديث آخر « الا إن النار خلقت للسفهاء وهن النساء ، إلا التي أطاعت بعلها » وقال في حديث آخر « اذا قالت المرأة لزوجها ما رأيت منك خيرا قط فقد حبط عملها » - رواه بن عدي وابن عساكر عن عائشة - وقال في حديث آخر « أيما امرأة اغضبت زوجها فعليها لعنة الله » وقال في حديث آخر « اذا باتت المرأة هاجرة لفراش زوجها لعنتها الملائكة حتى تصبح » - رواه الامام احمد والبخاري ومسلم عن أبي هريرة - وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ان رسول الله ﷺ قال « والذي نفسي بيده ما من رجل يدعو امرأته الى فراشه فتأبى عليه إلا كان الذي في السماء ساخطا عليها حتى يرضى عنها زوجها » وفي رواية « اذا دعا الرجل امرأته الى فراشه فأبت أن تجيء فبات غضبان لعنتها الملائكة حتى تصبح » وفي رواية « حتى ترجع » - رواه الامام احمد والبخاري ومسلم والترمذي عن أبي هريرة - وعن ابن عباس مرفوعا « ثلاثة لا ترتفع صلاتهم فوق رأسهم شبرا » وفي رواية « ثلاثة لا تقبل لهم صلاة ولا تصعد لهم الى السماء حسنة : العبد الآبق حتى يرجع الى مواليه فيضع يده في أيديهم ، والمرأة الساخط عليها زوجها حتي يرض ، والسكران حتي يصحو » - رواه ابن ماجه - وفي حديث آخر « ثلاثه لا تمسهم النار المرأة المطيعة لزوجها والولد البار بوالديه والمرأة الصبور على غيرة زوجها » وفي حديث آخر « اذا صلت المرأة خمسها ، وصامت شهرها ، وحفظت فرجها وأطاعت زوجها ، دخلت الجنة » - رواه البزار عن أنس والامام احمد عن عبد الرحمن الزهري والطبراني عن عبد الرحمن بن حسنة - وفي حديث آخر قيل يارسول الله أي النساء خير؟ فقال « التي تسره اذا نظر لها ، وتطيعه اذا أمرها ، ولا تخالفه في نفسها ولا ماله بما يكره » - رواه الامام احمد والنسائي والحاكم عن أبي هريرة - وفي حديث آخر « خير نسائكم الودود الولود المواسية المواتية اذا اتقين الله ، وشر نسائكم المتبرجات المتخيلات وهن المنافقات لا يدخل الجنة منهن إلا مثل الغراب الأعصم » - رواه البيهقي عن ابن أبي أذينة الصدفي مرسلا وعن سليمان بن يسار مرسلا.

إخلاص المرأة اليابانية لزوجها

يقضى نظام المجتمع اليابانى أن تخلص المرأة لزوجها ، وان تجعل نصب عينيها سعادته وراحته فى داخل منزله وخارجه ، وطاعة الزوجة لزوجها أساس الزواج عندهم، فالزوجة تطيع زوجها طاعة زائدة بحيث لاتسأله عن شيء لماذافعله ، أو لماذا لم يفعله ، ولا تخالفه فى شيء أمرها به سواء أوافقها أم لم يوافقها حتى انها لاتجلس أمامه أو الى جنبه حتى يأذن لها بالجلوس ، ويسمح لها به . وعليها ان تلزم الأدب أمامه ، وتتظاهر بالحب له سواء أكان حبها حقيقيا أومصنعا ، واذا خرج الى عمله شيعته الى باب الدار وودعته وداعا حارا ، واذاعاد استقبلته بخشوع وابتهاج بعودته ووفرت له أسباب الراحة والهناء وهى مع ذلك تجد لذة فى إداء هذا الواجب عليها ولا تعده ذلا أوإسارة ، لأخذها هذه الصفات بالوراثة عن أمها وجدتها فمافوقهما .

فهذه هى المرأة في بلاد اليابان ، تلك الأمة التى لاتعد بنظر الشرع امة ذات كتاب سماوى كالمسلمين والنصارى واليهود ، ومع ذلك لقد بلغت من الرقى والحضارة فى الماديات والمعنويات مالم يبلغه غيرها من الأمم إلا المسلمين فى سالف عهدهم وتالد مجدهم .

تصرفات الزوجة وأحكامها

تصرف المرأة فى مالها أو مال زوجها موقوف الصحة على إذنه ورضائه ، فمالم يأذن لها أو يرض به لايصح وتأثم فى تصرفها ، وذلك بنص الأحاديث النبوية الواردة فى ذلك ، منها حديث « لايجوز لامرأة أن تعطى إلا باذن زوجها » وحديث « لايجوز لامرأة عطية إلا باذن زوجها » - رواه أبوداود عن عبدالله بن عمر - وحديث « لايجوز للمرأة فى مالها أمر إلا باذن زوجها » - رواه البغوى عن عبد الله بن يحي الأنصارى عن أبيه عن جده - وحديث « كلكم راع وكلكم مسؤل عن رعيته ، والمرأة فى بيت زوجها راعية وهى مسؤلة عن رعيتها » - رواه الامام احمد والبخارى

ومسلم وأبو داود والترمذى عن عبد الله بن عمر - وحديث « لا يحل للمرأة أن تصوم وزوجها شاهد إلا باذنه ، ولا تأذن فى بيته إلا باذنه ، ولا تقوم من فراشها فتصلى تطوعا إلا باذنه » - رواه الطبرانى عن ابن عباس - وقد بينت الأحكام الفقهية ان المراد من الصوم صوم النافلة لا صوم الفرض ، فلا يجوز للمرأة أن تتنفل بصوم لاحتمال أن يكون له أرب فى قربه منها ، فاذا كانت صائمة منعه صيامها عن الاستمتاع بها ، واستمتاع الزوج بزوجته أفضل من نفل العبادات لما فيه من صون النفس عن الوقوع فى المحرم ، واستجلاب مسرة زوجته فى فعل ماهو أحب اليها من كل شىء ، ولما فيه من أصل حصول الحمل ومجىء ذرية يكثر بهم عدد المسلمين ويكونون عونا لوالديهم فى الدنيا والدين ، وانما لم تجز تصرفات المرأة بنفسها لأنها كما وصفها الحديث الشريف ناقصة عقل ودين ، فربما تتصرف بشىء من مالها أو مال زوجها وهى تحسب أن تصرفها هـذا حسن وهو فى الحقيقة سىء لعدم تمام إدراكها ، ولكون جميع أعمالها تكون عن شهوة لا عن تبصر فى الحقيقة ، وهذا هو الغالب فى النساء ، وان كن فيهن عاقلات مدبرات . وإنما الحكم يبنى على الغالب لعدم إمكان التمييز بين العاقلة والجاهلة وقال فى حديث آخر « لا تؤذى امرأة زوجها فى الدنيا إلا قالت زوجته من الحور العين لا تؤذيه قاتلك الله فانما هو عندك دخيل يوشك أن يفارقك الينا » - رواه الامام احمد والترمذى وابن ماجه عن معاذ - وفى هـذا الحديث إشارة الى أن موت الأزواج قبل زوجاتهم أكثر من موت الزوجات قبل أزواجهن وهو الواقع (١) وإطاعة المرأة لزوجها واجبة فى كل الأديان السماوية ، ففى الديانة النصرانية يقول الرئيس الدينى الذى يتولى حفلة عقد القران بين العروسين : هل تعدين أن تحبى زوجك وتطيعيه ؟ لأن هـذين الأمرين أساس عندهم فى صحة العقد ، مأخوذ من قول رسلهم : أيتها النساء أطعن أزواجكن . والمادة الرابعة عشرة بعد المائتين (٢١٤) من القانون المدنى الفرنسوى صريحة فى وجوب خضوع المرأة لزوجها ، والمعيشة معه ، والذهاب معه حيث

---

(١) قول المؤلف وهو الواقع يكذبه الواقع فلقد توفى له - أطال الله عمره - زوجتان وله ميدان لم يزل فسيحا لأخذ ثالثة ورابعة اهـ مصححه .

يذهب ، وله أن يلزمها بعودتها الى منزله إن كانت قد تركته من غير سبب ، وينفذ هذا الالزام بقوة الحكومة المحلية ، وله أن يمنع عنها النفقة . وأن يحجز كل مايرد لها حتى تعود اليه ، ويحكم له بكل هذا إلا اذا كانت هناك أسباب تجعل الزوجة لا تستطيع أن تعاشر زوجها اهـ من مقالة لشمس الدين الغرياني الموظف بدار الكتب في مصر .

باب ٣٩

فى اطاعة الرجال للنساء

من أشراط قرب يوم القيامة وعلاماتها كما جاء فى الحديث الشريف ، أن يعق الرجل أباه وأمه . ويطيع زوجته ، فان طاعة الزوجة لا تأتى بخير فى الغالب لأن النساء لا يتكلمن إلا بما فيه هوى لهن ، سواء أكان كلامهن نصحا أو زجرا ، اوذما أو مدحا ، ولذلك جاءت أحاديث كثيرة فى النهى عن إطاعة الرجل امرأته وهو أمر معقول ، فان من النقص أن ينزل الرجل نفسه فى غير منزلتها اللائقة بها ، فان الله تعالى جعل الرجال قوامين على النساء ، ومن هو قائم على شىء فهو افضل منه من كل جهة ومن شأنه ان يكون مطاعا لا مطيعا ، ومتبوعا لا تابعا ، بسبب ما أتاه الله تعالى من كمال العقل ، وتمام القوة ، واستجماع الفكرة ، وحصافة الرأى ، وسلامته من الهوى نعم أن له أن يستشير زوجته وينظر فى رأيها . ويبين لها صوابه من خطئه ، وله ان يداريها ويماشيها على فكرها فيما تريده مما ليس محرما ولا مكروها ، كى لا يكون فى عشرته معها جافيا قاسيا فظا غليظا ، وكثير من المسائل يستأنس بها بآراء النساء لا سيما فيما لا يعلم إلا من جهتهن ، ولذلك جاء فى الحديث الشريف « آمروا النساء فى بناتهن » - رواه ابو داود والبيهقى عن عبد الله بن عمر - يعنى أنه اذا اراد الرجل أن يزوج ابنته من أحد من الناس فعليه أن يستشير امها (امرأته) فى ذلك لاحتمال ان يكون بينها وبين ام الطالب او احد من اهله معرفة فتجيب حينئذ بالموافقة او بالسلب عن علم ، ويستدل من هذا الحديث لزوم الاستشارة فيما لهن به خبرة ومعرفة

والأحاديث الواردة فى النهى عن طاعة النساء المراد منها الطاعة العمياء وهى المجهولة العاقبة أو التي يعلم ان عاقبتها شر فهذه يجب على الرجال اجتنابها والتوقى منها، ومن الأحاديث الواردة فى النهى عن إطاعة النساء واستشارتهن فيما ليس لهن به علم قوله صلى الله عليه وسلم «طاعة النساء ندامة». - رواه ابن عساكر والقضاعى عن عائشة - وحديث «لاتزال الرجال بخير مالم يطيعوا النساء» - رواه الدارقطنى عن سهل بن سعد - وحديث «من أطاع امرأته في أربع كبه الله فى النار على وجهه؛ أن يطيعها فى ان تذهب الى العرسات، والى المعلمات، والى الحمامات، والى الجنائز» وحديث «هلكت الرجال حين أطاعت النساء» - رواه الامام احمد والطبراني والحاكم عن أبى بكرة - وحديث «لا يقدس الله أمة قادتهم امرأة» - رواه الطبرانى - وحديث «لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة» - رواه البخارى والترمذي والنسائى واحمد بن حنبل - وحديث «النساء لا يستشرن ولا يختبرن» وحديث «شاوروهن وخالفوهن».

وقال سيدنا الحسن السبط المتوفى سنة ٤٩ بن على رضى الله تعالى عنهما: ما أصبح رجل يطيع امرأته فيما تهوى إلا كبه الله فى النار. وقال سيدنا عمر بن الخطاب المتوفى سنة ٢٣ رضى الله تعالى عنه: خالفوا النساء فان فى خلافهن البركة. وقال لقمان الحكيم عليه السلام لابنه: يابنى اذا أردت ان تقوى على الحكمة فلا تملك نفسك للنساء، فان المرأة حرب ليس فيها صلح، إن أحبتك أكلتك، وإن أبغضتك أهلكتك. وفى كتب الأدب: طاعة النساء ندامة، ومشاورتهن غرامة، اعص هواك والنساء وأطع من تشاء. طاعة النساء تردى العقلاء، وتذل الأعزاء. وكان فى بنى إسرائيل رجل اعطى ثلاث دعوات مستجابات، وكانت له امرأة، فقالت اجعل لى منها واحدة؟ فقال لك منها واحدة، فقالت ادع الله أن يجعلني أجمل امرأة فى بنى إسرائيل، فدعا فصارت فلما رأت نفسها أن ليس مثلها أحد رغبت عن زوجها، فدعا عليها فانقلبت كلبة فجاءه أهلها فقالوا ليس لنا على هذا قرار، ادع الله أن يردها بحالها الأول، فدعا فعادت وذهبت دعواته الثلاث فيما لا فائدة له به بسبب إطاعته لامرأته. ويسوغ نقل هذه الحكاية على علاتها حديث «حدثوا عن بنى إسرائيل ولا حرج» - رواه أبو دواد عن أبى هريرة - وذكر الجاحظ المتوفى سنة ٢٥٥ فى كتابه المحاسن والأضداد: أن تحية الدخول على ملوك الفرس أن يقول الداخل: عشت أيها الملك بسعادة الجد

ورزقت الظفر على الأعداء ، وأعطيت الخير ، وجنبت طاعة النساء . وقال الأستاذ الفاضل الشيخ مصطفى أبو سيف الحمامى (نسبة الى حمام بلدة فى صعيد مصر) خطيب المسجد الجامع الزينى والمدرس فيه فى خطبة من خطبه المنبرية : إن فى زمانك هذا رجالا فى غاية الضعف أمام النساء ، المرأة مع أحدهم حبلها على غاربها تفعل ماتشاء وتترك ماتشاء ، ولا تعجب إذا قلت لك إن الولاية المطلقة للنساء على هؤلاء ، وهذا الطراز ليس بقليل عندنا بل تأكد أنه كثير . تجلس مع أحدهم فترى رجلا من أوجه الرجال وقد يعجبك أن تعامله لتتشرف بما بينك وبينه من الاتصال ، وقد تبرم معه عقد التعامل إبراما ليس للنقض معه مجال ، فاذا أحس بأنه لايعجب امرأته سارع الى نقضه مهما لحقه من تحقير ، وقد يهم أن يقضى حاجته منها فتأبى فيسكت فى ذل الكلاب وقد يغلط فيشترى شيئا فتعيده ثم تعيده حتى يمل الذهاب والاياب ، وقد يتوب الى الله تعالى من معصية فاذا شعر بعدم ارتياحها لتوبته نقض المتاب !! فهو فى حركاته رهن إشارتها كأنه معها قرد ترقصه صغير ، ولا أدرى كيف رضى أولئك الرجال بهذا الذل البالغ وهذا الاحتقار ، مع ان الله تعالى جعلهم قوامين على النساء لانفاقهم الكثير وفضلهم المدرار ، مع ان من يطيعهن لايفلح أبدا . لافى هذه الدار ولا فى تلك الدار ، ولهذا السر ينبغى أن يحمل ماعليه مطيعوا النسا من تأخير ، قال الكمال والأستاذ فاضل خبير ، وناقد بصير ، يصف الحالة فى كل شىء كمن يسمع ويرى ، وكل ديوان خطبه المسمى (منتهى آمال الخطباء ومنار المسترشدين النبلاء) حقائق مجسمة ، وقضايا مسلمة ، كادت تكون آيات محكمة ، جزاه الله تعالى خيراً عما بذله من وسع وصرفه من مجهود ، فيما أخرجه للناس من خطب كأنها الدر المنضود ، فى أسلاك العقود .

باب ٤٠

فى ذكر الحقوق المتبادلة بين الزوجين

لكل من الزوج والزوجة حقوق متبادلة فيما بينهما لهما وعليهما ، كما قال الله تعالى (ولهن مثل الذى عليهن) لاينتظم أمر الحياة ، ولاتحصل الألفة بينهما إلا بقيام كل منهما

بما هو واجب عليه نحو الآخر ، وهي حقوق شرعية ، وعرفية ، ومدنية ، متداخل بعضها في بعض . فمن وفى بما عليه منهما عاش عيشة هنيئة سعيدة ، ومن قصر منهما بما عليه فان له معيشة ضنكا ، وهو آثم عند الحق ، وظالم بين الخلق ، واليك تفصيل ما أجملت :

باب ٤١

فى حقوق الزوج على زوجته

النكاح والدخول تحت عصمة الزوج نوع من الرق ولكنه رقيق، فلابد للمتزوجة أن تراعى حقوق زوجها بازاء ماله عليها من التزام المهر ، ووجوب النفقة ، والدفاع عنها ، والقيام برؤية مصالحها وصيانتها من مواقع الآفات ، وماله عليها من الفضل والمنة بستر عرضها ، وكفاية حاجتها وصيانتها ، وكونه سببا فى إحياء ذكرها بحضور الولد لها ، فواجب عليها أن تراعى حقه ، وتطيع أمره فيما ليس بحرام ، فلا تخرج من الدار إلا باذنه ، ولا تدخل أحدا داره إلا برضاه ، ولا تتصرف فى مالها فضلا عن ماله إلا بأمره ، ولا تخالفه ، ولا تراجعه ، ولا تجادله ، ولا تكذبه ، ولا تحقره ولا تعيره بما فيه فضلا عما ليس فيه ، ولا تسبه ، ولا تشتمه ، ولا ترفع صوتها فوق صوته فضلا عن أن تضربه ، ولا تمتنع عليه اذا أرادها ، ولا تمنع عنه شيئا يريده ، وفى قدرتها إعطاؤه ، ولا تكتمه سرا ولا حالا حسنة كانت أو قبيحة ، ولا تخونه في نفسها وماله أو مالها، ولا تتعرف بأحد من أصدقائه ، ولا تستفهم من هو إذا جاء يسأل عن زوجها وهو ليس فى الدار ، ولا تفتخر على زوجها بما عندها من أسباب الفخر كالمال والجمال والحسب، ولا تزدريه لنقص شيء من ذلك فيه ، ولا تؤذيه بحال أو مقال ، وعليها ان تجيب نداءه من غير تأخير ولا امتناع ، إلا اذا كانت فى اداء عبادة فرض من صلاة أو صيام وأن تلزم الحشمة والانقباض فى غيبته ، والتبذل والانبساط فى حضوره ، وان تحفظه فى غيبته وحضرته ، وتطلب مسرته فى جميع أمورها ، وأن تكون قانعة منه بما رزقه الله تعالى ، وان تقدم حقه على حقها وحق جميع اقاربها

وان تكون نظيفة في ثوبها وجسدها وبيتها ، كى لا تقع عينه على مالا يحبه منها فيكرهها بسببه ، وأن تكون على استعداد لما يطلبه منها ، ومهتمة باصلاح شئونه وملتفتة الى تربية أولادها ، والنظر فى خدمة بيتها ، قليلة الخروج من البيت والذهاب الى الجارات والكلام معهن ، دفعا للشبهة والوقوع فى الفساد ، وأهم الحقوق الواجبة للزوج على زوجته الصيانة والعفة والتستر ، وترك المطالبة بما وراء الحاجة الضرورية ، وعليها بالقناعة بما رزقه الله ، وأن لاتحوج زوجها الى ما يحرجه فتأثم ويغضب الله تعالى عليها ، وللزوج على زوجته أن تعرف طباعه وأخلاقه لتستطيع السلوك معه ، فيكون لها عنده المنزلة الرفيعة ، والمقام العالى ، وتحصل على رضاه الذى هو من رضاء الله تعالى عنها ، وأن تكون صدوقة ، أمينة ، عفيفة حيية ، غيورا على مصالح زوجها وبيتها ، حليمة صبورا ، واسعة الصدر ، حسنة التدبير ، لينة العريكة حسنة المعاملة لمن هم فى بيتها وتحت إدارتها من أولاد وخدم ، لاسيما إذا كان فيهم يتيم فان الاهتمام بأمره له عند الله ثواب عظيم ، والضغط والتضييق عليه عقابه شديد وأن تكون كثيرة الاهتمام بالنظافة وحسن التربية ، ملازمة لبيتها ، غير مستشرفة لرؤية المارين والمارات ، لاتخرج من بيتها إلا لضرورة ، غير متبرجة ولا متزينة ولا متعطرة ، تمشى فى المواضع النائية محترزة من أن يقرب منها أجنبى ، أو يسمع صوتها ، أو يعرف شخصها ، وأن تتجنب قراءة كتب السفه والخلاعة المفسدة الأخلاق من مجلات وجرائد ورسائل أغانى وطقاطيق ، فان ضررها عظيم ، وأن تكون مصونة اللسان من البذاءة وفحش القول ، وكل ماسمعه مستهجن ، وفعله مستنكر ، وأوضاعه مكروهة ، وفى مقدمة كل حق مراعاة حق الله تعالى من طهارة ، وصلاة ، وصيام ، وغيره من كل واجب عليها ، ولتعلم المرأة وكل شخص رجلا كان أو امرأة ان كل من يقصر بواجب عليه لله تعالى يبتليه الله تعالى بضيق الصدر ، وشتات الأمر ، مهما كان منعما فى الحال ، ميسورا فى المال ، قال الله تعالى (ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى) ثم بعد مراعاة حق الله تعالى بأدائه يجب عليها أداء حق زوجها على نحو ماذكرناه ، فان الأحاديث النبوية فى تعظيم حقوق الزوج كثيرة منها حديث : إن عائشة رضى الله تعالى عنها سألت رسول الله ﷺ أى الناس أعظم

حقا على المرأة ؟ فقال «زوجها » قالت فأى الناس أعظم حقا على الرجل ؟ فقال «أمه» - رواه الحاكم عن عائشة - وقال فى حديث آخر « حق الزوج على المرأة أن لاتهجر فراشه، وأن تبر قسمه ، وأن تطيع أمره، وأن لاتخرج إلا باذنه ، وأن لاتدخل اليه من يكره » - رواه الطبرانى عن تميم الدارى- وقال فى حديث آخر «حق الزوج على زوجته أن لا تمنعه نفسها وإن كانت على ظهر قتب ، وأن لا تصوم يوما واحدا إلا باذنه إلا الفريضة، فان فعلت أثمت ولم يتقبل منها ، وأن لا تعطى من بيته شيئا إلا باذنه فان فعلت كان له الأجر وعليها الوزر ، وان لاتخرج من بيته إلا باذنه ، فان فعلت لعنها الله وملائكة الغضب حتى تتوب أو ترجع وإن كان ظالما » - رواه ابو داود الطيالسى عن عبد الله بن عمر - وقال فى حديث آخر «حق الزوج على زوجته لو كانت به قرحة فلحستها، أو انتثر منخراه صديدا أو دما فابتلعته؛ ماأدت حقه » - رواه الحاكم عن أبى سعيد الخدرى - وقال فى حديث آخر « لو أمرت أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها »وقال فى حديث آخر «لو تعلم المرأة حق الزوج لم تقعد ماحضر غداؤه وعشاؤه حتى يفرغ منه » -رواه الطبراني عن معاذ - وقال فى حديث آخر «المرأة لاتؤدى حق الله حتى تؤدى حق زوجها كله، ولو سألها وهى على ظهر قتب لم تمنعه نفسها » - رواه الطبراني عن زيد بن أرقم - وقال فى حديث آخر « أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة »- رواه الترمذى وابن ماجه والحاكم عن أم سلمة زوج النبى ﷺ - وعن ابن عباس ان امرأة جاءت النبى ﷺ فقالت: يارسول الله إني وافدة النساء اليك ،هذا الجهاد كتبه الله تعالى على الرجال فان يصيبوا أجروا، وإن قتلوا كانوا أحياء عند ربهم يرزقون ، ونحن معشر النساء نقوم عليهم فما لنا من ذلك ؟ فقال رسول الله ﷺ « أبلغى من لقيت من النساء أن طاعة الزوج والاعتراف بحقه يعدل ذلك ، وقليل منكن من تفعله» وعنه ايضا مرفوعا « ثلاثة لاترتفع صلاتهم فوق رؤسهم شبرا » وفى رواية «ثلاثة لاتقبل لهم صلاة ولا تصعد لهم الى السماء حسنة؛ العبد الآبق حتى يرجع الى مواليه فيضع يده فى أيديهم والمرأة الساخط عليها زوجها حتى يرضى ، والسكران حتى يصحو »

باب ٤٢

فى خدمة الزوجة لزوجها

خدمة الزوجة لزوجها حق واجب له عليها بنظير ما يقوم عليها بالاحصان والانفاق وكفاية ما تحتاج إليه من كل مايقدر عليه ، إذ هو يجد ويجدح ، ويكد ويكدح ويكسب ويكتسب ، بالصدق والكذب ، فلا بد له ممن يعينه على قضاء حاجاته التى لابد له منها ، ولا يحصل عليه إلا بالزوجة الموافقة المطيعة التى تشاركه فى حياته وتقاسمه مكتسباته ، فاذا تأبت وامتنعت عن خدمته عجز عن القيام بما يلزم لها عليه لانصرافه الى تسوية حاجاته الضرورية ، فيختل نظام الزوجية ، فمن ثمة كانت خدمة الزوجة لزوجها أمرا واجبا له عليها عقلا وشرعا ، فعن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه : كان أصحاب رسول الله ﷺ اذا زفوا امرأة على زوجها يأمرونها بخدمة زوجها ومراعاة حقه ، وكانت النساء الصحابيات ومن بعدهن من التابعيات يخدمن أزواجهن وبيوتهن ، ومن أفضل من فاطمة بنت رسول الله ، بضعته الطاهرة وأم الحسنين الأحسنين ، وزوجة على بن أبي طالب ، بل ومن وأسماء ذات النطاقين بنت سيدنا أبى بكر الصديق ، وأخت سيدتنا عائشة الصديقة الطهرى ، زوجة رسول الله ، واسماء زوجة الزبير بن العوام احد العشرة المبشرين بالجنة ، وام عبدالله بن الزبير خليفة المسلمين فى مكة المكرمة ثلاثا وعشرين سنة ، فهاتان السيدتان وغيرهما من الصحابيات ومن بعدهن كن يخدمن ازواجهن وبيوتهن بأنفسهن. ففي صحيح البخارى عن اسماء بنت ابى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه وعنها قالت: تزوجنى الزبير وماله فى الأرض من مال ولا مملوك ، ولا شىء غير ناضح (جمل يستقى عليه) وغير فرسه ، فكنت اعلف فرسه ، واستقي الماء ، وأخرز القربة ، وأعجن ، ولم أكن أحسن أن أخبز فكانت جارات لى من الانصار يخبزن لى ، وكن نسوة صدق . وكنت أنقل النوى من أرض الزبير التى أقطعه إياها رسول الله ﷺ على رأسى وهى من المدينة على ثلثى فرسخ الخ ماقالت. فهل بعد خدمة هؤلاء الصحابيات الجليلات لأزواجهن تستنكف امرأة ان تخدم زوجها ؟! اللهم إلا أن تكون بنت حرام لا خير فيها

وهـذه بعض أزواج ملوك أوربا على ما أتاهن الله من الملك والعظمة ، يخدمن أنفسهن وبيوتهن من غير استعانة بالخدم ، مع ما للمرأة عند أهل أوربا من احترام وتعظيم .

٤٣ باب

فى حقوق الزوجة على زوجها

وللزوجة على زوجها حقوق كثيرة كما له حقوق عليها ، قال الله تعالى (ولهن) أى للزوجات (مثل الذى عليهن) وذلك ان حق الزوجية لا يتم إلا اذا كان كل واحـد منهما يراعى حق الآخر فيما له وعليه ، فيجب على الزوج ان يقوم بجميع ما عليه من حقوق لزوجته ، أو لأزواجه إذا كن أكثر من واحدة ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الا إن لكم على نسائكم حقا ، ولنسائكم عليكم حق ، اما حقكم على نسائكم فان لا يوطئن فرشكم من تكرهون ، ولا يأذن فى بيوتكم لمن تـكرهون ، الا وإن حقهن عليكم أن تحسنوا اليهن فى كسوتهن وطعامهن » وقال فى حديث آخر « حق المرأة على الزوج أن يطعمها إذا طعم ، ويكسوها اذا اكتسى ، ولا يضرب الوجه ولا يقبح ، ولا يهجر إلا فى البيت » - رواه الطبراني والحاكم عن معاوية بن حيدة - وقال فى حديث آخر « أيها الناس إن لنسائكم عليكم حقا ، ولكم عليهن حق لكم عليهن أن لا يوطئن فراشكم غيركم ، ولا يدخلن احدا تـكرهونه بيوتكم إلا باذنكم ولا يأتين بفاحشة ، فان فعلن فان الله قد أذن لكم أن تعضلوهن ، وتهجروهن فى المضاجع ، وتضربوهن (ضربا) غـير مبرح ، فان انتهين واطعنكم فعليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف ، وإنما النساء عندكم عوان (أي أسيرات) لا يملـكن لانفسهن شيئا أخذتموهن بأمانة الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله ، فاتقوا الله فى النساء واستوصوا بهن خيرا »

ويجب للزوجة على زوجها مراعاة الاعتدال ، والأدب فى المعاشرة ، والدعابة والسياسة ، والمداراة ، والتعليم ، والتأديب ، والقسم بين الازواج اذا كان تحتـه أكثر من زوجة ، ويؤاخذ على الافراط والتفريط فى الحقوق . قال رسول الله صلى الله

تعالى عليه وسلم « خياركم خياركم لنسائهم » وفى لفظ « خياركم ألطفكم بأهله » - رواه ابن ماجه عن عبد الله بن عمرو بن العاص - وقال فى حديث آخر « عليكم باللطف والرفق بنسائكم ، لاتظلموهن ، ولا تضيقوا عليهن ، فان الله تعالى يغضب للمرأة اذا ظلمت كما يغضب لليتيم » وقال فى حديث آخر « أول ما يحاسب الرجل على صلاته ، ثم بعد ذلك على نسائه وما ملكت يمينه إن أحسن عشرتهن أحسن الله تعالى اليه ، وأول ماتحاسب المرأة على صلاتها ، ثم على زوجها وجيرانها » وقال فى حديث آخر « خيركم خيركم لأهله ، وأنا خيركم لأهلى » - رواه ابن عساكر عن على بن ابى طالب - وقال فى حديث آخر « من أدخل على أهل بيته سرورا خلق الله من ذلك السرور خلقا يستغفر له الى يوم القيامة » - رواه أبو الشيخ عن جابر - وقال فى حديث آخر « المحسن الى نسائه وعياله وأولاده يعطى درجة المجاهدين في سبيل الله » وقال فى حديث آخر « ما أطعمت زوجتك فهو لك صدقة ، وما أطعمت ولدك فهو لك صدقة ، وما أطعمت خادمك فهو لك صدقة ، وما أطعمت نفسك فهو لك صدقة » - رواه الامام احمد والطبرانى عن المقدام بن معد يكرب - وقال في حديث آخر « إذا سقى الرجل امرأته الماء أجر » - رواه البخارى فى التاريخ والطبرانى عن العرباض بن سارية - وفى حديث آخر - « خدمتك زوجتك صدقة » وقال فى حديث آخر « شر الناس المضيق على اهله » - رواه الطبرانى عن ابى امامة - وجاء رجل إلى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال : يارسول الله انى سيء الخلق اوذى زوجتي واهل بيتى بلسانى؟ فقال ﷺ « المؤذى لأهل بيته لا يقبل الله عزوجل عذره ، ولا حسنة من حسناته . ولو صام الدهر ، واعتق الرقاب ، وكان أول من يدخل النار »

ولقد كان رسول الله ﷺ المثل الكامل ، والأسوة الحسنة للرجال فى حسن معاشرة أزواجه بالمعروف ، والقسمة بينهن بالعدل فى المبيت والنفقة ، واللطف والبر ، واحتمال غضبهن وغيرتهن ، وتنازعهن بالاناة والرفق والموعظة الحسنة ، ولقد كان يخدم بيته ويقضى حوائجه بيده ، ولم يضرب بيده امرأة ولا خادما ، وكان الين الناس اذا خلا بنسائه وأكرمهم ، ضحاكا بساما ، ومن أفكه الناس اذا خلا بهن ، وكان اذا اراد السفر

أقرع بينهن ، فمن وقعت عليها القرعة أخذها ، وكان يعظ اهله ويجاملهن ويؤانسهن صلى الله تعالى وسلم عليه وعلى آله واصحابه ، وعلى من تخلق بأخلاقه وتأدب بآدابه .

٤٤ باب

في مؤانسة الزوجة وملاعبتها

مؤانسة الزوج زوجته وملاعبتها وممازحتها بغير باطل ، والكذب عليها لاستجلاب مرضاتها اذا اقتضى الأمر ، حق واجب على الزوج لزوجته لتمكين الألفة بينهما فقد ذكرت قبل هذا الفصل كيف كان يعامل رسول الله ﷺ ، ازواجه واهله وخدمه وهو القدوة الطيبة ، والأسوة الحسنة ، لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وقد ورد في ذلك أحاديث عنه ﷺ منها حديث « كل شيء يلهو به ابن آدم باطل إلا رميه بقوسه ، وتأديبه فرسه ، وملاعبته امرأته » وفي رواية « كل شيء ليس من ذكر الله لهو ولعب ، إلا ان يكون أربعة ؛ ملاعبة الرجل امراته » الحديث - رواه النسائي عن جابر - وحديث « إن الله تعالى ليعجب من مداعبة الرجل زوجته ، ويكتب لهما بذلك اجراً ، ويجعل لهما بذلك رزقا حلالا » وفي حديث آخر « كل الكذب مكتوب إلا الكذب في الحرب ، والكذب في إصلاح ذات البين ، وكذب الرجل على امرأته ليرضيها » -رواه ابن السني عن النواس بن سمعان - وفى الاستمتاع بها ثواب للزوج وسرور لهما من غير إفراط قال رسول الله ﷺ « وفي بضع أحدكم صدقة » قالوا يارسول الله أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر ؟ قال « أرأيتم لو وضعها في حرام ، كان عليه وزر فكذلك اذا وضعها في الحلال كان له اجر » وأما مجافاة الزوجة ، والاشتغال عنها ولو بالعلم والعبادة ، ففيه إجحاف بحقها وتضييع له . ففي تاريخ الخلفاء للجلال السيوطي المتوفى سنة ٩١١ قال الشعبي (المتوفى سنة ١٠٤) وقتادة (المتوفى سنة ١١٧) جاءت عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه امراة فقالت : زوجي يقوم الليل ويصوم النهار . فقال عمر : لقد أحسنت الثناء على زوجك !! فقال كعب بن سوار : لقد شكت ، فقال عمر كيف ؟ قال تزعم أنه ليس لها من زوجها نصيب ، قال فاذ قد فهمت ذلك

فاقض بينهما . فقال يا أمير المؤمنين أحل الله للرجل أربعا من النساء ، فلها من كل أربعة أيام يوم ، ومن كل أربع ليال ليلة اه قال الكمال أحسن الله تعالى إليه : وهذا هو الحق والحكم ، فليس من العدل أن ينصرف الرجل بوجهه عن زوجته وينكب على العبادة والاشتغال بالعلم والدرس ، فان لنفسه عليه حقا ، ولزوجته عليه حق. كما انه ليس من الانصاف أن تمنعه المرة عن الاشتغال بما يقربه الى الله زلفى من عبادة ، ودراسة كتب الدين والعلم والأدب ، فانه عدته التى يهيئها قبل موته لما ينفعه فى الآخرة ويعلى مقامه ، كما قال الله تعالى (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات) وقدمنا فيما سبق فى أحد فصول هذا الكتاب ، أن أكره ما تكرهه الزوجة أن ترى زوجها مشغولا بدراسة كتب العلم والدين ، ولكن لا عبرة بكراهيتها إلا بما كان مفوتا لحقها ، وهى أن تستغرق أيامه كلها ، ذلك بخلاف ما اذا وفاها حقها فليس لها ان تعترض عليه وتمنعه ، فان فعلت كانت ظالمة له والظلم وخيم العاقبة .

باب ٤٥

فى القسم بين الأزواج

ومن الحقوق الواجبة للزوجة على زوجها القسم بينها وبين شركائها فيه فيما اذا كان له أكثر من زوجة ، فانه يجب عليه القسم بينهن بالسوية ، والعدل في القضية ، ولا فرق فيهن بين الجديدة والقديمة والبكر والثيب ، والصحيحة والمريضة ، والغنية والفقيرة والجميلة والقبيحة ، والحائض والنفساء والطاهرة منهما ، والحامل والحائل ، والعاقر والمحرمة فلا يفضل واحدة منهن على الأخرى بالمعاملة مهما كانت فيها ميزات تقتضى التفضيل ، لانهن كلهن أزواجه لا فرق بينهن فى الزوجية فلا فرق بينهن فى المعاملة الظاهرة . قال رسول الله ﷺ «من كانت له امرأتان فمال الى إحداهما جاء يوم القيامة وشقه مائل» (اى مفلوج) وفى رواية «اذا كان عند الرجل امرأتان فلم يعدل بينهما جاء يوم القيامة وشقه ساقط» رواه ابوداود والترمذى - ولا مؤاخذة عليه بالميل القلبى إلى واحدة منهن زيادة على الاخرى ، فهذا الميل ليس بيده ، فقد كان رسول الله ﷺ يقسم بين أزواجه ويقول « اللهم هذا قسمى فيما

أملك ، فلا تؤاخذنى فيما لا أملك » يعنى حبه لاحدى أزواجه زيادة على غيرها منهن وهى عائشة ، فقد كان يحبها بزيادة على غيرها ، وكانت أكثرهن عليه دلالا ومع ذلك لم يكن يفضلها على واحدة من أزواجه الأخرى فى النفقة ، أو المبيت أوحسن المعاشرة ، ومن أولى بالعدل من رسول الله ﷺ نعم إن لمن تزوج بزوجة على من عنده أن يقيم عندها سبعة أيام بلياليها إذا كانت بكرا ، وثلاثة إذا كانت ثيبا ، ليستألفها وتستأنس به وبأهله ، ثم بعد ذلك يسوي بينها وبين ضراتها فى المعاملة.

٤٦ باب

فى محبة الزوجين وعداوتهما

قال ابن مسكويه المتوفى سنة ٤٢١ فى كتابه تهذيب الأخلاق وتطهير الاعراق : المحبة أربعة أنواع ، منها ما ينعقد سريعا وينحل سريعا وهى المحبة التى تكون بسبب اللذة فقط ، ومنها ما تنعقد سريعا وتنحل بطيئا وهي المحبة التى سببها الخير ، ومنها ما ينعقد بطيئا وينحل سريعا وهى المحبة التي تكون بسبب المنافع ، ومنها ما ينعقد بطيئا وينحل بطيئا وهى المحبة التى تتركب من هذه الأنواع كلها وهى محبة الزوجين كل منهما للآخر ، فان فيها اللذة المشتركة ، والخيرات المتبادله ، والمنافع المختلطة ، وهما يتعاونان عليها. فالمرأة تنتظر من زوجها الجلب ، وهو ينتظر منها الحفظ لتثمر فلا تضيع ، ومتى قصر أحدهما اختلفت المحبة وحدث الخلاف بينهما اه قال الكمال أحسن الله تعالى اليه : ثم إن صفة المحبة تختلف باختلاف حال المحبوب كما قلت فى كتابى (ثمرات التجاريب) محبة الأنسان لربه ونبيه محبة هدى وإسلام ، ولوالديه محبة إجلال واحترام ولأولاده محبة شفقه واهتمام ، ولاخوته وإخواته محبة اقتضاء واستلزام ، ولذوي رحمه محبة صلة وإكرام ، ولأصحابه محبة انتفاع ووئام ، والحب كل الحب ما بين الزوجين والسلام . قال الله تعالى (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون) وفى الحديث الشريف « إن للزوج من المرأة لشعبة ماهى لشيء » - رواه الحاكم وابن ماجه عن محمد بن

عبد الله بن جحش - وفى حديث آخر « إن الرجل إذا نظر إلى امرأته ونظرت اليه نظر الله تعالى اليهما نظر رحمة ، فاذا أخذ بكفها تساقطت ذنوبهما من خلال أصابعهما » - رواه ميسرة بن على والرافعى عن أبي سعيد - وفى أول سفر من أسفار التوراة قال الله تعالى: نخلق بشرا بصورتنا فخلق آدم من أدمة الارض ، ونفخ فى وجهه نسمة الحياة ، وقال إن آدم لا يصلح أن يكون وحده ، ولكن أصنع له عينا مثله ، فألقى عليه السبات فأخذ إحدى أضلاعه فلأمها وسمى الضلع الذى أخذ امرأة لأنها من المرء أخذت فقربها الى آدم فقال آدم : عظم من عظامى ، ولحم من لحمى ، ومن أجل ذلك يترك الرجل أباه وأمه ويتبع امرأته ، ويكونان كلاهما جسما واحدا وباركهما الله وقال أثمروا ، وأكثروا واملئوا الأرض ، وتسلطوا على أنوان (حيتان) البحر وطير السماء ، والأنعام ، والدواب ، وعشب الأرض ، وشجرها ، وثمرها اه

واعلم أن محبة الرجل لامرأته أقرب الى الصدق والاخلاص من محبة المرأة لزوجها ، فانه يراها عامرة بيته ، طابخة طعامه ، كافيته كل ما يحتاج اليه مما لا يتسع له وقته لأن يقوم به بذاته لاشتغاله بالسعى والكسب ، فلذلك يتفانى فى حبها ، ويقدمها ويؤثرها على أهله وولده والناس اجمعين . سيما إذا كان شابا وهى ايضا شابة ، فيرى عندها ما تسكن اليه نفسه وتكفيه كل غائلة وتهلكة لو لم تكن له زوجة . وأما محبة المرأة لزوجها فليست قدر محبة الرجل لامرأته ، لأن محبتها مبنية على حاجات نفسية ، فاذا رأته كافيا لها من هذه الجهة أحبته مادام كافيا لها ، فاذا عجز عما تطلبه منه قلبت له ظهر المجن واظهرت له العداوة او الكراهة بقدر ما ترى فيه من العجز والنقص عن القيام بما تطلبه وتنسى له كل معروف وصنيع جميل مهما كان غاليا عاليا ، والقاعدة الصحيحة لهناء الزوجين ماقاله سيدنا عمر بن الخطاب لامرأة خاصمت زوجها اليه ، وصرحت له بأنها لا تحبه قال : إذا كانت إحداكن لا تحب الرجل منا فلا تخبره بذلك ، فان أقل البيوت ما بنى على المحبة ، وإنما يتعاشر الناس بالحب والاستسلام . يعنى أن انتظام الحياة الزوجية إنما يكون بالتزام ، كل من الزوجين لحفظ شرف الآخر والعمل بما يقتضى من الواجبات والآداب بينهما ، ومع هذا ينبغى لكل من الزوجين أن يتكلف التحبب الى الآخر ليصير التطبع طبعاً . قالت علية بنت المهدى :

تحبب فان الحب داعية الحب

وفى الأمثال المشهورة ، احبب ودارى وا كره ووارى . وعلامة المرأة المحبة لزوجها أن تكون طوع أمره ، رهينة إرادته فى كل ما يأمر به وينهى عنه ، متطلعة اليه متفقدة لحاجاته ، لا ترفع نظرها منه . والمبغضة لزوجها بالعكس من ذلك ، بل تزيد عليه أن تحدث له من أقل سبب - بل وبلا موجب - شرا يقاسى منه نكرا ، حتى تلجئه إذا دخل الدار أن يدخل مستعيذا بالله العليم بحاله من شرها ، وإذا خرج خرج مستجيرا من ضرها ، وكيفما كانت المرأة محبة أو مبغضة فانها شر على زوجها ولكن لا بد له منها لأنها إذا أحبته أكلته ، وإن أبغضته أهلكته .

ويلاه إن هي واصلت أو باعدت وقع السهام ونزعهن أليم

قال علماء الافرنج : محبة النساء كورد الرياض ، حسن المنظر ، سريع الذبول . وقالوا : مهما أحبتك المرأة فانها رقيب عتيد عليك . وقالوا : محبة المرأة مبنية على المنفعة ، فمن لا منفعة لها منه لا تحبه كيفما كان . وقالوا : شرف المرأة وفضيلتها بحبها لزوجها ، فمن لا تحب زوجها ليست بزوجة . وقالوا : المرأة المستهزئة بزوجها لا تكون محبة له أصلا . قال الكمال أحسن الله تعالى اليه : فكيف المرأة التي تسب زوجها وتشتمه ، وتلعن أباه وأمه ، وتصمه بعرضه ودينه ، وهو طاهر برىء من كل ما تقول فيه ، فهل تكون محبة له ؟ وعداوة المرأة لزوجها ثابتة فى القرآن الكريم ، والحديث الشريف ، قال الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم) ومن لطف الله تعالى وعنايته أن ليست العداوة فى الأزواج كلهن بل فى بعضهن ، بدليل قوله تعالى (إن من أزواجكم) ومن للتبعيض . وفى الحديث الشريف « أعدى عدوك زوجتك التى تضاجعك ، وما ملكت يمينك » - رواه الديلمى فى مسند الفردوس عن أبى مالك الأشعرى - ولم يرد فى القرآن الكريم ، ولا الحديث الشريف ، ولا فى تعامل الناس ، أن الرجل عدو لزوجته ، لأنه لا حاجة له بعداوتها ، فان كانت موافقة له أبقاها على عصمة نكاحه وإن لم تكن موافقة له . إما أن يبقيها إذا رأى ضرورة فى إبقائها وعدم تطليقها ، ورجا من الله تعالى إصلاحها أو اجتياحها ، وإن لم ير ضرورة فى إبقائها مع عدم موافقتها

له طلقها ، وكفى الله المؤمنين القتال . فلا معنى لأن يكون الرجل عدوا لامرأته بخلاف المرأة فانها تكون عدوا له ، حيث لاتستطيع التخلص منه لأن طلاقها بيده لا بيدها ، فتضيق عليه وتخاصمه ، وتشاره وتنغص عيشه ، وتتربص به كل تهلكة تحل به ، فتدعو عليه داخلا وخارجا ، وقائما وقاعداً ، ويقظان ونائماً ، شان الأعداء لمن يعادون ، والله المستعان على ما كان منها وما يكون .

٤٧ باب

فى حكايات عن محبة النساء لأزواجهن ووفائهن لهم

ومن محبة النساء لأزواجهن وغيرتهن عليهم ، ماحكاه أبو الفرج الأصبهانى المتوفى سنة ٣٥٦ فى الجزء الثالث من كتابه الأغانى فى أخبار موسى شهوات ، إن زيد بن عمرو بن عثمان بن عفان تزوج سكينة بنت الحسين رضى الله تعالى عنهما فعتب عليها يوما وخرج الى مال له (مزرعة) فدعت السيدة سكينة أشعب وقالت له : إن عمرا خرج عاتبا على فاعلم لى حاله ؟ وأعطته ثلاثين ديناراً ، فأتاه ليلا فى دار له فوجده على فراش ، فلما رآه نزل عن فراشه الى الأرض وقال له ماجاء بك ؟ قال أرسلتنى سكينة لأعلم خبرك أتذكر منها ماتذكر منك ، قال دعنى من هذا وغنى ، فغناه فلم يطرب ، ثم قال غنى ويحك غير هذا فان أصبت مافى نفسى فلك حلتى هذه وقد اشتريتها بثلاثمائة دينار ، فغناه بقول عمر بن أبي ربيعة المخزومى المتوفى سنة ٩٣ :

علق القلب بعض ماقد شجاه   من حبيب أمسى هوانا هواه

ماضرارى نفسى بهجران من ليـ   ـس مسيئاً ولا بعيداً نراه

واجتنابى بيت الحبيب وما الخلـ   ـد بأشهى الى من أن أراه

فقال له ما عدوت مافى نفسى خذ الحلة ، فأخذها ورجع إلى سكينة وقص عليها القصة ، فقالت له : وأنت الآن تريد أن تلبس حلة ابن عثمان !؟ لا والله ولا كرامة بل أنا أشتريها منك ، فاشترتها بثلاثمائة دينار اهـ وفى كتاب المستطرف للابشيهى المتوفى سنة ٨٥٢ خرج سليمان بن عبد الملك ومعه يزيد بن المهلب الى بعض مقابر

الشام ، فاذا امرأة جالسة على قبر تبكى ، قال سليمان فرفعت البرقع عن وجهها فحكت شمسا عن متون غمامة ، فوقفنا متحيرين ننظر اليها ، فقال لها يزيد بن المهلب : يا أمة الله هل لك بأمير المؤمنين بعلا؟ فنظرت الينا ثم أنشدت تقول:

فان تسألونى عن هواي فانه يجول بهـذا القبر يافتيان
وإنى لأستحييه والترب بيننا كما كنت أستحييه وهو يرانى

وأبت أن تجيبه لطلبه حبا منها بزوجها المتوفى ، ووفاء له بعد موته . ومن ذلك ما روى عن نائلة بنت الفرافصة بن الأحوص الكلبى زوجة سيدنا عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه وكانت قد قطعت أصابع يديها وهى تدافع عنه يوم قتله ، أن معاوية بن أبى سفيان خطبها فقالت : ما يعجب الرجل منى وأصابعي مقطعة ؟ فقيل لها ثناياك ، فكسرت ثناياها وبعثت بها الى معاوية ، تريد أنها لاتبغى بعثمان بعده بديلا * وفى المستطرف أيضا لما قدم هدبة بن الخشرم للقتل بحضور مروان بن الحكم وكانت زوجته حاضرة ، فالتفت اليها وقال :

فلا تنكحى إن فرق الدهر بيننا أغم القفا والوجه ليس بأنزعا

يوصيها بأن لاتتزوج بعده بمن هذه صفته، فانها تدل على البلادة واللؤم، فقالت زوجته لمروان : إن لهدبة عندى وديعة فامهله حتى آتيك بها ، فقال لها مروان اسرعى فان الناس قد كثروا ، فمضت الى السوق ورهنت سوارها علي درهمين وأتت قصابا فقالت له اعطنى شفرتك وخذ هذين الدرهمين وأنا أردها عليك بعد قليل ، فأخذتها وقربت من حائط ، وأرسلت ملحفتها عن وجهها ثم جدعت (قطعت) أنفها من أصله ، وقطعت شفتيها ، ووضعت ملحفتها على وجهها ، وردت الشفرة الى القصاب ، ثم أتت هدبة وهو واقف ينتظر الموت فقالت:أتراني ياهدبة متزوجة بعد ما ترى ؟ ! فقال الآن طابت نفسى بالموت فجزاك الله من حليلة وفية خيراً اه

* * *

وأين هؤلاء النساء الوفيات لأزواجهن فى حياتهم وبعد مماتهم من أولئك الغادرات العاهرات اللاتى يتربصن بأزواجهن الدوائر ، وينصبن له حبائل الشر والضر ، وهن كثيرات أينما توجهت ، وحيثما كنت ، نسمع بهن وعنهن حكايات

غريبات من القديم وفى زماننا هذا ؟! ففى كتب الأدب أن صخر بن عمرو بن الشريد أخا الخنساء لأبيها مرض مرضا طويلا ، وكانت أمه وزوجته تمرضانه ، فسئلت زوجته يوما عن حالته فقالت ـ وقد ضجرت منه ـ لا هو حى فيرجى ، ولا ميت فيسلى ، فسمعها صخر فتألم من قولها هذا وأنشأ يقول :

أرى أم صخر لا تمل عيادتى ... وملت سليمى مضجعى ومكانى
وما كنت أخشى أن أكون جنازة ... عليك ومن يغتر بالحدثان
لعمرك قد نبهت من كان نائما ... وأسمعت من كانت له أذنان
وأى امرىء ساوى بأم حليلة ... فلا عاش إلا فى شقا وهوان
أهم بأمر الحزم لو أستطيعه ... وقد حيل بين العير والنزوان

٤٨ باب

فى تأديب الرجل امرأته

للرجل أن يؤدب امرأته ، وكل من هم تحت حكمه ورعايته ، لسلامة حالهم ومالهم من كل ما يضرهم ويؤذيهم فى نفوسهم ، وأموالهم ، وأخلاقهم ، وآدابهم ، ومعاشرتهم لغيرهم . فالتأديب ضرب من ضروب الاصلاح يقدر بقدره لا يتجاوز الحد اللازم له ، ليس هو نوعا من التشفى أو الانتقام . وتأديب المرأة على خمسة أوجه ، الوعظ والهجر ، والضرب ، والتحكيم ، والطلاق . فالوعظ يكون بما يؤثر فى نفسها التخويف من الله عز وجل فى الآجلة ، وما تؤول إليه حالتها فى العاجلة ، وبذكر ما للرجل عليها من الفضل ، وما ورد فى ذلك من الأحاديث ، كل ذلك بالرفق واللين حتى تنقاد وتخضع والهجر إذا لم يؤثر فيها الوعظ ، وهو أن لا ينام معها في فراش واحد ، لكن بشرط أن يكون في الحجرة التي تنام فيها ، وهو أشق عليها من أن يهجرها وينام فى حجرة أخرى غير التى تنام هى فيها ، فاذا صلح حالها فبها ونعمت ، وإلا فالضرب . ويشترط فيه أن يكون غير مبرح ـ أى غير مؤلم ـ لأن القصد منه الترهيب والتأديب ، لا الانتقام والتشفى . وقد ورد عن ابن عباس تفسيره بالضرب بالسواك ونحوه ، ومن الأحاديث

الواردة فى جواز الضرب الخفيف دون المبرح - أى المؤذي - قوله ﷺ « لا ترفع عصاك عن أهلك » وقوله « علقوا السوط حيث يراه أهل البيت ، فانه آدب لهم » - رواه الطبرانى عن ابن عباس - وقوله « لا تسكنوا النساء الغرف فيشرفن ، ولا تعلموهن الكتابة ، واستعينوا عليهن بالضرب » وقوله « لا يسأل الرجل فيم ضرب امرأته ».

وفى كتاب حياة الحيوان للدميرى المتوفى سنة ٨٠٨ ذكر أبو العباس احمد بن القاص في مصنفه أن الامام الأعظم أبا حنيفة رضى الله تعالى عنه سمع صوت امرأة يضربها بعلها وهي تصيح فقال : صدقة مقبولة ، وحسنة مكتوبة . فقال له رجل من أصحابه : كيف ذاك يا أستاذ ؟ فقال لقوله ﷺ « أدب الجاهل صدقة عليه » وأنا أعرفها جاهلة اهـ وأنكر رسول الله ﷺ على من يضرب امرأته ضربا مؤلما فقال « لا يجلد أحدكم امرأته جلد العبد ، ثم يجامعها آخر النهار » - رواه البخاري ومسلم عن عبد الله ابن زمعة - وقال « أما يستحى أحدكم أن يضرب امرأته كما يضرب العبد أول النهار ثم يجامعها آخره » - رواه عبد الرزاق عن عائشة - وقال فى حديث آخر « لا تضرب ظعينتك (زوجتك) ضربك لأمتك » وسبب هذا الحديث كما فى كتب السنن الأربعة لأبى داود والترمذى والنسائى وابن ماجه وفى غيرها أن لقيط بن صبرة قال : يارسول الله إن لى امرأة ، وإن فى لسانها شيئا (يعني البذاءة) فقال رسول الله ﷺ « فطلقها إذن » قال : يارسول الله إن لها صحبة ، وإن لى منها ولدا ، قال « فعظها فان يك فيها خير فستفعل ، ولا تضرب ظعينتك ضربك لأمتك » وقال فى حديث آخر « يضرب أحدكم امرأته ضرب الفحل ؟ » قال ذلك على سبيل الانكار . والضرب الخفيف للتأديب مباح فقد روى البيهقى من حديث أم كلثوم بنت أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه قالت : كان الرجال نهوا عن ضرب النساء ، ثم شكوهن الى رسول الله ﷺ أنهن تمردن عليهم ، حتى قال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه : يارسول الله قد ذئر النساء على أزواجهن - أى تمردن - وعتين فى النشوز والجرأة ، فخلى بينهم وبين ضربهن . ثم قال : ولن يضرب خياركم (وهذه الرخصة أشبه بالحظر) فاذا لم يفدها الوعظ والهجر والضرب عمد الرجل الى التحكيم ، وهو أن يؤلف الزوج مجلسا من أهله وأهلها ، فيعرض كل من الزوجين ما يشكوه من الآخر ، وينظر المحكمون فان رأوا الحق فى جانب الزوج حكموا

عليها باطاعته وامتثال أمره ، وإن رأوا الحق فى جانب الزوجة نهوا الرجل الى كفه عما هو متشدد به وألزموه بالرفق واللين فى معاملة زوجته ، فان تمرد المحكوم عليه فرقوا بينهما بالطلاق وهو آخر أنواع التأديب، كما يقال في المثل : آخر الدواء الكى .
ويجوز للزوج أن يصبر على مايقاسيه من التعب من زوجته توقعا للأجر من الله تعالى على صبره على سوء أخلاق امرأته ، كما أنها تثاب هى على صبرها عليه اذا رأت منه مايشق عليها ، كما جاء فى حديث «من صبر على سوء خلق امرأته أعطاه الله من الأجر مثل ماأعطى أيوب على بلائه ، ومن صبرت على سوء خلق زوجها أعطاها الله مثل ثواب آسية امرأة فرعون» ويتعين عليه الصبر والتحمل والحلم وكظم الغيظ اذا كان له منها أولاد صغار ، فان طلاقه لها يضر بهم ضررا كثيراً ، وأحسن مايفعله الرجل السكوت مهما تقل . قال الشاعر :

إنمـــا المرأة مرآة بهـــا   كل ماتنظره منـــك ولك
فهى شيطان اذا أفسدتها   واذا أصلحتهـــا فهي ملك

باب ٤٩

فى مسؤلية الرجل عن أهل بيته

قال الامام أبو الليث السمرقندى المتوفى سنة ٣٧٣ فى كتابه (قرة العيون ومفرح القلب المحزون) يجب على الرجل أن يأمر أهل بيته بالصلاة ويضربهن على تركها وأن يعلمهن الوضوء ، والتيمم ، والغسل من الحيض ، والجنابة ، والنفاس ، وحكم الاستحاضة واعتقاد أهل السنة ، وحرمة الغيبة والنميمة ، وتوقى النجاسات ، والصمت عما لا يعنى وملازمة الذكر والآداب ، واجتناب الاثم والسوء . ففى الحديث الشريف «لا يلقى الرجل ربه بذنب أعظم من جهالة أهل بيته»

كما يجب عليه حسن القيام عليهم بالاطعام والكسوة من وجه حلال ، ولا يحل له التفريط فى شىء من ذلك . قال الله تعالى (ياأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها النـاس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ماأمرهم

ويفعلون مايؤمرون) وأن أول مايتعلق بالرجل بين يدى الله تعالى زوجته وأولاده فيقولون يا ربنا خذ لناحقنا من هذا الرجل فانه لم يعلمنا أمور ديننا ، وكان يطعمنا الحرام ونحن لا نعلم اه وقال بعض السلف الصالحين : من لم يحفظ أهله من تعدى حدود الله تعالى ، وخروجهم عن طاعته ، فهو ديوث فاسق آثم معذب . وفى الحديث الشريف « إني لغيور وما من امرىء لايغار إلا وهو منكوس القلب »

٥٠ باب

فى ملامسة النساء وآدابها

للمرأة على زوجها حق الملامسة لها فى كل أربعة أيام مرة اذا لم يكن فيه مانع من ضعف أو عجز ، ويأثم بتركها مدة طويلة بلا قرب منها ، حتى إنها تبين منه اذا حلف أن لايقربها أربعة أشهر وهو مايسمى إيلاء فى الأحكام الفقهية ، فاذا انقضت أربعة أشهر بانت منه ، ولا تعود إليه إلا بعقد جديد ، ومهر جديد ، وهو منصوص عليه فى القرآن الكريم بقوله تعالى (للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر) الآية وتتضرر المرأة لانقطاع الملامسة عنها مدة طويلة وفى كتب الأدب أن سيدنا عمر ابن الخطاب رضى الله تعالى عنه بينما كان يعس ذات ليلة ـ أى يتفقد شئون رعيته سراً ـ سمع امرأة تقول :

لقد طال هذا الليل واسود جانبه ... وأرقنى أن لاخليل ألاعبه

فوالله لولا الله لارب غيره ... لزعزع من هذا السرير جوانبه

ولكن ربى والحياء يكفني ... وأكرم بعلى أن يوطأ مراكبه

فلما رجع الى منزله سأل عن زوجها فاذا هو غائب فى الجهاد ، فدخل على ابنته حفصة زوج النبى صلى الله عليه وسلم وقال لها: أى بنية كم تقدر أن تصبر المرأة عن زوجها ؟ فاستحيت وصرفت عنه وجهها ، فقال لها التقولن ، فقالت ستة أشهر. وفى رواية أربعة أشهر. فكتب الى صاحب الجيش أن يسرح من الغزو من مضت عليه هذه المدة اه وللمرأة أن تشكو زوجها الى القاضى اذا لم يدن منها ولا مرة ، ويكلفه القاضى بالدنو منها ، بخلاف ما اذا دنا

منها ولو مرة واحدة فليس لها أن تشكوه ، وإنما يأثم هو بتركها بلا دنو منها اذا لم يكن فيه مانع يمنعه ، ويستحب ملامسة الزوجة ليلة الجمعة ويومها ، ويبدأ أولا قبل كشف العورة بالتسمية قائلا بسم الله العلى العظيم ، اللهم إن قدرت أن تخرج من صلبي نسلا فاجعله ذرية طيبة ، فاذا قارب الانزال يقول فى نفسه من غير أن يحرك لسانه الحمد لله الذى خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا ، ويغطى نفسه وأهله بثوب حتى لا ترى منه ولا يرى منها ، ولا يتجردان تجرد الحمار . قالت عائشة رضى الله تعالى عنها مارآى مني ولا رأيت منه · تعني رسول الله صلى الله عليه وسلم وقت خلوته بها . ويقدم أولا التلطف بالكلام والتقبيل ، ويصبر عليها بعد قضاء وطره منها حتى تقضى هى أيضا وطرها فان لها ماء وشهوة كما للرجل ، ففى الحديث الشريف «إذا جامع أحدكم امرأته فلا يتنحى حتى تقضى حاجتها كما يحب أن يقضى حاجته» - رواه ابن عدى عن طلق - ولا يستقبل القبلة حالة الملامسة ، ولا يكثر الكلام ففى الحديث الشريف « اذا جامع أحدكم اهله فلا يكثر الكلام ، فانه يورث الخرس (يعنى خرس الولد) ولا ينظر الى الفرج فانه يورث العمى » - رواه الديلمى عن ابى هريرة - ولا يجامعها فى ايام حيضها ولا بعد انقضائه قبل الاغتسال لأنه يحدث عاهة الجذام فى الولد ، ولا فى أيام نفاسها أيضا ، ويحرم الجماع فى غير الفرج ، ويبول بعد الجماع ولو قطرة ، ويغسل بضعه حتي يأمن من بقاء شيء فيه ربما آذاه فيما بعد ، وللجماع كيفيات متعددة احسنها وانفعها مقابلة الوجه للوجه كما هو معلوم بين المتزوجين وتقول العرب : إذا اردت ان يصلب ولدك فاغضب زوجتك ثم قع عليها . وقالوا : أنجب النساء الفروك - اى المبغضة لزوجها كراهية منها فى الرجال - وذلك أن الرجل يغلبها على الغلمة فينتج عنه نجابة الولد .

باب ٥١

فى المجبوب والعنين والضعيف

إذا تزوجت امرأة برجل فوجدته مجبوب آلة التناسل ، لها أن تبقى معه على تلك الحالة ، ولها أن ترفع أمرها الى القاضى ، فاذا رفعت فرق القاضى بينها وبينه

بالحال ، لأنه لافائدة لها بهذه الزوجية ، ولها المهر تاما ، وعليها أن تعتد احتياطا ولها نفقة العدة. فاذا وجدته عنينا - أى لا يقدر على القرب منها - لها أن تبقي معه على تلك الحالة ، ولها أن ترفع أمرها إلى القاضى ، فاذا رفعت أمرها إلى القاضى أمهل زوجها سنة لتمر الفصول الأربعة فلعله ينتعش فى أحدها فيقوى على الدنو منها فاذا مضت السنة ولم تظهر منه قوة تمكنه من القرب منها فرق القاضى بينها وبينه ولها المهر تاما ، وعليها العدة احتياطا ، ولها نفقة العدة. واذا تزوجت بزوج فكان معها على أحسن حال، ثم عرض له ما أقعده عن القيام بالملامسة لضعف أو كبر سن فليس لها أن ترفع أمرها الى القاضى تطلب التفرقة بينه وبينها ، لأنه إن سبق أنه دنا منها ولو مرة فان فيها الكفاية لبقاء الزوجية شرعا ، وإن كان الخصام والنزاع لايزال مستعرا ومستمرا بينها وبين زوجها بسبب ضعفه عن متابعة ما كان قام به لاسيما إذا كانت شابة وهو متقدم فى السن . ومن أجل ذلك قلنا فيما سبق : إنه يلزم مراعاة السن بين الزوجين خيفة من أن يقع بينهما ماينغص عيشهما بسبب عدم قدرته على اشباع نهمتها ، ومن اليم ما وقع فى بلدنا طرابلس الشام من حكايات العنينين ؛ أن سبق أن تزوج عظيم من عظمائها بسيدة من أسرة وجيهة فى بيروت ، وأقامت معه حتى مات من غير أن يشعر احدهما بينهما ، غير أن ذلك العظيم لم يرزق أولادا ، وبعد وفاته سنة ١٣٠١ (أو ٢) تبين أنها أقامت معه بكرا كما هى ، وتزوج رجل من التجار امرأة غنية ، وبعد ما أقام معها مدة تبين أنه عنين فطلقها أهلها منه، وتزوجها آخر فرزقت منه أولادا عدة أكبرهم اليوم فى عشر الأربعين . وتزوج رجل من أهل العلم شابة جميلة من أسرة مشهورة ، فأقامت معه فوق عشر سنوات على ما هى عليه حتى اتضح منها لأمها أن زوجها عنين ، فراجع أهلها المحكمة وطلقوها منه ، ولكن وقعت بما كانت فيه ، حيث تزوجها آخر فظهر أنه عنين أيضا ، ولكن تحول حال أسرتها من الظهور والعلو الى الانحطاط والخمول اضطرها لأن تبقى معه، خصوصا قد مات أبواها اللذان كانا سنديها وعضديها ، فاستهدفت الى ضياع شبابها وزهرة حياتها ببقائها تحت عصمة نكاح ذلك الرجل حتى اليوم ، واللوم فى هذه الوقائع وأمثالها إنما يقع على الرجال لاشك ولا شبهة ، فانهم مع علمهم بما تقتضيه واجبات المعاشرة

الزوجية أغمضوا أعينهم عنها ، واستبقوا تلك الأزواج أسيرات فى أيديهم ليتمتعوا بعشرتهن بقدر ما عندهم .

٥٢ باب

فى تعدد الزوجات

هذه مسألة قام لها الكتاب وقعدوا ، وأرغوا وأزبدوا وأجلبوا باللوم على كل من يقول بتعدد الزوجات رياء منهم للنساء ونفاقا ، فى حالة انهم لا يقومون بحقوق الزوجة الواحدة التى يدافعون عنها ، بل يأخذون الصاحبات والخليلات عليها حتى من الأجانب من غير داع لذلك ، حيث يهجرون الطيب المشروع ، ويعمدون الى الخبيث المكروه . وما قيامهم ذلك إلا لمعارضة قول الله تعالى ، وشريعة رسوله ﷺ فيما أحله وعمل به ، على أن الله سبحانه وتعالى لم يوجبه إيجابا حتما ، بل قال (فانكحوا ماطاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم أن لاتعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم) فعلق أمر التعدد على العدل بينهن ، ومفهومه انه إذا لم يمكن العدل لم يجز التعدد ، لاسيما قد قال فى آية اخرى (ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم - أى فى الحب بينهن - فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة) وجاء فى الحديث الشريف وعيد من لا يعدل بين ازواجه حيث قال « من كانت له امرأتان فمال الى إحداهما جاء يوم القيامة وشقه مائل » (اى مفلوج) - رواه ابو داود والنسائى وابن ماجه واحمد بن حنبل - وتعدد الزوجات من المنافع الاجتماعية فقد كانت العرب تجتذب البعداء ، وتتألف الأعداء بالمصاهرة ، حتى يرجع المنافر مؤانسا ، والعدو مواليا . إذ النكاح سبب من اسباب الألفة لأنه استحداث مواصلة ، وتمازج مناسبة ، يصدران عن رغبة واختيار وينعقدان على خير وإيثار . وقد اكثرت العرب من الأزواج لذلك ، وهذا سر استكثار النبى ﷺ من الأزواج ، لا كما يقوله الكفرة الذين لايكادون يفقهون حديثا . ومن أين للكفرة أن يفهموا سر قول نبى وعمله وهم محجوبون بما ران على قلوبهم من ظلمات الكفر

بالله ،وظلمات البغض لدين الاسلام ؟! ظلمات بعضها فوق بعض . ومن يقل بوحدة الزوجة مطلقا من غير قيد وشرط فيه شائبة من شوائب أولئك الكفرة ، والملحدين وإن لم يكن منهم . وقد كان فى بلدنا طرابلس الشام رجل صالح من بيت إمارة متزوجا بأربع نساء ، وكان يعاملهن بالعدل فى كل شيء ، فكن معه كالأخوات فيما بينهن لم يسمع عنه أو عنهن أنه حدث بينهن خلاف أو نزاع أو شقاق مطلقا ، والمرأة إنما تكره زوجها المتزوج بغيرها لما ترى منه من الميل الى ضرتها اكثر منها ، بل ربما هجرها وأجحف بها كل الاجحاف ، ومن هنا يحصل النزاع وبلغنى عن رجل من العوام فى مصر متزوج بزوجتين ، وانه يعدل بينهما فى المعاملة عدلا لا يحدث معه بينهما أدنى خلاف .فالعدل مألوف محبوب يرضى به المحق والمبطل ، والظلم منفور منه مكروه يأباه المحق والمبطل . وهذه أبيات لاعرابي متزوج بامرأتين يقول فيها :

تزوجت اثنتين لفرط جهلي ... بما يشقى به زوج اثنتين

فقلت أصير بينهما خروفا ... أنعم بين أكرم نعجتين

فصرت كنعجة تضحي وتمسى ... تداول بين اخبث ذئبتين

رضا هذى يهيج سخط هذي ... فما أعرى من احدي السخطتين

والقى فى المعيشة كل ضر ... كذاك الضر بين الضرتين

لهذى ليلة ولتلك أخرى ... عتاب دائم فى الليلتين

فان أحببت أن تبقى كريما ... من الخيرات مملوء اليدين

فعش عزبا فان لم تستطعه ... فواحدة تكفى جحفلين

باب ٥٣

فى حرمة المصاهرة

هذه مسألة مهمة من مسائل الدين ، يغفل الناس عنها ولا يلقون لها بالا . ولكن الغفلة عنها وعدم المبالاة بها يعودعلى الناس بضرر معنوى كبير لا يمكن تلافيه ،وتحرير الكلام عليها أن من مس امرأة أجنبية عنه ـ أى ليست زوجته ـ ولا ممن يحرم عليه

التزوج بها ، أونظر إلى داخل فرجها بشهوة فى الصورتين ، أو زنا بها فقد حرمت عليه أصولها وفروعها ، لاهى إذا لم تكن متزوجة . وكثير من بائعى اشياء التحف والزينة يقعون فى ذلك ولا يشعرون ، وذلك أن المرأة تأتى عندهم لشراء جورب أو حذاء أو غير ذلك مما له علاقة باللبس ، فيأخذ صاحب المحل ـ او خادمه ـ باحضار ما يلزم ويتولى هو بذاته إلباس ذلك لتلك المرأة ، ولابد له من أن يمسها بلا حائل من يدها أو رجلها اوعضو آخر من جسمها ، والنساء فى اكثر أحوالهن متبرجات كاسيات عاريات وخدمة محل التجارة شبان ، فيحصل لهم من ذلك التماس انتباه فى الحس الشهوانى يسبب لهم الوقوع فى الشبهات فربما تزوج واحد منهم بواحدة هى من اصول هذه او فروعها وهو لايعلم ولا عذر له فى الجهل فيما يجب عليه معرفته من أحكام الدين ، فيكون زواجه فاسدا ، أو معاشرته لزوجته محرمة ، والناس غافلون عن ذلك بحكم الجهل الفاشى بالرغم من ادعاء العلم ، ومن لاط بغلام حرمت علي اللائط به أم الملوط به وبنته عند الائمة الاربعة بلاخلاف فى الأم ، وعند الامام احمد بن حنبل فى البنت ، ووجه تحريم الأم باللواط بولدها كونها محلا لولادته فلا فرق فى الحرمة بين الانثى والذكر .

باب ٥٤

فى الطلاق

الطلاق هو رفع القيد الثابت شرعا بالنكاح ، وقد اتفقت الائمة الاربعة والتابعون لهم بخير وإحسان على أن الطلاق مكروه فى حال استقامة الزوجين . بل قال الامام الأعظم أبو حنيفة رضى الله عنه بتحريمه فى إحدي الروايات عنه ، واتفقوا ايضا على تحريم الطلاق في الحيض للمدخول بها ، أوفى طهر وجامعها فيه ، مع عدم الخلاف فى وقوعه . واتفقوا أيضا على حرمة جمع الطلقات الثلاث مرة واحدة ، مع الاتفاق على وقوعه بخلاف الخارجين عن التقيد بوجوب اتباع أحد المذاهب الأربعة ، أو المدعين للاجتهاد دعوى بغير دليل فانهم قالوا بعدم وقوع الطلاق الثلاث دفعة واحدة ، بل يقع طلاق واحد

خلافا لما عليه إجماع الأمة منذ خلافة سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ويدعون بسطاء العقول الى اتباع مذهبهم لتكثير أولاد الحرام ، خصوصا فى وقت صار فيه الطلاق بالألف لا بالثلاث فقط من أسهل شيء على الحمقى والسفهاء فعوضا عن ان يزجروهم ويضيقوا عليهم بايقاعه عمدوا الى التخرص بعدم وقوعه ، والله لاقوالهم سامع وعلى افعالهم رقيب . والطلاق مع جوازه لضرورة بغيض إلى الله تعالى لما فيه من تفرق الأهل ، وتشتت الشمل ، والأضرار بالنسل . ففي الحديث الشريف « تزوجوا ولا تطلقوا فان الطلاق يهتز منه العرش » - رواه ابن عدي عن على بن ابى طالب - وفى حديث آخر « أبغض الحلال إلى الله الطلاق » - رواه ابو داود وابن ماجه والحاكم عن عبد الله بن عمر - ويكره للزوجة أن تطلب من زوجها أن يطلقها لغير ضرورة قطعية . فقد جاء فى الحديث الشريف « إن المختلعات هن المنافقات وحرم الله ريح الجنة على امراة سألت زوجها الطلاق» - رواه الطبرانى عن عقبة بن عامر - وفى حديث آخر « أيما امرأة سألت زوجها الطلاق من غير بأس فحرام عليها رائحة الجنة » - رواه الامام احمد وابو داود والترمذى وابن ماجه وابن حبان والحاكم عن ثوبان - وكفى بالمرأة خسة وضعة ، وسقوط أخلاق ، ونقص مروءة أن تطلب من زوجها أن يطلقها من أجل أنه لايقوم بكفايتها كما تريد من غير أن تنظر الى حاله ووضعيته مهما كانت وضعيتها وحالها تدعوها إلى الاستكثار منه ، فان القصد من الزواج تنظيم امور الحياة واذا لم يكن بدٌّ من الطلاق فليكن تدريجا لعله يحل الوفاق بينهما بعد وقوع طلقة واحدة فتكون تأديبا لها وله ايضا ، فاذا استحكم الشقاق وتعذر الوفاق بأن كانت امرأة سوء، وعجز عن إصلاح حالها بالوعظ فالهجر فالضرب فالتحكيم ؛ فلامانع من الطلاق ، وآخر الدواء الكى . ففي الحديث الشريف « ثلاثة يدعون الله تعالى فلا يستجيب لهم ؛ رجل كانت عنده امرأة سيئة الخلق فلم يطلقها ، ورجل كان له على رجل مال فلم يشهد عليه ، ورجل آتي سفيها ماله » وقد قال الله تعالى (ولا تؤتوا السفهاء أموالكم) - رواه الحاكم عن أبي موسى الاشعري - وعلى المتزوج أن يحفظ لسانه من الحلف مطلقا لاسيما بالطلاق ، مخافة أن يقع بما لا مخلص له منه ، ولا يجوز الاستحلاف به أيضا ، ففى الحديث الشريف « ما حلف

بالطلاق مؤمن ، ولا استحلف به إلا منافق » ـ رواه ابن عساكر عن أنس ـ وبعض النساء تتخذ الطلاق حرفة يحترفن بها لما يجررن وراءها من مغنم النفقة ، لاسيما وقتما كانت مدتها سنتين بدعوي أن أكثر مدة الحمل سنتان ، فكانت المرأة تطلق وتأخذ النفقة سنتين بدعوى أنها حبلى بعد من مطلقها ، ثم قر القرار فى مصر على أن تكون مدة النفقة سنة واحدة فقط تخفيفاً على الرجال المظلومين ورحمة بهم ، ومن يدخل المحاكم الشرعية يجدها تعج بأنواع النساء ، ما بين مطلقات وطالبات نفقة والغالب عليهن أنهن يجدن من يأخذ بناصرهن ، ويرحم بكاءهن وصياحهن فيحكم لهن بما يوافق طلبهن على أزواجهن الذين طلقوهن ، ويكثر فى النساء المتزوجات بأكثر من زوجين ، واكثرهن من نوع المطلقات لامن نوع من مات عنهن ازواجهن وانني أعرف كثيرا من اللاتى يترددن على زوجتى من ذوات صحبتها ومعرفتها كلهن ممن سبق لهن أن تزوجن مرتين أو أكثر ، ولقد ذكرت جريدة الاهرام بتاريخ (١٥) ربيع الثانى سنة **١٣٥١** و ١٧ اغسطس سنة **١٩٣٢** ان نسبه الطلاق فى مصر اثنان وخمسون في المئة ، أى أن أكثر من نصف اهل مصر يقع منهم الطلاق ، وعددهم من المسلمين فقط نحو خمسة عشر مليونا ،

وقد ذكرت الاحصائيات الحكومية أنه حصل فى ظرف سنة **١٩٣٠** ميلادية **١٣٤٩** هجرية ثمانية وعشرون ألفا وسبعمائة وخمسة وسبعون عقد نكاح فى كافة أنحاء القطر المصرى ولكن حصل فى مقابل ذلك خمسة عشر ألفا ومئة وسبعة وستون طلاقا لأسباب شتي ، وبعد مدد تتفاوت ما بين سنة من دوام الحياة الزوجية الى خمس وعشرين سنة فما فوق كما هو مبين أدناه :

٦٠٨٤	طلاقا بين من كانت مدة حياتهم الزوجية لم تطل أكثر من سنة
٥٦٩٥	طلاقا بين من كانت مدة حياتهم الزوجية من سنة الي أربع سنوات
١٩٩٢	طلاقا بين من كانت من خمس سنوات الى تسع سنوات
٠٧١٣	طلاقا بين من كانت من عشر سنوات إلى أربع عشرة سنة
٠٢٥٣	طلاقا بين من كانت من خمس عشرة سنة الى تسع عشرة سنة

٠٢١٨ طلاقا بين من كانت من عشرين الى أربع وعشرين سنة
٠٢١٣ طلاقا بين من كانت من خمس وعشرين سنة الى مافوقها

١٥١٦٧

وأسباب هذه الطلاقات ترجع إما للزوج ، أو للزوجة ، أولهما معا . أما الطلاق الحاصل بسبب الزوج فمنه :

٠٩١٦ طلاقا بسبب إهمال الزوج مصالح الزوجة
١٣٦٥ طلاقا بسبب سوء معاملته لزوجته
٠٩١٩ طلاقا بسبب إعساره وعدم قدرته على النفقة على زوجته
٠٦٨٩ طلاقا بسبب تزوجه على زوجته الأولى
١٢٩٩ طلاقا بسبب إدمان الزوج على المسكرات والمخدرات
٠٢١٢ طلاقا بسبب المقامرة

٥٤٠٠

والطلاقات الحاصلة بسبب الزوجة :

٥٣٨١ طلاقا بسبب إهمال الزوجة مصالح زوجها .
٠٩٦٥ طلاقا بسبب سوء أخلاقها .
٠٨٤٨ طلاقا بسبب عقرها - أى عدم حصول الولد منها -
٠٠٩٤ طلاقا بسبب مرضها .
١٠٩٨ طلاقا بسبب عدم طاعتها لزوجها .
٥٨٤ طلاقا بسبب خيانتها لزوجها .

٨٥٧٠

والطلاقات الحاصلة بسببهما معا :

١٥٥٩ طلاقا بسبب إهمال كل من الزوجين مصالح الآخر .
٠٣٨١ طلاقا بسبب الاخلال بالشروط من الطرفين .
٣٠٠٠ طلاقا بسبب النزاع والخلاف بينهما .

٠١٠٤ طلاقات بسبب كراهية أحدهما للآخر

٥٠٩. طلاقات بسبب عدم الموافقة والامتزاج .

٠٩٢٣ طلاقا بسبب سوء المعاشرة .

١٤١ طلاقا لاسباب شتى .

١٥١٦٧ الجملة

٥٥ باب

فى النفقة

تجب النفقة للزوجة على زوجها مادامت فى قيد نكاحه ، وتحت عصمة زواجه وفى مدة معينة بعد طلاقها ، وهى قدر ماتحيض وتطهر ثلاث مرات اذا كانت من أهل الحيض ، أو مدة أربعة أشهر وعشر ليال إذا لم تكن تحيض ، أو مدة حملها حتى تلد بحسب مقدرته وطاقته من نفسه ، أو بفرض المحكمة عليه. فاذا ادعت المطلقة أنها حامل منه تصدق دعواها الى سنة من ابتداء تاريخ الحكم لها بالنفقة ، وقد كانت تصدق الى سنتين بحجة أنها أكثر مدة الحمل فى المذهب الحنفى المعمول به فى المحاكم الشرعية فى البلاد العثمانية وما انفصل عنها ، واذا كانت المطلقة كاذبة فى دعواها الحمل تأثم بأخذها النفقة المفروضة لها ، لانها تكون محتالة خائنة . وقد جرت العادة في بعض المحاكم أنها تحلف المطلقة المدعية للحمل فى كل شهر ، ولكن كثيرا من المطلقات يتجرأن على الله تعالى ويحلفن أنهن حاملات وماهن بحاملات ، ولكنهن كذابات ، وعلى ربهن حسابهن .

٥٦

باب

فى الاحداد أو الحداد

الاحداد بوزن الامداد أو الحداد بوزن المداد ، هو ترك الزينة والطيب والكحل ، ولبس الجديد لكل امرأة طلقت طلاقا باتا ، أو مات عنها زوجها مدة حيضها إذا كانت من ذوات الحيض ، وكانت مطلقة ، أو أربعة أشهر قمرية وعشر ليال اذا كان مات عنها ، سواء أكانت من ذوات الحيض أو لا. هذا حق من حقوق الزوج عليها بعد طلاقه لها ، أو موته عنها، لما فاتها من نعمة الزواج الذى كان سببا لصونها وكفاية مؤنتها ولو كان فراقها بطلبها فيما إذا طلقت ، أو كانت تكرهه وتتمنى موته وتفرح به قال رسول الله ﷺ « المتوفى عنها زوجها لا تلبس المعصفر من الثياب ، ولا الممشق ، ولا الحلى ، ولا تختضب ، ولا تكتحل» ـ رواه الامام احمد وأبو داود والنسائى ـ فاذا مات لها من هو غير زوجها لا يجوز لها أن تحد عليه أكثر من ثلاثة أيام فقط . قال رسول الله ﷺ لايحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت أكثر من ثلاثة أيام ، إلا على زوج فانها تحد عليه أربعة أشهر وعشراً » (أي عشر ليال) ـ رواه الستة ـ وتعتد المطلقة والميت عنها زوجها فى البيت الذى حصل فيه الطلاق أو الموت ، ولا تخرج منه إلا لحاجة ضرورية كأن ينهدم ، أو تتم مدة إجارته ، أو يخرجها ورثة الميت . والقصد من إلزامها المحل الذى وقع فيه مايوجب العدة حفظها وصيانتها ليعلم هل هى حامل أو لا ، دفعا للشبهة عنها ، فيما لو اعتدت حيث أرادت ، ولصيانة النسب أن يدخله من ليس منه

فصل فى الأرملة

هى المرأة المطلقة ، أو الميت عنها زوجها الى أن تتزوج بآخر ، والرجل أرمل كذلك . قال جرير المتوفى سنة ١١٠ من قصيدة :

هذى الأرامل قد قضيت حاجتها ... فمن لحاجة هذا الأرمل الذكر

ولما كان فقد المرأة زوجها بطلاق أو موت ، أمرا فجيعا لما فيه من فوات

نعمة الزوجية ، وما يتفرع عليها من الخير المتواصل مادة ومعنى مدح الشرع الشريف الاسلامى الأرملة الصابرة على ما أصابها من فقد تلك النعمة ، كما جاء فى الحديث الشريف «الأرملة الصالحة سميت فى السماء شهيدة» - وفى حديث آخر « اتقوا الله فى الضعيفين المرأة الأرملة والصبى اليتيم » - رواه البيهقي عن أنس - والترمل للمرأة كاليتم للأطفال من حيث أن وقعه أليم ، إلا أن اليتيم يرجى له أن يترعرع ويكبر ويخرج عن طوق اليتم ، والأرملة قد تبقى على ترملها ، وكلما تقدمت بها الأيام قلت فيها الرغبة ، فهى من هذه الجهة أشد حالة من اليتيم . فلذلك جاء الحديث الشريف بما لها من ثواب .

٥٧ باب

فى موت الزوجة والتعزية بها

موت الزوجة من أعظم الشدائد التى تنزل بالزوج ، لاسيما اذا كان له أولاد صغار منها ، لما يترتب على موتها من تبدل نظام المعيشة ، وطرز الادارة ، والنظر الى الأولاد بنظر من فقد ركنا قويا كان يأوى اليه فى الشدة والرخاء ، حيث أن الولد اذا رأي أو اصابه ما يكره قال بطبيعته يا أمى ، لأنها أقرب إليه ، وأعطف عليه ، وحينئذ يضطر والدهم أما الى استخدام الخدم لتربيتهم وليس فى تربية الخدم شرف ولا آداب ، وإما الى أن يتزوج بزوجة لترعاهم برعايتها ، وتعطف عليهم باعتبار أنها بحسب الظاهر أمهم وبالحقيقة رابتهم ومؤدبتهم ، ولكن من يضمن له أن تكون تلك امرأة شريفة رقيقة القلب ، ذا عطف وشفقة ، تنظر لأولئك الأيتام نظرة العطف والحنان ، ومن كانت بهذه الصفات من الرابات قليل ، فلهذه الاعتبارات يكون موت الزوجة من المصائب الفادحة التى تنزل بالرجل وأولادها منه ، ولا ينبئك مثل خبير . كما أن موت الزوج كسر لظهر الزوجة ، وفت فى عضد الأولاد ، لاسيما اذا كان الزوج فقيرا ليس له إلا ما كان يكتسبه بسعيه وجده من قوته بعرق جبينه على ضوء صحته وعافيته ، فاذا مات انقطع ذلك المورد الذى كانت الزوجة والاولاد

يعترفون منه بالشكر أو بالكفر، وأصبحت الأولاد فى أشد الحالات، ولا سيما أن الرحمة قد نزعت من القلوب، وفقد العطف والشفقة من القريب والبعيد، فرحماك الله بمن هذه حالتهم، لا تفجعهم بموت كاسبهم رحمة منك بهم، يا رحيم يا كريم يا رب العالمين يا ألله.
والتعزية لمن أصابته مصيبة مطلقا سواء أكانت موتا أو غيره سنة، وحدها ثلاثة أيام لمن كان حاضرا، والعلم بها لمن كان غائبا متى ما علم، ولا تكرر لما فى تكرارها من التذكير بالمصيبة، وتجديد الحزن بسببها. وهى حمل المصاب على الصبر بوعد الأجر من الله تعالى لمن صبر، والدعاء للميت أو للمصاب بما فيه العفو والمغفرة، والرحمة للمتوفى، وحسن التعويض للمصاب عن إصابته.
وفائدتها تهوين المصيبة على المعزى، وتسليته عنها، وحضه على التزام الصبر، واحتساب الأجر والرضا بالقضا، والتسليم لأمر الله العزيز الحكيم. ويقال فى التعزية بوفاة الزوجة: بلغنى مضى كبيرة البيت، وقرينة الخير، فقاسمتك الهم، والقلق الجم وتصورت ما ورد عليك من وحشة فراقها بعد تطاول الصحبة، فلا تنس ما أجمع عليه أهل الحكم من أن تقديم الحرم من النعم، وستر العورات من الحسنات.
وأحسن من هذا اتباع ما ورد فى الشرع من جمل التعزية كأن يقول: إن لله ما أخذ، وله ما أعطى، وكل شىء عنده بأجل مسمى، وفيه خلف عن كل أحد ودرك لكل رغبة، ونجاة من كل مخافة، وعزاء عن كل مصيبة، غفر الله لميتك وتجاوز عنه، وتغمده برحمته، ورزقك الصبر على مصيبتك، وآجرك على موتك. وهذه الجمل من كلام النبي ﷺ وفيها البلاغ والكفاية. وإنما يعزى الصابرون (الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون) لا الذين يكثرون الصياح، ويتفننون فى النواح ويشقون الثياب، ويضربون الصدور، ويدعون بالويل والثبور، ثم يصبرون وإنما الصبر عند الصدمة الأولى. وفى النساء أوفياء لرجالهن، مراعيات لحقوقهم في حياتهم ومماتهم كما تقدم فى غير هذا الفصل، كما أن فى الرجال من يفون لأزواجهم من بعد وفاتهن، ويذكرونهن بالخير، ويترحمون عليهن، ويتصدقون بالصدقات المادية والمعنوية على أرواحهن، وإن كانوا من أهل العلم والأدب ذكروهن فى

مؤلفاتهم ، ورثوهن بأشعارهم تخليدا لذكرهن ، واعترافا بقدر سابق صحبتهن لهم :
وهاك بعضا من ذلك

٥٨ باب

فى رثاء الأزواج لزوجاتهم

قال عبد السلام بن رغبان المشهور بديك الجن الحمصى المتوفى سنة **٢٣٥** من قصيدة يرثى بها امرأته :

قل لمن كان وجهها كضياء الـ شمس فى حسنه وبدر منير
كنت زين الاحياء إذ كنت فيهم ولقد صرت زين أهل القبور
بأبى أنت فى الحياة وفى المو ت وتحت الثرى ويوم النشور

وقال فيها أيضا :

أشفقت أن يرد الزمان بغدرها أو أبتلى بعد الوصال بهجرها
عهدى بها ميتا كأحسن نائم والحسن يسفح عبرتى فى نحرها
لو أنها تدرى بماذا بعدها بالحى حل بكت له في قبرها

وقال مسلم بن الوليد المعروف بصريع الغوانى المتوفي سنة **٢٠٨** يرثى زوجته من قصيدة :

دعاني وإفراط البكاء فانني أرى اليوم فيه غير ماتريان
غدت والثرى أولى بها من وليها إلى منزل ناء بعينك دانى
فلا حزن حتى تنزف العين ماءها وتعترف الأحشاء للخفقان
وكيف بدفع الياس والوجدبعدها وسهماهما فى القلب يعتلجان

وقال محمد بن عبد الملك الزيات المتوفى سنة **٢٣٣** من قصيدة يرثي بها زوجته :

يقول لى الخلان لو زرت قبرها فقلت وهل غير الفؤاد لها قبر
على حين لم أحدث فاجهل فقدها وهل أبلغ السن التى معها الصبر

وقال يرثيها أيضاً ويذكر حال ابنه بعدها :

ألا من رأى الطفل المفارق أمه بعيـــد الكرى عيناه تنسكبان
رأى كل أم وابنهـا غـير أمه يبيتان تحت الليــل ينتجيان
وبات وحيـدا فى الفراش تجنه بلابل قلب دائم الخفــقان
فلا تلحيانى إن بكيت فانمـا أداوي بهــذا الدمع ماتريان
فهبنى عزمت الصبر عنها لأننى جليد فمن بالصبر لابن ثمـان
ضعيف القوى لايطلب الأجر حسبة ولا يأتسى بالناس فى الحدثان
فلم أر كالأقـدار كيف تصيبني ولا مثل هذا الدهر كيف رمانى
أعيني إن لم تسـعدا اليوم عبرتى فبئس اذا مافى غد تعـدان

قال الكمال أحسن الله تعالى اليه : ومايقول ابن الزيات وقد ماتت زوجتاى الأولى والثانية وكلتاهما بنت ثلاثين سنة ، وقد تركت لى الاولى بنتا عمرها ثمان سنوات ، وابنا عمره ست سنوات، وتركت لى الثانية بنتا عمرها سبعة أشهر ؛أليس مصابى بهما أشد من مصابه بزوجته !!

مامن عظيم راح يحـذره الفتي إلا وعنـــد الله أعظم منـــه

وقال الشريف الرضى المتوفى سنة ٤٠٦ :

على أى غرس آمن الدهر بعدما رمى فادح الأيام فى الغصن الرطب
ذوى قبل أن تذوي الغصون وعهده قريب بأيام الدبيلة (١) والخصب
كفى أسفا للقلب ما عشت أنني بكفى على عينى حثوت من الترب
جرت خطرة منها وفى القلب عطشة رفعت لها رأسى عن البارد العذب
وقلت لجفنى رد دمعا على دم وللقلب عالج قرح ندب على ندب
ومما يطيب النفس بعدك أنني على قرب من ماء وردك أو قرب
خلا منك طرفى وامتلا منك خاطري كأنك من عيني نقلت الى قلبى

وقال الطغرائى المتوفى سنة ٥١٤ :

أعينى جودا بالدماء وأســعدا فقد جل قدر الرزء عن عبرة تجرى

(١) الدبيلة النعمة .

بنفسى من غاليت فيها بمهجتى | وجاهى وما حازت يداى من الوفر
فكانت كما شاء المنى واشتهى الهوى | كمالا ونبلا فى عفاف وفى ستر
فنافسنى المقـــدار فيها فلم يدع | سوى مقلة مطروفة ويد صفر
وما كنت أرجو أن يكون اجتماعنا | قصير المدى ثم البعاد مدى العمر
فيا ـلكما يامقلـــتي وللكري | ونوركما قد غاب فى ظلمة القبر
ويا صـبر زل عنى ذميما وخلنى | ولوعة وجدى والدموع التى تجرى
فما هى إلا نعـــمة الله لم تدم | على لعجزى عن قيـامى بالشكر

وقال :

يا بؤس منفرد عمن يضاجعـه | مشرد النوم بين الأهـل والمـال
يزيد حر حشاه برد مضجعـه | ويملأ القلب شجوا ربعه الخالى
يبكى ويندب طول الليل أجمعه | فلا يقـر ولا يهـــدأ عـلى حال

وقال معلى الطائي يرثي امرأته واسمها وصف :

ياموت كيف سلبتنى وصـفا | قـــدمتها وتركتنى خلفـا
هـــلا ذهبت بنا معا فلقـد | ظفـــرت يداك فسمتني خسفا
وأخذت شق النفس من بدني | فقبرته وتركت لى النصـفا
هـلا رحمت شباب غانيـة | ريا العظام وشعرها الوحفا
ورحمت عينى ظبيـة جعلت | بين الرياض تناظر الخشـفا
خليتنى فـردا ورحت بهـا | ما كنت قبلك حاملا وكـفا
أسكنتها فى قعـر مظلمـــة | بيتا يصافح تربه الســـقفا
ياقبر أبق عـلى محاســـنها | فلقـــد حويت البر والظرفا

وقال الأستاذ محمد افندى الأزهري المحامى فى مصر يرثي زوجته من قصيدة :

عليك سلام الله ما غبت زينب | فما كـان عهدى أن يطول التغيب
لقـد كنت مملوء الفؤاد بأنسها | ولم أدر أن البين يوما يشــعب
تعجلها ريب المنون على الصـبا | وليس لها مما قضى الله مهـرب
فضائلها شتى ومن كـان مثلها | يعز علينا أن تموت ويصـــعب

سقى قبرها صوب من المزن واكف ويرحمها الرحمن ما ضاء كوكب

وقال (مؤلف هذا الكتاب) يرثي زوجته قدسية بنت الشيخ جمال الدين القاوقجي:

عيـــوني لا تجف من البكاء وقلبي لا يكف عن العناء
وحزني لا يخف برغم صبري ومن لي بالتصـــبر والعزاء
ولم أحزن على أحـــد كحزني على قدســـية امرأتي الضياء
لقد ماتت فهدت صرح صبري وكان ممرداً عالي البناء
فقـــدت حياتها أبهى فتاة وما أن جاوزت حـــد الفتاء
تمر بي الســـنون وإن حزني عليهـــا دائم دون انقضاء
وزاد تحســـري أبدا عليهـــا مصابي بالحميـــدة في النساء
فأضحي مؤنسي عني بعيـــدا كبعد الأرض من أفق السماء
عليها رحمـــة الرحمن تترى وجاد ضريحها صوب الرضاء

وقال فيها أيضا

يا طول حزني وياشتاتي من بعد قدســـية الفتاة
كنت بها في هناء عيش من غير بأس ولا شكاة
لم أدر ماقدرها الى أن عاجلـــها الله بالوفاة
فبدلت حالتي بعكس أحاط من سائر الجهات
ضاقت علي الحياة حتى كأنني لست في الحياة

وقال يرثي زوجته حميدة ويذكر زوجته المتوفاة قبلها رشيدة:

سلام على ذات الكمال حميدة ورحمة رب فضله ليس يحسم
سلام عليها بل وألف تحية على قبرها كالغيث يهمي ويسجم
أحن إليها كل وقت وساعة حنينا به قلبي الشجي محطم
لئن غاب عن عيني محبوب شكلها فقلبي به تلك الحقيقة ترسم
الى قبرها أسعى لألثم تربه ويسقى ثراه من دموعي عندم
أكل امريء أواه يفقد زوجه حزين كحزني باكيـــا يتألم

ومن قبلها ماتت كما هي زوجة فتية عمر مثل در ينظم
وكلتاهما دون الثلاثين حجة كأنهما فى الدين والخلق مريم
فأسكنهما ربي بفضلك جنة بها كل شخص صالح يتنعم
ونولهما يارب عفوا ورحمة فعفوك ياربى أجل وأعظم

٥٩ باب

فى تقدير المرأة العربية قدر زوجها ورثائها له

قالت امرأة من العرب غاب عنها زوجها فلم تقف له على خبر :

طاف يبغى نجوة (١) من هلاك فهلك
ليت شعرى ضلة (٢) أى شيء قتلك
أمريض لم تعد أم عدو ختلك (٣)
أم تولى بك ما غال فى الدهر السلك (٤)
والمنايا رصد للفتى حيث سلك
أى شيء حسن لفتى لم يك لك
كل شيء قاتل حين تلقى أجلك
طالما قد نلت فى غير كد أملك
إن أمرأ فادحا عن جوابي شغلك
سأعزى النفس إذ لم تجب من سألك
ليت قلبى ساعة صبره عنك ملك
ليت نفسى قدمت للمنايا بدلك

رحم الله هذه المرأة الطيبة التى تعرف لزوجها حقه ، وتقدره قدره . وأين منها

(١) نجوة خلاصا (٢) ضلة بفتح الضاد حيرة (٣) ختلك خدعك (٤) السلك بوزن عمر فرخ القطا أو الحجل تعنى هل عدا عليك من هو أقوى منك فأسرك .

نساؤنافى هذا لزمان ؟ ! وكم قد سمعنا عن نساء كثيرة خن أزواجهن أوقتلنهم ، أو استبدلن بهم غيرهم . والكلمة المحفوظة على رأس لسان المرأة اذا خالفها زوجها أدنى مخالفة ؛ مارأيت منك فى طول عمرى خيرا ! !

وقالت لبانة بنت ريطة بن على ترثي زوجها (من أبيات) ولم يكن دخل بها :

أبكى على سيـــد فجعت به   أرملنى قبل ليلة العرس
أبكيه لا للنعيم والأنس   بل للمعالى والرمح والفرس

وقالت اعرابية ترثي زوجها :

كنا كغصنين فى جرثومة بسقا   حينا على خير ماتنمى به الشجر
حتى اذا قيل قد طالت فروعهما   وطاب قنواهما واستمطر الثمر
أخنى على واحد ريب الزمان وما   يبقى الزمان على شيء ولا يذر

وقال الأصمعى : دخلت بعض المقابر ، فاذا بامرأة عليها من الحلى والحلل مالم أر مثله ، وهى تبكى بعين غزيرة وصوت شجى وتقول :

ياصاحب القبر يامن كان ينعم بي   بالا ويكثر فى الدنيا مواساتى
قد زرت قبرك فى حلى وفى حلل   كأننى لست من أهل المصيبات
أردت آتيك فيما كنت أعرفه   أن قد تسر به من بعض هيئاتى
فمن رآني رأى عبرى مولهـــة   عجيبة الزى تبكى بين أموات

قال الكمال أحسن الله تعالى اليه : وهكذا فعلت باخوتى على أثر وفاة والدى رحمه الله فقد زينتهم وخرجت بهم لزيارة قبره في صبح أول يوم عيد مر على وفاته ، حتى يراهم فيسر بهم وهو ميت ، كما كان يسر بهم وهو حى . ولم أعبأ بقول الناس فيما قالوه . وهكذا فعلت بولدي فى زيارتى لامهما ، حيث توفيت وتركتهما يتيمين صغيرين لا أسرها برؤيتهما متزينين غير حزينين .

باب ٦٠

لمن الزوجة فى الآخرة

من تزوج بامرأة لم يسبق لها أن تزوجت بغيره قبله وماتت وهى تحت عصمة نكاحه أو مطلقة منه ، أو مات عنها ولكنها لم تتزوج بعده بغيره ؛ فهى زوجته فى الآخرة قولا واحدا ، فان كانت متزوجة بغيره من قبله أو تزوجت بعده بغيره فلمن هى فى الآخرة ؟ خلاف بين العلماء. ففى الحديث « المرأة لآخر أزواجها فى الجنة » - رواه الطبرانى عن أبي الدرداء والخطيب عن عائشة - وفى حديث آخر « ليس من امرأة أطاعت ربها وأدت حق زوجها وتذكر حسنه ولا تخونه فى نفسها وماله إلا كان بينها وبين الشهداء درجة واحدة فى الجنة ، فان كان زوجها مؤمنا حسن الخلق فهى زوجته في الجنة ، وإلا زوجها الله من الشهداء » وفى هذا الحديث إطلاق عام يشمل من كانت فى الدنيا ذات زوج واحد ، أو ذات عدة أزواج . إذ العمدة فيه على حسن أخلاقه ومعاملته لها وصلاح الزوج مفيد فى الآخرة لزوجته حيث تكون معه فى درجته وإن لم تكن بدرجة تقواه وصلاحه فى الدنيا ، بدليل قوله تعالى (أنتم وأزواجكم تحبرون) وقد كان رجل يقرأ فى القرآن حتى بلغ هذه الآية فقال : اللهم لا تفعل ، اللهم لا تفعل اللهم باعد بينى وبينها فى الدنيا والآخرة ، وأخذ يبتهل ويتضرع الى الله تعالى . فلما رأته زوجته بهذه الحالة - وكانت امرأة سوء - قالت له : ماذا أصابك ؟ فقال لها إن الله تعالى يقول فى قرآنه الكريم إنكم تنعمون فى الجنة أنتم ومعكم أزواجكم ، فأنا أدعو الله تعالى أن لا يكون ذلك بيني وبينك فى الجنة حيث يكفينى ما أقاسيه منك فى دار الدنيا ، فخجلت وانكسفت وقالت : لا تدع ربك وقد تبت مما كنت عليه .

باب ٦١

فى الرابة

الرابة بوزن دابة هي الزوجة التى لزوجها ولد أو أولاد من غيرها ، وسميت رابة لأنها تربيهم وتقوم عليهم كما تقوم الأم على أولادها ، وأكثر ما تكون مطلقة أو ميتا عنها زوجها من قبل ، وقد تكون متقدمة فى السن فى الغالب ، وذات ولد فى الأغلب . ومن القليل أن تكون شابة ليست بذات ولد ، فان تزوجت بزوج له أولاد من زوجة أخرى فان كان تزوجه بها لتطليقه من قبلها ففى غالب الأحوال لا تكون الحياة بينها وبينهم حياة هدوء وسكون ، لما يحدث فى الأولاد من معاكسة رابتهم بما توسوس إليهم أمهم المطلقة بالذات أو بالواسطة ، إلا أن يكونوا كبارا يعرفون أن يميزوا بين ماينفعهم وما يضرهم ، وإن كان تزوجه بها لموت زوجته من قبلها ففى غالب الأحوال تكون الحياة بينها وبينهم حياة هادئة ساكنة ، لا يعتريها مايشوه وجهها نظراً لأن الأولاد مكسور ظهرهم بسبب وفاة أمهم ، لاسيما اذا كانوا صغاراً لا يعرفونها حق المعرفة فانهم يرون أن رابتهم هى أمهم حقيقة فيحترمونها ويهابونها ، ويراعونها ، كما ينبغي ، وإن كانوا كباراً فانهم أيضا يراعونها مادامت تراعيهم ، ويودونها مادامت تودهم ، إلا اذا رأوا منها تجاوزاً عليهم وامتهانا لهم فحينئذ يناصبونها العداوة ، حيث يرونها حالة محل أمهم ، ومستولية على كل شيء كان لها وربما منعهم من إبداء ما تكن صدورهم من جهتها مايرونه من تحيز أبيهم الى جهتها وعطفه بزيادة عليها . وعلى كل حال فان الرابة فى أكثر الأحوال تسيء معاملة أولاد زوجها كيفما كانوا صغاراً أو كباراً ، لاسيما اذا كانت شريرة فى حد نفسها ، فاسدة فى طبعها ، أجارنا الله من أمثالها وأشكالها . وفى الرابات من تتسلط على زوجها وأولاده فتسيمهم سوء العذاب ، وتستبد بهم ، وتعاملهم معاملة قاسية من إهانة وتحقير ، وتعرية وتجويع ، وغير ذلك مما لا يطاق معه الصبر والتحمل . والرجل فى ذلك الحال ضعيف أو مستضعف لا يقدر أن يدفع عنه ولا عن أولاده شرها وضرها ، وتزداد عليه عتوا

وقسوة فتمنعه أن ينظر الى أولاده ، أو يكلمهم ، أو يواكلهم ، أو يشاربهم ، أو أن يأتيهم بشيء يتحفهم به مهما كان قليلا تافها . وتغضب وتتسخط اذا ذكر أحد منهم بشيء أمامها ليستعطفها عليه ، فيرى منها كل شدة وغلظة ، ولكن لتعلم من كانت هذه الحال حالها مع أطفال لزوجها استرعاها إياهم أن الله سبحانه وتعالى يغار عليهم فيأخذ لهم بحقهم منها ، ويريها عاقبة سوء فعلها ، فانه حكم عدل لا يضيع لأحد مثقال ذرة من عمله خيراً كان أو شراً ، وكل شيء عنده بمقدار (وقد فعل) وفى ذكر هذه الحكاية الآتية أكبر عظة لكل ظالمة لا تؤمن بيوم الحساب :

(عبرة مؤثرة لكل رابة متسلطة متجبرة)

حدثني صاحب لى أثق بصدق مقاله ، لما أعرف من صلاح أفعاله ، وحسن أحواله ، أنه كان متزوجا بزوجة من أسرة طيبة ، وأقام معها نيفا وعشر سنين بهناء وراحة بال ، وكان طالع زواجه بها سعداً عليه ، وقد ولدت له عدة أولاد مات منهم من مات ، وبقى من بقى . ثم اقتضت إرادة الله تعالى أن تموت تلك الزوجة الموافقة الهادئة رحمة الله تعالى عليها . وأن يضطر الى التزوج بعدها بغيرها لتقوم مقام المتوفاة بأمور البيت ، ورؤية مصالح من فيه . ولكن القضاء والقدر شاء أن لا تكون صالحة موافقة مريحة له من التعب ، فأخذ يقاسى منها كل شدة وضيق مارأى عشر معشاره من زوجته المتوفاة ، وامتد شرها الى أولاده الأيتام ، فكانت تضغط عليه وعليهم ضغطاً يمنعهم من تنسم نسيم الراحة والهدوء ، وكان كلما وعظها وحذرها وزجرها وذكرها تزداد عتوا وقسوة وفجوراً وشروراً ، كأنه يطفيء النار بالحطب اليابس . وحار فى أمره معها حيث لم ينفع معها وعظ ولا تذكير ، ولا هجر ولا ضرب ، فعمد الى أهلها ليستنجد بهم لينصفوه منها فكان كالمستجير من الرمضاء بالنار ولم يكن فى إمكانه تطليقها حيث حصل له منها نسل أشفق عليه أن يبقى فى حضانتها الى نهاية المدة التى يستحق أخذه عندها ، كما أنه ليس باستطاعته أن يقوم بما تفرضه عليه المحاكم من النفقة لها ولنسلها ، وأكثر ما تراعى المحاكم جهة المرأة لا سيما أن شهداء

الزور كثير يشهدون من غير أن يعلموا بيسر الزوج واستطاعته بأكثر مما يستطيع فصبر ولجأ الى الله تعالى يدعوه ويستغيث به أن يجعل له من أمره وأمر أيتامه فرجا ومخرجا ، فكان يصلي وفى كل صلاة يقنت داعيا أن يصلحها الله أو يجتاحها ، وطال عليه الأمر وهى لا تزداد إلا شدة وقسوة حتى كاد ييأس من روح الله تعالى لولا أن تداركه الله بالعناية فابتلاها بمرض حار معه نطس الأطباء ، وعذبها به فى حياتها حتى ماتت غير مأسوف عليها ، تاركة له يتيمين منها ، فأصبح أبا أيتام عدة ولكن كان موتها أسهل وأخف عليه من يتم ولديه منها نظرا لما قاساه من عنتها وشدتها وبذاءة لسانها وقبح أفعالها ، ففرح بموتها فرحا زائدا ، وشمت بها وإن يكن ليس فى الموت شماتة ، ولكن تظاهر بالحزن والكآبة أمام أهلها ، وقام بغير اختياره بكل ما يلزم من تجهيزها وتكفينها ودفنها من عادات متبعة فى هذه البلاد ، ولكن فى قلبه غير ما يظهر حيث كان يتردد على قبرها في كل خميس وجمعة لأنه فى ذينك اليومين يكشف للميتين فيرون زائريهم ويقول لها من غير سلام عليها : إيه يازوجتي السليطة الشريرة ، قولى لى هل وجدت ما وعدك به ربى حقا من العذاب والسخط ، حيث كنت تسيئين لى وأنا زوجك الذى له عليك الحقوق الجمة ، هل لقيت جزاء سوء عملك ومعاملتك لأولادى من غيرك ، لاشك عندى أنك لقيت ذلك كله ، فان الله حكم عدل لابد أن يجزى المحسن بالاحسان ، والمسيء بالعذاب ، لاسيما أن حقوق العباد لايغفرها الله تعالى إلا بأدائها أو التسامح بها ، ولكننى لاأسامحك بالاصالة عن نفسى ، والنيابة عن أولادى حتى أرى فى المنام ما فعل الله بك ، وبعد مدة رآها فى المنام بأقبح ما يرى ميت ، وقد جاءت تبكى وتتضرع ليعفو عنها ، ويسامحها لشدة ما تلاقيه من العذاب ، فاستيقظ وقد رثا لحالها وما أصابها فسامحها ، وأسقط حقه وحق أيتامه عنها ، وقال يارب هذا فيما يتعلق بى ، وأما من جهة حقوقك عليها وقد كانت مقصرة فيها كل التقصير فأنت وفضلك أو عدلك ، لك الأمر لااحتكام عليك . ثم إنه رآها مرة ثانيه فكانت بحالة حسنة هاشة باشة وقالت له : جزاك الله عنى خيرا يازوجى . ثم قال لى ومن مؤثر ما أحكيه لك أنها بعد ماتت وانقضت ضجة العزاء بانتهاء ما يعمل للأموات ، جاءت بنتى من زوجتي الأولى وهى فى السنة الثالثة عشرة من سنى

حياتها تبكي وتتوقع على يدي تقبلها وتقول لي : أرجوك ياأبي أن لا تتزوج بعدها لئلا تأتينا بماما تظلم أخوي ذين ، كما كانت أمهما تظلمنا ، وأنا أقوم بخدمة أخوي وتربيتهما ولا يكن لك فكر من جهتهما ، فطيبت خاطرها وقبلتها وقلت لها الا والله يابنتي ماعدت أتزوج ولا أحدث نفسي به ، ولو عرضت على الحور العين لشدة مالاقيت من (ماما) فكوني مطمئنة مرتاحة يابنتي الله يبارك بك وباخوتك ،ويرحم أمك ويعفو عن (ماما) (لقب الرابة بلغة الأطفال) ثم إن بنتي قامت بخدمة إخوتها لاسيما من (ماما) أحسن القيام ، وكانت تعطف عليهم أحسن عطف وتحبهم أصدق حب ، وتقدمهم على إخوتها الأشقاء لها ، وهذا أمر عجيب وسر غريب بالنسبة لما كانت من قبل تعاملها به رابتها (زوجة أبيها) . وأبلغ من هذا أنها لما بلغت ست عشرة سنة جاءها طالب فعرضت عليها الأمر فقالت كلا ياأبي لا أتزوج وأتركك وماعندك من يتفقد أمورك وأمور إخوتي وهم صغار بعد ، عندي وقت بعد طويل للزواج فاني مازلت صغيرة ، ولما بلغت العشرين كان إخوتها كبروا وأمكن أن يروا أمورهم بنفسهم ، فجاءها طالب أحسن من الطالب الذى جاءها بالمرة الأولى من كل جهة يرغب بها ، فتزوجها فكانت معه وكان معها على أحسن ما تكون عليه الأزواج والزوجات ببركة حسن نيتها وطيب قلبها ، هذا مع أنها ما كانت تغفل تفقد إخوتها يوما ، وكان زوجها عونا لها على تفقدهم أيضا ، وهذه حالها حتى يومنا هذا . نسأل الله تعالى دوام الستر علينا بمنه وكرمه اه فماذا تقول الرابات الظالمات لأولاد أزواجهن ، المتطاولات بالتسلط على أزواجهن فى هذه القصة الواقعية الحقيقية ، هل يعتبرن ويتعظن بها فيرجعن عن ظلمهن وعتوهن ، أم ينتظرن أن يحل بهن مثل ماحل بتلك الرابة الظالمة لنفسها بالحقيقة أكثر من ظلمها لزوجها وأولاده ؟!

وليكن هذا آخر الكتاب بعون الله العلي الأعلى الوهاب والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات ونسأل الله دوام الستر والعافية فى الحياة وبعد الممات .

ترجمة حال مؤلف الكتاب محمد كمال الدين الأدهمي

هو أبو عبد الرحيم وأمة الرحيم ودرية هبة الكريم الحاج محمد كمال الدين بن الحاج محمد بن الحاج عبد القادر بن الحاج علي صهر اسحاق منلا افندى شيخ الاسلام فى عهد الدولة العثمانية ابن أبي الفضل محمد نقيب أشراف طرابلس الشام وخطيب مسجدها الجامع الكبير المنصورى ابن احمد مفتي الديار المصرية ونقيب أشرافها ابن صالح بن منصور نقيبي أشراف ايالتى بيروت وصيدا ابن محمد بن عمرو قاضى طرابلس الشام ونقيب أشرافها بن عبد الحي بن محمود بدر الدين الحسينى الأدهمى وزير الملك المعظم ارغون شاه ملك مصر وأمير طرابلس الشام نيابة عنه وناظر مسجده الجامع الذى أنشأه غربي طرابلس الشام المشهور بجامع أرغون شاه (والعوام يقولون الغنشا) كما هو مسطر فى وقفيته الشرعية المنقوشة فوق باب ذلك الجامع حيث فيها التصريح بالعهد بنظارته (للحسيب النسيب السيد محمود بدر الدين الحسينى الأدهمى) وتراجم بنى الادهمى مذكورة فى تاريخي لبنان ودمشق وفى خلاصة الأثر للمحبي المتوفى سنة ١١١١ وسلك الدرر للمرادى المتوفى سنة ١٤٢٦ وفى الرحلة النابلسية للشيخ عبد الغنى النابلسى المتوفى سنة ١١٤٣ والمشهور بأن نسبهم ينتهى للسيد السبط الحسين بن الامام على ابن أبى طالب من زوجته الطاهرة فاطمة الزهراء بنت سيد العالمين محمد ﷺ وعمود النسب الأدهمى المتصلة رجاله من المؤلف للسيد الحسين بن على وكتاب وقف الأخوين احمد ومحمد ابنى صالح بن منصور الأدهمى (والأول مفتى الديار المصرية والثانى مفتى الديار الحلبية) والبراءات السلطانية والوثائق الشرعية تؤكد صحة انتساب الأسرة الأدهمية للحضرة الحسينية العلوية حقق الله ذلك .

ولد المؤلف (محمد كمال الدين) فى منزل والده بسوق العطارين في محلة المهاترة بطرابلس الشام فى أحد شهرى جمادى سنة ١٢٩٦ هـ وسنة ١٨٧٨ م وهو اليوم وقد مضى نصف سنة ١٣٥٣ حى يرزق فى عشر الستين يحمد الله تعالى على نعمه ما ظهر منها وما بطن .

ونشأ في بلاده طرابلس الشام وفيها تعلم أكثر ما تعلمه من علوم وفنون حيث قرأ القرآن على والده المرحوم الحاج محمد الأدهمي المتوفى سنة ١٣٢٠ جزاه الله تعالى عنه خيراً وتعلم الخط على الشيخ عبد القادر الحداد المشهور بالأشبه المتوفي سنة ١٣١٩ في مدرسته التي هي في حارة الشهدا ثم دخل مدارس الحكومة العثمانية من ابتدائية ورشدية وإعدادية فتعلم فيها اللغات التركية والفرنسوية والفارسية مع العربية والعلوم والفنون التي تدرس فيها ثم انصرف لتحصيل العلوم العقلية والشرعية والأدبية آخذاً من كل علم أحسنه بقدر ما أمكنه حتى حصل منه على ما هو مزنة عند الأوام وزينة بين الأنام وميزة بين الخاص والعام وكاد يكون الأستاذ الفاضل الجليل أبو المعالي الشيخ عبد الكريم العالم الأزهري الطرابلسي ابن التاجر الكبير الحاج محمد عويضة أستاذه الوحيد في تعلم ما تعلمه واستفادة ما استفاده منه حسبة لوجه الله تعالى من غير أجر إلا ما كان من حمد أو شكر أو دعاء له بحسن الخاتمة عند نهاية العمر أحياه الله الحياة الطيبة وأعاد على متعلميه من عوائد بركاته الصيبة ومن مشايخه الذين قرأ عليهم واستفاد منهم كثيراً وقليلا عمه العالم الفاضل الأديب الحاج عبد القادر الأدهمي المتوفى سنة ١٣٢٥ والعالم الفاضل الجليل الشيخ عبد اللطيف نشابه المتوفى سنة ١٣٥١ والعالم الفاضل النبيل عبد المجيد افندى المغربي المتوفى سنة ١٣٥٣ والعلامتان الدراكتان الفهامتان الشيخ عبد الباقي البشاوري الافغاني السائح المشهور المتوفى سنة ١٣٢٠ والشيخ عبد الله البشاوري الأفغاني رئيس العلماء في البصرة المتوفى سنة ١٣٣٥ وسليل بيت المجد اسماعيل حقي افندى المغربي قاضي تعز والحديدة والبصرة وغيرها المتوفى سنة ١٣٣٠ (وهو زوج أخت المؤلف) والشيخ عبد القادر ابن الشيخ عبد الغني الرافعي المتوفى سنة ١٢٣٦ والشيخ محمد الشهأل المتوفى سنة والشيخ أبو النهى بن الشيخ محمد أبي المحاسن القاوقجي المتوفى سنة ١٣٥٣ والشيخ بدر الدين بن الشيخ عبد الرزاق الرافعي وهو حي اليوم، وسمع دروس كثير من العلماء والفضلاء في مختلف الجهات والبلاد كبيروت والشام وحمص وحماة والبصرة والحجاز وأدرنة واستانبول ومصر في سياحاته التي ساحها منذ ١٣٢١ حتي استقر في مصر سنة ١٣٤٤ ثم دخل في سلك التعليم في مدارس الحكومة العثمانية أولا في مدرسة بانياس الابتدائية ثم المدرسة التهذيبية في ميناء طرابلس الشام ثم عين مديراً (ناظراً) لمدرسة البصرة الرشدية ثم لمدرسة

نصيبين في ولاية ديار بكر ومعان في الشام ثم معلماً للعلوم الدينية واللغة العربية في مدرسة طرابلس الشام الاعدادية ثم معلما لآداب اللغة العربية في المدارس السلطانية في أدرنه ثم في استانبول وهي مدرسة استانبول ومدرسة اسكدار ومدرسة قاضي كوي ومدرسة الوفاء وفي مدارس دار الخلافة باستانبول وقام بوظيفة الخطابة فى جامع السلطان محمد الفاتح (وهو أول من خطب بالتركية باستانبول فيه وفى غيره من الجوامع) وقام بعضويات بعض اللجان (انجمن) فى وزارة المعارف حتى كان ما كان من تبدل شكل الدوله العثمانية وقيام الحكومة التركية فقلبت ظهر المجن لمن كانوا مستخدمين عندها من رعيتها العرب فهاجر منها الى مصر سنة ١٣٤٤ﻫ وسنة ١٩٢٥م ولم يزل مقيما فيها حتى يومنا هذا يعمل بيده على ضوء بصره مستمدا من زيت علمه المودع فى مشكاة قلبه فيكسب مايقوت به عياله وأولاده منقلبا مع الريحين زعزع ورخاء متقلبا فى الحالين بؤس ونعماء ولا عيب فى ذلك ولا غضاضة إذ

لا ينقص الكامل من كماله ماجر من نفع الى عياله

وذلك بسبب أن مؤهلاته العلمية ومكتسباته الأدبية ليست كافية فى نظر وزارة المعارف المصرية وإدارة المعاهد الازهرية لأن يكون فى عمل يقوم به كما كان قائما به فى بلاد الدولة العثمانية وذلك بسبب اختلاف الجنسية وتباين نظم البلاد ولكل قوم هاد

مؤلفاته ـ وله جملة من المؤلفات فى علوم شتي لم يطبع منها غير خمسة وهى لوامع الاسعاد في جوامع الاعداد وتخميس لامية ابن الوردى وكتاب التذكير فى المرجع والمصير وكتاب الفوائد الكمالية فى المنافع الدينية والدنيوية وكتاب مرآة النساء (وهو هذا)

وأما غير المطبوع منها فهو

(٦) مراسم العبودية لمراحم الربوبية (٧) حثيث جيد العالمين الى حديث سيد العالمين صلى الله عليه وسلم (٨) القول الحق فى علم حديث خير الخلق صلى الله عليه وسلم (٩) رد الكذب المقول على لسان حضرة الرسول صلى الله عليه وسلم (١٠) تقريب الأذهان من فهم معانى القرآن (١١) حسن المثابة الى فضائل الصحابة (١٢) منبر الاجادة والاصابة فى جامع الخطب والخطابة (١٣) خيرة الهمام الألمعي فى سيرة الامام الشافعى (١٤) الروض النضر فى الكلام على الخضر

(١٥) الشفقة الأبوية على العلقة البنوية (١٦) الصاحب بالجنب فيما رائده العين ومريده القلب (١٧) صرف اللسان إلى نحو بديع المعاني والبيان (١٨) معين الأدب ومعين من كتب وشعر وخطب (١٩) حياض الفوائد فى رياض القواعد

(٢٠) المثنوى فى المشترك اللفظي والمعنوى (٢١) اللحظ الكليل فى الحظ القليل (٢٢) سلامة المآل فى عقيدة الكمال (٢٣) عنوان الفضل وترجمان لسان الأدب والنبل (ديوان شعر) (٢٤) كمال الكلام فى كلام الكمال (مجموعة نثر) (٢٥) سخيمة الاندحار فى جريمة الانتحار (٢٦) جامعة الأعلام من كل من له ميزة أو مزية بين الأنام (٢٧) الجمع الوافى للقوافي (٢٨) إبراز لطائف الألغاز (٢٩) التنويه فى محاسن المراجعة والتوجيه (٣٠) الأسفار عن ماجريات الأسفار (رحلة منظومة)

(٣١) جامعة اللطائف من تالد الآداب والطرائف (أرجوزة أدبية) (٣٢) ثمرات التجاريب فى كل قول مصيب (٣٣) ميوه خوشك فى العرب والترك (٣٤) خرج الزمان فيما زان وشان (٣٥) الابتيار والابتهار في سواد الليل وبياض النهار

وهذه المؤلفات نتيجة ماتعلمه واستفاده وإن يكن لم يستفد من مطبوعها فائدة بحسن السكوت عليها إلا بقاء الذكر وحصول الثواب والأجر (إن شاء الله تعالى) فان المتصدى إلى التأليف فى هذا الزمان عرضة للمشقات والشدائد إلا اذا كان له معضد من شهرة أو مسند من قوة مال لايبالى معها أراج كتابه أو بار وما عدا ذلك فان الكتاب لايروج إلا أن يكون لمؤلف قديم العهد أو كان مقرراً فى المدارس الرسمية أو كان من الكتب المنافية للجد وأصحاب المكاتب والمطابع لا يأخذون بناصر من ألف كتابا ليستفيد منه على وهم أن يتمادى به الحال فيزاحمهم على عملهم وعدو كل إنسان من يعمل بعمله ولولا أن الله تعالى يسرلى هذا الرجل الطيب السريرة الحسن السيرة محب الخير والمعين عليه محمود افندى على صبيح صاحب المكتبة المحمودية بساحة الجامع الأزهر فأعاد طبع لوامع الاسعاد وتخميس لامية ابن الوردى وقام بطبع كتابى هذا (مرآة النساء) ووعدنى بطبع غيره من مؤلفاتي حسب التدريج والاقتضاء لما كان ظهر من كتبي هذه شيء فى عالم المطبوعات لضعف الحال وقلة ذات اليد فجزاه الله عني خيراً وقد تبين أنه المعنى بقولى قبل أن أعرفه بعشر سنين وذلك فيما

كتبته على كتابى لوامع الاسعاد وقتئذ سنة ١٣٤٢ :

يا كتابى لو استطعت طبعتك ولنفع الأنام بالرخص بعتك
غير أنى كما علمت مقل ليس فى الوسع أن ترانى أذعتك
فانتظر مثلما رفاقك أمسوا بانتظار وإن أ كن أوجعتك
فبكرهى ورغم أنفى منى أن ترانى على الرفوف رفعتك
غير إني جمعت شملك معهم فتأمل لاتحسبنى أضعتك
وعسى أن يهيء (ابن حلال) لك بالطبع حين يأتيه نعتك
فتكون انتشرت والنفع أضحي من كلينا نفعتنى ونفعتك

فقد تبين أن محمود على صبيح هو ابن الحلال الذى قصدته فى قولى من قبل أن أعرفه حين كنت فى استانبول وهو فى مصر شكر الله سعيه على أننى وإن فاتنى ربحها لم يفتنى ربحها بل لى فى الدنيا ذكرها وفى الآخرة أجرها والآخرة خير وأبقى ففى الحديث الشريف «اذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث ؛ صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له بخير» وحسبي الله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى

يقول مصححه عفا الله عنه : تم بحمد الله وعونه طبع كتاب مرآة النساء فيما حسن منهن وساء لمؤلفه الفاضل صاحب الترجمة وكان ذلك فى أوائل شهر رجب الفرد سنة ١٣٥٣ الموافق شهر أكتوبر سنة ١٩٣٤ بالمطبعة المحمودية الكائن مركز إدارتها بالساحة الأزهرية في مصر المحمية

﴿فهرست الكتاب وما اشتمل عليه من الفصول والأبواب﴾

صفحة

صفحة

فهرست ما فى هذا الكتاب من الأعلام

— أعلام الذكور —

﴿ حرف الهمزة ﴾

﴿ الأبناء ﴾

﴿حرف الغين﴾

﴿حرف الفاء﴾

﴿حرف القاف﴾

أغلاط مطبعية وصوابها

صفحة	سطر	خطا	صواب
١٠	٥	أربعة	وأربعة
١٣	٥	العجبة	العجية
٢٥	١٨	الحبيبة	الحبية
٦١	١١	فاترات	فائرات
٨٨	٢١	لا يأس	لا بأس
٢٢٨	٢٠	يهمي وبسجم	يهمى ويسحم
٢٣٦	١٣	سنة ١٤٢٦	سنة ١٢٢٦

المطبعة والمكتبة المحمودية التجارية بميدان الجامع الأزهر الشريف بمصر

على استعداد تام لطبع وإرسال كافة مايطلب

منهما من المطبوعات والكتب العربية